جمهورية السُّودان
وزارة التَّعليم العالي
جامعة أمِّ درمان الإسلامية
كليَّة الدِّراسات العليا
كليَّة أصول الدِّين
قسم التَّفسير وعلوم القرآن

(المخارجُ والصِّفاتُ في المصادرِ القديمةِ
دراسةٌ مقارنةٌ معَ علمِ الأصواتِ الحديث)

رسالة مقدَّمة لنيل درجة الماجستير في التَّفسير وعلوم القرآن

إعداد الطَّالب

صفوت محمود أحمد عليّ سالم

إشراف

د. مبارك محمَّد أحمد رحمة

العام الدِّراسيُّ

١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾

الحجر: ٩

إهداء

إلى والديَّ وأسرتي

وإلى كل من علمني حرفًا

من كتاب الله عزَّ وجلَّ

صفوت

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ البقرة : ٢٣٧

من منطلق هذه الآية الكريمة أرى واجباً عليَّ أن أتوجَّه بعد شكر الله عز وجلَّ إلى كل من له عليَّ فضلٌ، وأخصُّ بالشكر مشايخي الكرام:

١- فضيلة الشيخ الدكتور أيمن رشدي سويد، رئيس المجلس العلمي للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، الذي قرأت عليه القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، وأجازني بها، كما تعلمت من فيض علمه الوفير حفظه الله.

٢- فضيلة الشيخ الدكتور عادل إبراهيم أبو شعر، الذي قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات العشر الصغرى، وأجازني بها، كما أني قرأت أيضاً عليه رواية حفص عن عاصم من طريق الطيبة بأوجهها الإحدى والعشرين، وأجازني بها أيضاً.

٣- فضيلة الشيخ محمود فرج عبد الجليل، المحاضر للقراءات العشر بمعهد الإمام الشاطبي بجدة، حيث إني قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات العشر الكبرى من طريق طيبة النشر، وأجازني بها.

كما أشكر كلَّ من ساعدني في طباعة هذا البحث وتنسيقه، وأخصُّ بالذكر الأخ الكريم محمَّد مهدي، المحاضر بمعهد الإمام الشاطبي، وكذلك الأخ الكريم يحيى الشريف، جزاهما الله خيراً.

ولا يفوتني في نهاية المطاف أن أشكر أستاذي الدكتور مبارك محمد أحمد رحمة، المشرف على هذا البحث، وكذلك مناقشَيه: الأستاذ الدكتور الطيب محمود عبد القادر، عميد كلية القرآن الكريم ومدير مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية. والدكتور علي الأمين، رئيس قسم التفسير بجامعة أم درمان الإسلامية.

كما أشكر جامعة أم درمان الإسلامية ممثلة في كلية الدراسات العليا وكلية أصول الدين، وقسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة التي رعتني طوال فترة دراستي وبحثي، والله الهادي إلى سواء السبيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة البحث

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذا البحث بعنوان " المخارج والصفات في المصادر القديمة، دراسة مقارنة مع علم الأصوات الحديث ". والغرض منه هو التأكد من بعض النتائج التي توصَّلَت إليها بعض الكتب الصوتية الحديثة فيما يخص عدداً من الحروف العربية والأداء القرآني لها. فاقتضت طبيعة هذا البحث أن يتم وفق مقارنة علمية بين ما قدمه أسلافنا من معطيات صوتية تجويدية وبين ما قدمه المُحدَثون من دراسات صوتية تخص الحروف العربية، مع عرض ما قدمه الفريقان على ما يقرؤه القرّاء المتقنون، المتصلون بالسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ونظراً لأن علم الأصوات الحديث قد اتسم باستخدامه الأجهزة والمعامل الصوتية، فقد تميز هذا البحث أيضاً بإخضاع دراساته النظرية على أحدث ما وصل إليه العصر من أجهزة تحليلية معملية، وهذا كله بفضل الله تعالى ومنته.

ينتظم هذا البحث في فصلين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة.

المقدمة: وفيها تحدثت عن التواتر والتلقي، وكيف أن الله جعلهما سبباً في حفظ القرآن عن أن تتبدل حروفه أو تتغير أو تتطور بل تندثر. ثم تحدثت عن علم التجويد؛ أهميته ومنهجه، وبيَّنت الفرق بينه وبين علم القراءات في أنه يهتم بجانب الدراية على حين يهتم علم القراءات بجانب الرواية .

الفصل الأول : وينقسم إلى مبحثين تحدَّثت فيهما عن مقدمات أساسية لدارس علمَي التجويد والأصوات كأعضاء النطق، والنَّفَس، والصوت، والحرف، والمقطع، والمخرج، وكيفية معرفة المخرج عند القدماء والمحدثين.

الفصل الثاني : وينقسم إلى مبحثين تحدَّثت فيهما عن مخارج الحروف وصفاتها، وكذلك العلل.

وبيَّنت فيهما أن وصف المتقدمين من أهل العربية والتجويد للحروف العربية مأخوذٌ من الواقع اللغوي الذي كانت تتكلم به العرب. وناقشتُ فيهما المشكلات التي يجدها المحدثون في بعض الحروف كالجيم والضاد والقاف والطاء والهمزة، وبيَّنت أن هذه المشكلات لا تعدو أن تكون خلافاً حول مصطلح بينهم وبين القدماء، أو خلافاً في طريقة النطق.

الخاتمة : بيَّنت فيها أهم النتائج والتوصيات التي وصل إليها الباحث، والتي ألخصها في ما يلي:

أن القرآن الكريم ما يزال محفوظاً على صورته الأولى التي نزل بها سواء في النَّص أو طريقة الأداء . وإثبات الأجهزة الحديثة في كثير من مواطن البحث لما قاله أسلافنا الأوائل . وأن هذا البحث قد قرَّب المسافة بين علم التجويد وعلم الأصوات الحديث. وأن دلالة مصطلحات المحدثين المتلقاة من علم الأصوات الغربيّ لا تعني بالضرورة دلالة مصطلحات المتقدِّمين من علماء العربية والتجويد . وأن سبب الاختلاف بين النتائج التي توصَّل إليها البحث وتلك التي توصلّ إليها المحدثون إنما هو معتمد بشكل أساسيّ على طريقة النُّطق . وأن الأجهزة الصَّوتية الحديثة ما هي إلا وسائل مساعدة ومدعِّمة للنواحي النظرية الصَّوتية التجويدية ، ولن تكون بديلة – بأيِّ حال – عن التلقِّي والمشافهة من أفواه القراء العالمين بطرق الأداء .

ولا يفوتني في نهاية المطاف من أن أشكر أستاذي الدكتور مبارك محمد أحمد رحمة، المشرف على هذا البحث . وكذلك مناقشيه الأستاذ الدكتور الطيب محمود عبدالقادر عميد كلية القرآن الكريم، ومدير مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، والدكتور علي الأمين رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين، بجامعة أم درمان الإسلامية، وكذلك الجامعة المباركة ممثلةً في كلية الدراسات العليا وكلية أصول الدين ، وقسم التفسير وعلوم القرآن الذي رعاني طوال فترة دراستي وبحثي، والله الهادي إلى سواء السبيل .

Besm Allaah Ar-Rahman Ar-Raheem

(In the name of Allah the Most Merciful the Most Compassionate)

Research Abstract

Praise be to Allah and peace be upon Prophet Mohammed and his followers. This research is entitled "Articulation & Letters' Characteristics in Early References; A Comparative Study with Modern Phonology". The purpose of this research is to verify certain results reached by modern phonetic references with regard to number of Arabic alphabet and the Quranic performance of these letters. The nature of this research required to conduct an academic comparison between the early literatures of our ancestors concerning phonetic facts and the literatures of modern phonetic specialists related to phonetic studies of Arabic letters as well as comparing the two teams' outcomes with the mastered reciters who have a connected link "sanad" to prophet Mohammed (Peace be upon him). As modern phonology depends on using equipments and phonetic laboratories, this research adapted the newest technology of analytical laboratory sets in the theoretical aspect.

The reach consists of an introduction, two chapters, and a conclusion.

The Introduction discusses topic of succession "tawator" and oral reception "talaqi" and how scuh two factors protecting the Quran letter from change, replacement, development, or effacement. After that I tackled science of reciting the Holy Quran "tajweed"; importance and methodology. I stated the difference between tajweed and recitations science that the former pays

attention to academic aspect whereas the later cares for narration aspects.

The first chapter is divided into two sections tackling basic introductions to the science of reciting the Holy Quran “tajweed” and phonology such as pronunciation organs, breathing, phoneme, letter, syllable, articulation, how to determine the articulation whether by the early scholars or modern scientists.

The second chapter is divided into two sections discussing letters articulation and their characteristics as well as causes.

In addition, I explained that the early scholars of Arabic language and tajweed descriptions were inspired by the lingual reality the arabs talked. I also discussed the problems facing by modern scientists in certain Arabic letters such as “Djeem”, “Ddad”, “Qaf”m tta”, and “Hamza” showing that such problems are not more than a disagreement between them and the early scholars around a term or a difference in methods of pronunciation.

The conclusion contains the most significant results the researcher reached.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإمام الغرِّ المحجَّلين سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،

فيُمثِّل الصوت اللغوي الأُسَّ الذي تقوم عليه اللغات الإنسانية ، فيه يتحاور الناس ويتفاهمون ، ويعلمون ويجهلون .

وإذا كانت اللغة هي أصوات يُعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم ، فمن الطَّبيعي أن تحظى البحوث اللغوية الصوتية بجانب كبير من الأهمية ، وخاصة فيما يتعلق منها بحروف القرآن الكريم .

ولما كنت قد درستُ – بفضل الله تعالى – شيئاً من كتب علم التجويد أحببت أن أطَّلع على ما كتبه المحدثون أصحاب الدراسات الصوتية الحديثة ، ولشدَّ ما أدهشتني بعض النتائج التي توصلوا إليها فيما يخص الحروف العربية ، وحكمهم على بعض الحروف بالتطور بَلْهَ[1] التغيُّر .

وكانت أغلب الحُجج التي قدمها هؤلاء تدور حول أن اللغة كائنٌ حي تشب أصواتها وتهرم .. تمرضُ وتصح .. تتطور وتتغير ..بل تندثر ، وهو قول صحيح لو أُدير على اللغة الفصحى الدارجة اليوم ، أو على لهجات الخطاب ، أما أن يكون هذا التطور قد لحق قراءة قرّاء القرآن الكريم فهو الذي فيه نظرٌ وتوقف .

ومن هذا المنطلق وُلدت فكرة هذا البحث الذي اقتضى أن نعيش مع معطيات أسلافنا الصوتية والتجويدية ، ومع خلفية ما قدمه المحدثون من دراسات

(١) يستعمل المحْدَثون عبارة: (فضلاً عن) وهي غير مستقيمة، والتعبير الصحيح أن يقال: بَلْهَ.

صوتية تخصُّ الحروف العربية، مع عرض ما قدَّمه الفريقان على ما يقـــرؤه القـــرّاء المتقنون ؛ والمتصل سندهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونظراً لأن علم الأصوات الحديث قد اتسم باستخدام الأجهـــزة والمعامـــل الصوتية ، فقد تميز هذا البحث أيضاً باختبار دراساته النظرية على الأجهزة التحليلية المعملية. وهذا كله بفضل الله تعالى ومنته.

وأحبُّ أن أنوه هنا إلى أن هذا البحث لا يهدم منهجاً للقديم ، ولا يرفض رأياً للحديث ، بل يسير على هديٍ منهما جميعاً ، وغايته السعي وراء الحقيقـــة .. الحقيقة لا غير .

وما أجمل كلام أحدهم حين يقول : " الحقيقة دائماً وليدة البحث. والواقع أن الحقائق العلمية اعتبارية كلها ، فتظل الحقيقة منها حقيقة حتى تظهر أخرى تحل محلها ، وتخضع لنفس المصير المحتمل ، إذاً فليس في العلم حقيقة مطلقة ، وإنما توجد الحقائق المطلقة في أذهان المتعصبين والجهلاء "[1] .

" والواقع أن المعركة بين أنصار الموروث وبين أنصـــار الجديـــد الطـــارئ ضرورية لسلامة المجتمع ، فالمحافظون يَحُدُّون من طيش المندفعين إلى طلـــب كـــل غريب طارئ ، ومن نَزَق الذين يَجْرون وراء كل طريف براق ، مما يفقد الحياة ما يلزمها من الاستقرار الذي يحقق الطمأنينة ويمكن من البناء . ودعاة التطور يحولون بين المحافظين وبين الركون إلى الكسل ، ويُخرجون الجماعات عما قد تصاب بـــه من التبلُّد والجمود والركود نتيجة العكوف على الموروث وتكراره تكـــراراً آليـــاً يُعطِّل التفكير والملكات الإنسانية ، وذلك لأن دعاة التطور يُجبرون المحافظين على الدفاع عن أنفسهم ، فيحتاجون في هذا الدفاع إلى التسلُّح بأســـلحة خصـــومهم ودراسة ما يستطرفون من مذاهب . في حين أن مهاجمة المحافظين لدعاة التطـــور

---

(١) د. تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ٣٠٤ ، دار الثقافة ١٤٠٠هـــ-١٩٧٩م الدار البيضاء – المغرب.

تضطرهم إلى الحد من غلوائهم ، وتُنبِّه المجتمع إلى مواطن الضعف والشر فيما يستجلبون . ومن الطبيعي أن يوجد متطرفون في كل من الجانبين ، ولكن البقاء في كل ذلك للصالح دائماً ، وللصالح وحده"[1] .

" وأكثر ما يشتد الصراعُ بين القديم والجديد في عصور الانتقال ، وعند التقاء الحضارات المتعارضة في الغزو ؛ لأن الضعيف والمغزو يكون في وضع نفسيّ يصعب عليه فيه الاختيار ، لافتتانه بالقوي وشعوره العميق بأنه هو الأفضل والأصلح ، ولأن حضارة القويّ تكون أمراً واقعاً يفرضه الغالب في أكثر الأحيان، وليس اقتراحاً يترك له الخيار في الأخذ به أو تركه "[2] .

فهذا البحث بعنوان " **المخارج والصفات في المصادر القديمة ، دراسة مقارنة مع علم الأصوات الحديث** ". والغرض منه هو التأكد من بعض النتائج التي توصَّلَت إليها بعض الكتب الصوتية الحديثة فيما يخص عدداً من الحروف العربية والأداء القرآني لها. فاقتضت طبيعة هذا البحث أن يتم وفق مقارنة علمية بين ما قدمه أسلافنا من معطيات صوتية تجويدية وبين ما قدمه المُحدَثون من دراسات صوتية تخص الحروف العربية ، مع عرض ما قدمه الفريقان على ما يقرؤه القرّاء المتقنون ، المتصلون بالسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ونظراً لأن علم الأصوات الحديث قد اتسم باستخدامه الأجهزة والمعامل الصوتية ، فقد تميز هذا البحث أيضاً بإخضاع دراساته النظرية على أحدث ما وصل إليه العصر من أجهزة تحليلية معملية ، وهذا كله بفضل الله تعالى ومنته.

---

(١) محمد محمد حسين (أزمة العصر) ، الناشر دار عكاظ من ١٠-١١ .

(٢) المرجع نفسه ص١٢ .

أهمية الموضوع

أهمية الموضوع:

١- فيه دفاع عن القرآن الكريم ببيان أن النطق الصحيح للمخارج والصفات وصل إلينا بالتواتر.

٢- بيان أن ما قدمه المتقدمون جدير بالبحث.

٣- معالجة أثر إهمال المصادر الحديثة للتراث التجويدي وللمجودين(علماء تجويد القرآن الكريم).

٤- التعريف ببعض ما قدَّمه لنا العصر من أجهزة تحليلية .

٥- اشتماله على مقارنة بين وصف القدماء والمحدثين لأصوات الفصحى ، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بينهم .

٦- تصحيح بعض المفاهيم التي وردت في بعض كتب المحدثين عن الأداء القرآني المعاصر .

٧- اعتماد كتب علم التجويد مصدراً من مصادر الدراسة الصوتية ، وهو الأمر الذي أغفله كثير من المحدثين ؛ إذ إن علماء الأداء والقراءة هم الذين اعتنوا بتصحيح النطق ، وصحة الأداء ؛ فكانت دراساتهم صوتية خالصة .

أسباب اختيار البحث:

١- إبراز ما قام به علماء التجويد في علم الأصوات.

٢- إبراز جانب الدراسة المعملية بالصور التشريحية لإثبات صحة ما ورد عن المتقدمين.

٣- الربط بين الأداء القرآني والجانب النظري في علم الصوتيات وما أثبته المتقدمون من علماء التجويد للخروج بنتيجة لذلك .

٤- الاستفادة من حقائق علم الأصوات المعاصر التي تزيد من فهمنا للنظام الصوتي للعربية، أو توضح شيئاً من ظواهره، أو تصحح مفهوماً، أو تعبيراً في ذلك.

أهداف البحث:

١- أن يتعرف الباحث على أسباب الاختلاف في وصف الحروف العربية بين القدماء والمحدثين.

٢- أن يتعرف الباحث على أثر الدراسة الغربية لوصف المحدثين للمخارج والصفات العربية.

٣- الوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين، وهل موضوع الاختلاف ثانوي أو ابتدائي.

منهج الدراسة:

هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي بعرض أقوال القدماء والمحدثين، وموازنتها مع إبداء رأيي في ذلك استناداً على آراء الكتب العربية.

حدود الدراسة:

هذه دراسة مقارنة بين الأصوات العربية القديمة والحديثة، وتستند على اعتماد عبارات علماء السلف – مع الترجمة لأعلامهم دون المُحْدَثِين – ومصطلحاتهم الصوتية، مادامت مؤدية للمعنى وموفية بالغرض، إحياء لذلك التراث حتى يأخذ مكانه المناسب في علم الأصوات العربية.

ويكون البحث على مستوى الإفراد أي عدم دخول التركيب في هذا البحث مثل الادغام والإمالة وغير ذلك.

الدراسات السابقة:

تتفاوت الكتب المؤلفة في علم أصوات العربية في العصر الحديث في مقدار اعتمادها على مصادر الدراسة الصوتية العربية القديمة، فمنها ما يحس القارئ فيه أنه ترجمة حرفية من كتب علم الأصوات الغربية، ومنها ما خلط بين المصادر القديمة والمصادر الحديثة، ولكن أكثر المؤلفين يعطون مصادر الدرس الصوتي الغربي

مساحة أكبر في كتبهم، والخير في الاعتدال وتحري الحقيقة فما دامت الحقيقة من كتب الدراسة الصوتية العربية القديمة فالأَوْلى الرجوع إليها، وإلا فالحكمة ضالة المؤمن .

ونظراً لأن البحث يعرض لمنهج القدماء والمحدثين على السواء ، فإن هناك دراسات كثيرة سابقة عرضت لمنهجهما ، إلا إنه من الملاحظ عموماً على هذه الدراسات أمران :-

- عرضها لمنهج القدماء والمحدثين من ناحية نظرية ، وليست معملية ، وهو ما تنهض به رسالتي بفضل الله تعالى .
- عدم اعتمادها كتب علم التجويد مصدراً من مصادر الدراسة الصوتية الحديثة ، ولست أزعم أن رسالتي سابقة إلى هذا ، بل إن هناك رسالة قيمة مقدمة من الباحث غانم قدوري الحمد ، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٩٨٥م ، بعنوان (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) إلّا أنها تفتقر إلى الدراسة المعملية ، ولعل رسالتي هذه قد تسد النقص الذي افتقدته تلك .

هيكل البحث

ينتظم هذا البحث في فصلَين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة، وفهارس.

المقدمة : وتشتمل على :

١- التواتر والتلقي ، وكيف أن الله جعلهما سبباً في حفظ القرآن عن أن تتبدل حروفه أو تتغير أو تتطور.

٢- علم التجويد ؛ أهميته ومنهجه ، وبيَّنت الفرق بينه وبين علم القراءات في أنه يهتم بجانب الدراية على حين يهتم علم القراءات بجانب الرواية .

الفصل الأول : وينقسم إلى مبحثَين تحدَّثت فيهما عن مقدمات أساسية لـــدارس علمَي التجويد والأصوات كأعضاء النطق ، والنَّفَس ، والصـــوت ، والحـــرف ، والمقطع ، والمخرج ، وكيفية معرفة المخرج عند القدماء والمحدثين .

الفصل الثاني : وينقسم إلى مبحثين تحدَّثت فيهما عن مخارج الحروف وصـــفاتها، وكذلك العلل.

وبيَّنت فيهما أن وصف المتقدمين من أهل العربية والتجويد للحروف العربية مأخوذٌ من الواقع اللغوي الذي كانت تتكلم به العرب. وناقشتُ فيها المشـــكلات الـــتي يجدها المحدثون في بعض الحروف كالجيم والضاد والقاف والطاء والهمزة ، وبيَّنت فيها أن هذه المشكلات لا تعدو أن تكون خلافاً حول مصـــطلح بينـــهم وبـــين القدماء، أو خلافاً في طريقة النطق .

الخاتمة : سأبيِّن فيها أهم النتائج والتوصيات التي وصل إليها الباحـــث، وفهـــارس للأعلام والمصادر، والموضوعات، مع ملحق المصطلحات الواردة في البحث.

تمهيد

١ . التواتر والتلقي

من نعمة الله على هذه الأمة وتشريفه لها أن جعلها خير أمة أُخرجت للناس، وجعل نبيها محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء جميعاً، وأنزل عليه كتاباً ناسخاً لما قبله من الكتب ﴿لا يأتيه البَاطلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد﴾[١] وتعهَّد بحفظه من أن يصيبه تغيير أو تبديل أو نقص أو حذف ، فقال عزَّ وجل : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾[٢] ولا يوجد كتاب من الكتب السابقة تعهَّد الله بحفظه كما تعهَّد لهذا الكتاب ؛ لأنَّ الأمم السابقة قد أوكل الله إليها مهمةَ حِفظ كتبها ، فقال : ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء ﴾[٣] ، ففرَّطَت في ذلك ودخل إلى كتبها التغيير والتبديل والحذف والنقص كما هو معلوم .

ويُخطئ من يظنّ أن حفظَ الله لكتابه قاصر على النص فقط دون طريقة الأداء ، قال ابن الجزري[٤] : "ومنها بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي ، وإقبالهم عليه هذا الإقبال والبحث عن لفظةٍ لفظة ، والكشف عن صيغةٍ صيغة ، وبيان صوابه ، وبيان تصحيحه ، وإتقان تجويده ، حتى حموه من خلل التحريف ، وحفظوه من الطغيان والتطفيف ، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً ولا تفخيماً ولا ترقيقاً حتى ضبطوا مقادير المدات

---

(١) فصلت آية ٤٢ .

(٢) الحجر آية ٩ .

(٣) المائدة آية ٤٤ .

(٤) ابن الجزري : محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه، ولد عام (٧٥١هـ)، ومات سنة (٨٣٣هـ) ، من كتبه (النشر في القراءات العشر) ، و (غاية النهاية في طبقات القراء) ، و (التمهيد في علم التجويد) و (منجد المقرئين) و (تحبير التيسير) في القراءات العشر، و (تقريب النشر في القراءات العشر) و (الدرة المضية) في القراءات، و (طيبة النشر في القراءات العشر) منظومة، و (المقدمة الجزرية) أرجوزة في التجويد. انظر الأعلام ٧ /٤٥، غاية النهاية ٢/٢٤٧.

وتفاوت الإمالات ، وميزوا بين الحروف بالصفات ، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم ، ولا يوصَل إليه إلا بإلهام بارئ النِّسم"[1].

لذلك كله لا نشك لحظة إن القرآن الكريم قد وصل إلينا متواتراً بنصه ونطقه ، يتناقله جيل عن جيل ، وأمة عن أمة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا الحاضر .

ومعنى التواتر : "هو ما يوجب العلم ، وهو أن يروي الخبر جماعة لا يقع التواطؤ على الكذب من مثلهم وهكذا إلى أن ينتهي إلى المخبر عنه "[2].

وقد جعل علماء أصول الفقه تواتر القرآن من العلم الضروري الذي لا يحتاج إلى نظر أو استدلال[3] ذلك لأنه معتمد على التلقي قال تعالى: ﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ (النمل: ٦) تسلَّم النبي صلى الله عليه وسلم أمانة التلقي من ربه ، فكان إقراؤه القرآن وتعليمه للصحابة من أولى مهماته، فهذا ابن مسعود[4] – رضي الله عنه – يقول: "حفظت من فِي رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة "[5] ، وهذا أبي بن كعب[6] – رضي الله عنه – قد عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بأمر من ربه ؛ إذ روى قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب :

---

(١) ابن الجزري (النشر في القراءات العشر) ، أشرف على مراجعته علي محمد الضباع دار الكتاب العربي ٥٣/١ .

(٢) الإمام محمد بن محمد الرعيني المعروف بالحطاب(٩٠٢هـ) (قرة العين في شرح ورقات إمام الحرمين) دار ابن خزيمة – المملكة العربية السعودية ط١/ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٦٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٤) ابن مسعود:عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الاسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، توفي بالمدينة عن نحو ستين عاماً. له ٨٤٨ حديثا. توفي رضي الله عنه سنة (٣٢هـ)، انظر الإصابة ت (٤٩٤٣) والإعلام ١٣٧/٤.

(٥) الإمام محمد بن الجزري (غاية النهاية في طبقات القراء) ، نشره ج برجستراسر ط٣ – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ١٤٠٢هـ، ٤٥٨/١ .

(٦) أبي بن كعب بن قيس، أبو المنذر الأنصاري المدني، أقرأ الصحابة للقرآن الكريم، توفي سنة ٣٢هـ، وقيل غير ذلك، انظر: غاية النهاية ٣٤/١.

"إن الله أمرني أن أقرئك القرآن" ، قال أبي : "آلله سماني لك ؟" قال: (نعم) قال : "وقد ذكرت عند رب العالمين ؟" قال : (نعم) " فذرفت عيناه "[1] وقد سأل عاصم بن أبي النجود (أحد القراء السبعة) الطفيل بن أبي بن كعب عن مغزى قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي : "أمرت أن أقرأ عليك القرآن" ، قال : "إلى أي معنى ذهب أبوك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقرأ عليك القرآن ؟ قال: ليقرأ عليَّ فأخذ ألفاظه"[2]

وعلَّق الإمام الداني[3] على هذا النص بقوله : " وهذا الحديث ... أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الألفاظ ، وكيفية النطق بالحروف على هيئتها وصيغتها ، وأن ذلك لازم لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه ، وواجب على جميع المتصدرين أن يأخذوه ويعلموه ، إقتداءً برسول الله ﷺ في ما أمر به ، واتباع له على ما أكده بفعله ، ليكون سنة يتَّبعها القراء ، ويقتدي بها العلماء" .[4]

سار الأمر بعد النبي ﷺ على هذا النهج الذي خطه لهم ، فكانت عناية الصحابة بإقراء القرآن وتعليمه فوق كل تقدير فمثلاً " كان أبو موسى الأشعري[5] – رضي الله عنه – يقسِّم تلاميذه حلقة حلقة ، ويجعل لكل حلقة نقيباً يشرف عليهم ، ثم هو يشرف على الجميع تعليماً وتحفيظاً ، كل يوم من طلوع الشمس

---

(١) صحيح البخاري ١٨٩٧/٤، تحقيق د. مصطفى ديب البُغا، نشر وتوزيع دار ابن كثير، بيروت ودار اليمامة، دمشق، ط٤، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ، دراسة وتحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد ، ط١- ١٤٠٧هـ-١٩٨٨م مكتبة دار الأنبار، ص ٨١ – ٨٢ .

(٣) أبو عمرو الداني : عثمان بن سعيد بن عثمان، ويقال له ابن الصيرفي، ولد عام (٣٧١هـ)، من الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. توفي سنة (٤٤٤ هـ) له أكثر من مئة تصنيف، منها " التيسير " في القراءات السبع، و " المقنع " في رسم المصاحف ونقطها، و " الاهتداء في الوقف والابتداء " و " جامع البيان " في القراءات، و " طبقات القراء " وغير ذلك. انظر الأعلام ٢٠٦/٤، وغاية النهاية ٥٠٣/١.

(٤) التحديد في الإتقان والتجويد للداني ص ٨١ – ٨٢ .

(٥) أبو موسى الأشعري، عبد الله بنُ قيسٍ، صحابي جليل ، وُلِد ابنه الأكبر إبراهيم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وحنكه بيده الشريفة .الإصابة ٩٨/١.

إلى الظهر في جامع البصرة ، ويفعل مثل ذلك سواءً بسواء، أبـــو الـــدرداء[1] — رضي الله عنه — في جامع دمشق كل يوم إلى أن توفي بالشام".[2]

وعَظُمت عناية الأمة بأقراء القرآن وتعليمه ، وبخاصة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامة ، واختلاط الشعوب بعضها ببعض، " فكان للمسلمين في التلقي الشفوي مناهج دقيقة ، وكأنما كانوا يَعُدُّون أفواه الرجال أهمَّ مستودعات العلم الحقيقـــة ، ويرون أن النقل من الأفواه هو النقل السليم الذي يظهر كل زيف يعتريه، فقد كان يحي بن معاذ[3] يقول : أفواه الرجال حوانيتها ، وأسنانها صنائعها ، فإذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من البيطار ، والتمار من الزمار ".[4]

وكانوا ينهون أن يؤخذ القرآن من المصحف، وينعتون كل من يأخذ القرآن من المصحف بالمصحفي.

ذكر أبو العلاء الهمذاني[5] بسنده إلى سليمان بن موسى، قال : " لا تقرؤوا القرآن على المصحفيين ، ولا تأخذوا العلم عن الصحف".[6]

---

(١) أبو الدرداء الأنصاري ، صحابي جليل ، واسمه عويمر ، وقيل اسمه عامر ، وعويمر لقب . الإصابة ٧/ ٥٨.

(٢) مقالة للشيخ محمد زاهد الكوثري — بتصرف — في مجلة الإسلام وهي صحيفة إسلامية أسبوعية جامعة ، قررتها وزارة المعارف ، عدد ٢٦ / ٢٢ سنة ١٣٥٧هـــ .

(٣) يحي بن معاذ بن جعفر الرازي أبو زكريا : واعظ ، زاهد ، لم يكن له نظير في وقته . من أهل الري ، أقام ببلخ ، ومات في نيسابور ٢٨٥هـــ . (الأعلام ٨ /١٧٢)

(٤) لبيب السعيد (المصحف المرتل بواعثه ومخططاته)، ص ١٣٨ ، ط١ / دار الكاتب العربي — القاهرة ١٩٦٧م ، " بتصرف "، والمراد: يتميز من يعرف ممن لا يعرف.

(٥) أبو العلاء الهمذاني : الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد ابن سهل العطار: شيخ همذان، وإمام العراقيين في القراءات. وله باع في التفسير والحديث والأنساب والتواريخ. توفي سنة (٥٦٩ هـــ). له تصانيف، منها (زاد المسير) في التفسير، و (الوقف والابتداء) في القراءات، و (معرفة القراءة) ، و (الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ) . انظر الأعلام٢ /٨١،غاية النهاية١/٢٠٤.

(٦) أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ، تحقيق: غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان، ١٤٢٠هـــ - ٢٠٠٠م ، ٧٢/ب .

وكان من أسباب الحفظ لهذا القرآن الكريم أيضاً أن اعتنى القراء بطلب الإسناد وقربه من النبي ﷺ ، فقد نُقِل عن سفيان الثوري[1] أنه قال : " الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح ، فبأي شيء يقاتل "[2] ، وقال عبدالله بن المبارك[3]: " الإسناد من الدين ، لولا الإسناد لقال من شاء ماشاء "[4] وقد قسم الإسناد إلى ثلاثة أقسام :

١- القرب من حيث العدد من رسول الله ، على أن يكون هذا القرب بإسناد (نظيف غير ضعيف) .

٢- القرب من إمام من أئمة القراءات ، وهؤلاء زمنهم أدنى إلينا من زمن النبي ﷺ ، فالإسناد الصحيح إليهم له قيمته ، ولا يصح إهداره .

٣- القرب إلى بعض الكتب المشهورة في القراءة كالتيسير والشاطبية . ونحن قريبو العهد بهذه الكتب .[5]

ويبلغ أعلى إسناد في عصرنا هذا من حيث القرب من رسول الله ﷺ – فيما أعلم – سبعة وعشرين رجلاً[6]. وهو علو عظيم إذا ما قورن بأربعة عشر قرناً تفصل بيننا وبينه ﷺ.

فحُفِظَ الأداء القرآني عبر الزمن على أيدي القراء المعتبرين أصحاب الأسانيد من عهد رسول الله ﷺ إلى زمننا هذا من أن تناله يد الشك أو التحريف.

---

(١) سفيان الثوري: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. ولد عام (٩٧هـ) ، ومات سنة (١٦١هـ)، له من الكتب (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، وكتاب في (الفرائض) وكان آية في الحفظ، من كلامه: ما حفظت شيئا فنسيته. انظر الأعلام ١٠٤/٣.

(٢) أبي العلاء الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ٧٧/أ .

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح ، التميمي، المروزي : الحافظ، شيخ الإسلام، جمع الحديث والفقه والعربية، ومات سنة (١٨١هـ) له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه، و " الرقائق " في مجلد. انظر الأعلام ١١٥/٤.

(٤) أبي العلاء الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ٧٧/ ب .

(٥) لبيب السعيد (المصحف المرتل) ص ١٥٧ .

(٦) كإسناد أستاذي الشيخ الدكتور المقرئ / أيمن رشدي سويد .

" والمسلمون لسبب عقدي هو إيمانهم بالقرآن الذي فيه { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون }[1] وفيه { وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه }[2] ، لا يمكن عقلاً أن يكونوا قد سمحوا بأي تغيير من عندهم في القرآن . صَغُرَ هذا التغيير أو كَبُرَ "[3] ، وحوادث التاريخ في ذلك مدونة مشهورة.[4]

" ولو جاز للناس أن يغيروا شيئاً من القرآن عما تلقَّوا من الرسول ﷺ لأصبح بعض القرآن من كلامهم، لا من كلام الله، وإذن لبطلت صفته الإعجازية التي يؤمن بها المسلمون، والتي طالما نوَّه هو بها ، والتي لا تزال قائمة.

ويستوي في إحداث التغيير، أن يكون مما لا يتجاوز الصورة، وطريقة الأداء، وكيفية اللهجة، أو أن يكون ممتداً إلى الحروف، أو الكلمات، أو الحركات "[5].

وللأسف .. " فإن هناك من يظن أن تعدد اللجهات ، سوَّغ قديما لقراء القبائل المختلفة أن يكثروا من قراءات القرآن بما يوافق لهجاتهم ، وأن يَدَعوا هذه اللهجات تتعدد في القرآن ، وهذا كله من تلقاء أنفسهم ، وليس بتوجيه من النبي ﷺ ، فإنه لا حرج إذن – في ظل هذا المذهب الظاهر الفساد – من أن تمضي قراءات القرآن في الكثرة ولهجاته في التعدد ، فمثلاً لا حرج – في ظل هذا المذهب – وقد تحولت القاف إلى كاف فارسية أو إلى همزة ، وتحولت الذال إلى زاي .. لا حرج أن يقرأ القارئ : " إن الله لا يظلم مسآل زرة " بدلاً من قوله تعالى : { إن الله لا يظلم مثقال ذرة }[6] وهكذا يمكن أن نورد من هذا القبيل مئات الأمثلة . فترك الناس يقرأون القرآن بما يشتهون من قراءات ، وما يؤثرون من لهجات هو في كلمة موجزة إلغاء للقرآن " .[7]

---

(١) الحجر آية ٩ .

(٢) فصلت آية ٤١ – ٤٢ .

(٣) لبيب السعيد (المصحف المرتل) ص٢٠٧ .

(٤) حسبك مثلاً محاكمة الإمام المتصدر ابن شنبوذ عند إقراءه شيئاً من الشواذ . انظر نص المحضر المعمول عليه في معجم الأدباء لياقوت الحموي ط٣ – دار الفكر ١٤٠٠هـ ، ١٧/ ١٧٢.

(٥) لبيب السعيد (المصحف المرتل) ص ٢٠٥ .

(٦) النساء آية ٤٠ .

(٧) لبيب السعيد (المصحف المرتل) " بتصرف " ص ١٩٣/١٩٤ .

وكل فرد منا مطالب بتصحيح نطقه .. والرجوع إلى عالم من علماء التجويد والقراءة يُوقِفه على أخطائه في التلاوة ، وفي ذلك يقول ابن الجزري[1]: "فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح ، وعدل إلى اللفظ الفاسد العجميّ ، أو النبطيّ القبيح ، استغناء بنفسه ، واستبداداً برأيه وحدْسه ، واتكالاً على ما أَلِفَ من حفظه ، واستكباراً عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه ، فإنه مقصر بلا شك ، وآثم بلا ريب ، وغاش بلا مرية " .[2]

(١) سبقت ترجمته صفحة (ك).

(٢) ابن الجزري (النشر في القراءات العشر) ١ / ٢١٠-٢١١ .

٢. علم التجويد (أهميته ومنهجه)

كان لاختلاط العرب بغيرهم من الشعوب بعد مجيء الإسلام أثر كبير في أن يدِبَّ اللحن إلى لغتهم وألسنتهم ، وفساد سلائقهم ، فخشي العلماء نتيجة لهذا التأثير أن ينغلق فَهْم الكتاب العزيز والسنة الشريفة المطهرة .

فقامت علوم اللغة تحاول درء هذا التيار الجارف ، قال ابن خلدون : " فلما جاء الإسلام ، وفارقوا الحجاز .. تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين – والسمع أبو الملكات اللسانية – ففسدت بما أُلقي إليها مما يغايرها ، لجنوحها إليه باعتياد السمع ، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ، ويطول العهد بها ، **فينغلق القرآن والحديث على المفهوم** ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة ، شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سار أنواع الكلام ، ويلحقون الأشباه بالاشباه " .[١]

واللحن – كما ذكر العلماء– على قسمين ، قال ابن الجزري[٢]:

" اعلم أن اللحن على ضربين : لحن جلي ، ولحن خفي . ولكل واحد منهما حد يخصه ، وحقيقة بها يمتاز على صاحبه :

فأما اللحن الجلي ، فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيُخِلُّ بالمعنى والعُرف وخلل يطرأ على الألفاظ فيُخِلُّ بالعُرف دون المعنى .

وأما اللحن الخفي ؛ فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالعُرف .

بيان ذلك : أن اللحن الجلي المخل بالمعنى والعرف ، هو تغيير بعض الحركات عما ينبغي ، نحو أن تضم التاء في قوله تعالى : { أنعمت عليهم } " الفاتحة ٧ " أو تكسرها ، أو تفتح التاء في نحو قوله : { ما قلت لهم } " المائدة ١١٧" .

---

(١) العلامة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون المغربي (المقدمة) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ص ٥٤٦.

(٢) سبقت ترجمته صفحة (ك).

والقسم الثاني من الجلي المخل بالعُرف دون المعنى ، نحو رفع الهاء ونصبها من قوله تعالى { الحمد لله[1] }[2] قال الرومي[3]: " وبيان ذلك أن اللحن الجلي يخل إخلالاً ظاهراً يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم ، إذ هو تغيير كل واحد في المرفوع ،والمنصوب ، والمجرور ، والمجزوم ، إلى إعراب غيره ، أو تحريف المبنى عما قُسم له من الحركة والسكون ، أو تبديل حرف ، أو نقصه ، أو زيادته " .[4]

واللحن الخفي : هو مثل تكرير الراءات ، وتطنين النونات ، وتغليظ اللامات وإسمانها ، وتشريبها الغنة ، وإظهار المخفَى ، وتشديد الملبَّن ، وتليين المشدد ، والوقوف بالحركات كوامل ... وذلك غير مخل بالمعنى ولا مقصر باللفظ، وإنما الخلل الداخل على اللفظ فساد رونقه ، وحسنه ، وطلاوته ، من حيث إنه جار مجرى الرُّتَّة[5] واللُّثغة[6] كالقسم الثاني من اللحن الجلي ، لعدم إخلالهما بالمعنى ، وهذا الضرب من اللحن – وهو الخفي – لا يعرفه إلا القارئ المتقن ، والضابط المجود ، الذي أخذ من أفواه الأئمة ، ولُقِّن من ألفاظ أفواه العلماء الذين تُرتضَى تلاوتهم ، ويُوثق بعربيتهم ، فأعطى كل حرف حقه ، ونَزَّله مترلته " .[7]

---

(١) الفاتحة ١ وغيرها .

(٢) الإمام محمد بن الجزري (التمهيد في علم التجويد) ، تحقيق د. علي حسين البواب ط١ / ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م مكتبة المعارف الرياض ، ص ٦٢ .

(٣) الرومي: أحمد بن فائز الرومي ، شارح رسالة الدر اليتيم ، توفي (ت ١١٥١) . مكتبة الشيخ أيمن سويد.

(٤) شرح رسالة الدرّ اليتيم ٤٧/أ .

(٥) الرتة (بالضم) : العجمة . الفيروزابادي (القاموس المحيط) مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط٢/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م – بيروت لبنان ص١٩٤.

(٦) اللثغة (بالضم) : تحول اللسان من السين إلى الثاء أو من الراء إلى الغين أو اللام أو الياء أو من حرف إلى حرف وأن لايُتم رفع لسانه وفيه ثقل . (القاموس المحيط ١٠١٧) .

(٧) ابن الجزري (التمهيد في علم التجويد) ص٦٣.

وكان من أجمل مباحث علم التجويد رّصْد القُرَّاء لأخطاء الناس التي تقع لهم أثناء تلاوتهم كتاب ربهم ، والتي هي ناتجة عن مَيَلان طباعهم ، وتأثرهم بلهجاتهم ، ثم وصف الدواء الشافي لهذه الأخطاء .

ونظرة سريعة إلى كتب علم التجويد كالرِّعاية لمكيّ بن أبي طالب[1] ، والتحديد لأبي عمرو الداني[2] تُثبت هذه الحقيقة .

وأودُّ أن أشير هنا إلى أن ثقافة العلماء قديماً كانت ثقافة جامعة متنوعة، وكان الواحد منهم مُلمّاً بأغلب علوم عصره. وإن فحول العربية أمثال الخليل[3]، وسيبويه[4]، والكسائي[5]، .....

(١) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، مقرئ، عالم بالتفسير والعربية. ولد عام (٣٥٥هـ) وتوفى سنة (٤٣٧هـ)، له كتب كثيرة، منها (مشكل إعراب القرآن) ، و (الكشف عن وجوه القراءات وعللها) و (الهداية إلى بلوغ النهاية) في معاني القرآن وتفسيره، و (التبصرة في القراءات السبع) و (الرعاية) لتجويد التلاوة، و (الإبانة) في القراءات. انظر الأعلام٢٨٦/٧،غاية النهاية ٩٠٣/٢.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الخليل بن أحمد : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد عام (١٠٠هـ) ومات سنة (١٧٠هـ) ، له كتاب (العين) في اللغة ، و (معاني الحروف) وكتاب (العروض) و (النقط والشكل) و (النغم) وغيرها . انظر الأعلام ٣١٤/٢.

(٤) سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، المعروف بسيبَوَيه : إمام العربية وشيخ النحاة" الذي إليه ينتهون، وله كتاب في النحو يسمى "الكتاب" ، وأخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي. له وصف لمخارج حروف اللغة العربية هو الأدق حتى الآن. روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، توفي سنة (ت١٨٠ هـ). انظر الأعلام ٨١/٥ ، وغاية النهاية ٦٠٢/١.

(٥) الكسائي : علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي ، وكنيته أبو الحسن ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة ، قيل له : لم سميت الكسائي؟ قال : لأنني أحرمت في كساء . (ت١٨٩هـ)، بعد أن عاش ٧٠ سنة. الوافي ص٦٦.

وأبي عمرو بن العلاء[1]، وابن الحاجب[2] ، وأبي حيان[3] ، وغيرهم كثير لم تكن ثقافتهم مقتصرة على العربية فحسب ، بل إن منهم من اشتهر بإقراء القرآن كالأربعة الأخيرين .

وبالتالي فلا نستطيع أن نفصل جهود علماء العربية عن جهود علماء التجويد ؛ لأن الاختلاف بينهم إنما لتنوع الغرض ، فمن الأفضل جعلهم في حلقة واحدة ، وعلى دارس الأصوات أن يدرسهما معاً ، لأن إهمال جانب دون جانب، يضيع التصور الكامل لدراسة القدماء للأصوات العربية .

قال أبو عمرو الداني وهو من شيوخ التجويد والقراءات :" وهذا كله ، وسائر ما ذكرناه قبل ، لا يتمكن معرفته للقراء إلا بنصيب وافر من علم العربية ، وذلك من آكد مايلزمهم تعلمه ، والتفقه فيه ،إذ به يفهم الظاهر الجلي ، ويدرك الغامض الخفي ، وبه يعلم الخطأ من الصواب ، ويميز السقيم من الصحيح ".[4]

ولو جردنا الأداء القرآني – مثلاً – عن التغني المأمور به في الحديث لتحسين الصوت بالقرآن ، وعن إطالة الصوت بالغنة وحروف المد ، وعن السكت ، لكان الأداء القرآني يماثل الأداء الفصيح بأي نص عربي نثري آخر ، ولذلك أدرك المتقدمون أن تصحيح النطق القرآني سبيل صحيح لتصحيح النطق بالأداء العربي ،

---

(١) أبو عمرو ابن العلاء : زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد عام (٧٠هـ) ، ومات سنة (١٥٤ هـ).انظر الأعلام٣/٤١، غاية النهاية١/٢٨٨.

(٢) ابن الحاجب : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين: من كبار العلماء بالعربية، ولد عام(٥٧٠هـ) ، ومات سنة (٦٤٦ هـ) ، وكان أبوه حاجباً فعرف به، من تصانيفه " الكافية " في النحو، و " الشافية " في الصرف، وغيرها. انظر الأعلام٣/٤١.

(٣) أبو حيان النحوي :محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ، ولد عام (٦٥٤هـ)، وتوفي سنة (٧٤٥ هـ) واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه، من كتبه (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و (عقد اللآلي) في القراءات، و (الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية) و (المبدع) في التصريف، و (ارتشاف الضرب من لسان العرب) وغيرها. انظر الأعلام ١٥٢/٧.

(٤) أبو عمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص١٧٨.

وجودة المخارج والصفات ، فعمدوا إلى تعليم وتحفيظ ناشئتهم القرآن منذ الصغر، وبخاصة بعد امتداد اللحن وفساد السلائق العربية .

بعد كل هذا مالغاية – إذن – من ذكر الظواهر الصوتية في كتب النحو والصرف والمعاجم ؟

الظاهر أن ذكر كتب العربية للأصوات ، هو وسيلة لفهم مباحث معينة ، وليست غاية بحد ذاتها . فأهل العربية ذكروها لفهم مباحث من علم التصريف ، كالإدغام مثلاً ، قال سيبويه : " وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه ، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه ، وما تبدله استثقالاً كما تدغم ،وما تخفيه وهو بزنة المتحرك "[1] وقال ابن يعيش[2] : " لما كان الغرض من الإدغام تقريب الأصوات بعضها من بعض ، وتداخلها – والحرف إنما هو صوت مقروع في مخرج معلوم – وجب معرفة مخارج الحروف ، ليعلم المتقارب من المتباعد "[3].

أما أهل المعاجم كالخليل[4] فقد ذكروا الأصوات لغاية معجمية فقط ، وأما علم التجويد فغايته وهدفه : الأصوات العربية التي نزل القرآن بها .

فعلى ما تقدم يمكن أن نقول: إن سبب نشأة علوم العربية ، هو المحافظة على صحة الأداء العربي والقرآني ، ولما كانت كتب العربية غير كافية لخدمة هذا الأخير، ومعالجة اللحن الخفي في كتاب الله ، استقل علم التجويد بنفسه ، واضطر القراء لتدوينه بنوع خاص.

---

(١) أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (كتاب سيبويه) ٤/ ٤٣٦، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ط٣ – عالم الكتب ١٤٠٣هـ .

(٢) ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع: من كبار العلماء بالعربية ، توفي سنة (٦٤٣ هـ). من كتبه " شرح المفصل " و " شرح التصريف الملوكي " لابن جني ، انظر الأعلام ٢٠٦/٨.

(٣) موفق الدين بن يعيش النحوي (شرح المفصل) ، عالم الكتب – بيروت ،١٢٤/١٠.

(٤) سبقت ترجمته .

هذا بالنسبة للعربية والتجويد. أما بالنسبة للقراءات والتجويد ، فقط يختلط الأمر على البعض ، فيظن أن كتب القراءات هي كتب التجويد ، والأمر ليس كذلك البتة .

عرّف ابن الجزري القراءات بقوله :" القراءات : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة "[1].

وعرّف أبو عمرو الداني التجويد فقال : " اعلموا – أيدكم الله بتوفيقه – أن التجويد مصدر جوّدت الشيء ، ومعناه : انتهاء الغاية في إتقانه ، وبلوغ النهاية في تحسينه ، ولذلك يقال : جوّد فلان في كذا ، إذا فعل ذلك جيداً ، والاسم منه الجودة . فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها ، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله ، وإلحاقه بنظيره وشكله ، وإشباع لفظه ، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ، ولا إفراط ولا تكلف . وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكه "[2].

فالقراءات تبحث في أداء كلمات القرآن واختلافها بين الرواة ؛ أما التجويد فهو بتعبير حديث " علم الأصوات " ، ولذلك اختلفت كتب التجويد عن كتب القراءات .

قال مكي بن أبي طالب في كتاب " الرعاية " ، وهو من كتب علم التجويد: " فتلك الكتب كتب تحفظ منها الرواية المختلف فيها ، وهذا الكتاب يحكم فيه لفظ التلاوة التي لا خلاف فيها ، فتلك كتب رواية ، وهذا كتاب دراية فافهم هذا "[3]، وقال : " فليس هذا كتاب اختلاف ، وإنما هو كتاب تجويد ألفاظ، ووقوف على حقائق الكلام ، وإعطاء اللفظ حقه ، ومعرفة أحكام الحروف التي ينشأ الكلام منها ، مما لا اختلاف في أكثره "[4].

---

(١) الإمام محمد بن الجزري (منجد المقرئين ومرشد الطالبين)، ص ٣، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) أبو عمرو الداني(التحديد في الإتقان والتجويد) ص٧٠ .

(٣) مكي بن أبي طالب (الرعاية)، ص ٢٢٦ ، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ط٢/ ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، دار عمار (عمان-الأردن).

(٤) المرجع نفسه ص ١٥٤.

فإذا رأينا في كتب القراءات مباحث من علم التجويد ، فاعلم أن القراء إنما تبرعوا بذكرها ، واتخذوها قنطرة ليصلوا بها إلى مرادهم .

مثال ذلك ما قاله أبو الحسن الصفاقسي[1] في باب القصر والمد : " وهو باب مهم ، وأكثر أحكامه قواعد تجويدية ، تبرع القراء بذكرها في كتبهم " [2]

أما بالنسبة لمنهج علماء التجويد في دراسة أصوات الفصحى فقد كان منهجاً شاملاً، وتناولوا فيه الحروف من كل الجوانب .[3]

وقد أشار إلى هذا المنهج ابن أم قاسم المرادي [4] فقال :" وقد اتضح بذلك أن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور :

احدهما : معرفة مخارج الحروف .

والثاني : معرفة صفاتها .

والثالث : معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام .

الرابع : رياضة اللسان وكثرة التكرار .

---

(١) الصفاقسي : علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي: ولد عام (١٠٥٣هـ) مقرئ، صنف كتباً، منها " غيث النفع في القراءات السبع " و " تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين " وغيرها ، توفي سنة (١١١٨هـ) . انظر الأعلام ١٤/٥.

(٢) أبو الحسن الصفاقسي (تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين) ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، ص١٠٨

(٣) للتوسع في قضية المنهج عند علماء التجويد يرجع إلى كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٦٠ للدكتور غانم قدوري حمد

(٤) المرادي : الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المصري، المعروف بابن أم قاسم: مفسر أديب. من كتبه (تفسير القرآن) عشر مجلدات، و (إعراب القرآن) و (شرح الشاطبية) في القراءات و (شرح ألفية ابن مالك) توفي سنة (٧٤٩ هـ). انظر الأعلام ٢١١/٢.

وأصل ذلك كله وأساسه ، تلقيه من أولي الإتقان ، وأخذه عن العلماء بهذا الشأن "[1] وذكر أبو العلاء الهمذاني: أنه " إن انضاف إلى ذلك حسن الصوت ، وجودة الفك ، وذرابة اللسان ، وصحة الأسنان ، كان الكمال "[2].

من هنا يتبادر إلى الذهن التساؤل التالي :

هل خرج علم الأصوات – في منهجه وقضاياه – عن هذه الأمور ؟

ركز علماء التجويد على الأمر الرابع (رياضة اللسان وكثرة التكرار) وجعلوه من أهم أركان التجويد ، قال الداني : " وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكه"[3] فهو عمدة هذا الباب، والذي من أجله عقدت مباحث التجويد ، ولأن المبتدئ قد اعتادت أعضاؤه النطقية على وضع معين (لهجته الخاصة) ،فإقامته من هذا الوضع (اللهجة) إلى وضع آخر (الأداء القرآني) ، ليس بالأمر اليسير ، ويحتاج إلى رياضة كثيرة ، حتى تعتاد أعضاؤه الوضع الجديد ، وتصير له تلاوة القرآن طبعاً وسجية.

قال مكي :" فَقِسْ على ما ذكرت لك من هذه الأصول ، وخذ نَفْسَك في تلاوتك باستعمالها ، يَصِرْ لك طبعاً وسجية ، وتحسن ألفاظك بذلك ، وتقرأ على أصل وصواب والله الموفق "[4].

ولذلك فهناك من عرّف التجويد بأنه " ملكة – أي كيفية راسخة في النفس، فإن الكيفية إذا لم تكن راسخة في النفس لا تسمى ملكة بل تسمى حالة – يقتدر بها على إعطاء كل حرف حقه ومستحقه "[5].

والعلم بالتجويد نظرياً لا يكفي لمعرفة الحرف ، وكيفية التلفظ به ، بل لا بد أن يضاف إليه التجويد العملي (التلقي) . كما أن هذا التجويد العملي بدون العلم النظري لا يكفي ؛ لأن معرفة أحكام التلاوة ، هي التي تُسَيِّج طريق التلقي ،

---

(١) ابن أم قاسم المرادي النحوي (شرح الواضحة في تجويد الفاتحة) ، حققه وعلق عليه د. عبدالهادي الفضيلي، دار القلم – بيروت – لبنان ، ص٣٠

(٢) أبو العلاء الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ٥٠/ب

(٣) أبو عمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص٧٠

(٤) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص٢٥٧

(٥) أحمد بن فائز الرومي (شرح رسالة الدرّ اليتيم) ، مكتبة الشيخ أيمن رشدي سويد، ٢٧/أ.

وتصونه من أن تصل إليه يد الشك أو التحريف ، لأن القارئ ربما ينسى – مع بعد العهد أو ترك التعليم – ما تلقاه ، أو يَهِمَ في حرف مما أخذه فما الذي يَرُدَّهُ حينئذ؟!

وفي ذلك يقول مكي : " وليس قول المقرئ والقارئ : أنا أقرأ بطبعي ، وأجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف – من غير أن أعرف شيئاً مما ذكرته – بحجة ؛ بل ذلك نقص ظاهر فيهما ، لأن من كانت هذه حجته يصيب ولا يدري ، ويخطئ ولا يدري ، إذ علمه واعتماده على طبعه ، وعادة لسانه ، يمضي معه أين ما مضى به من اللفظ ، ويذهب معه أين ما ذهب ، ولا يبنى على أصل ، ولا يقرأ على علم ، ولا يقرئ عن فهم . فما أقربَه من أن يذهب عنه طبعه، أو تتغير عليه عادته ، وتستحيل عليه طريقته ، إذ هو بمنزلة من يمشي في ظلام في طريق مشتبه ، فالخطأ والزلل منه قريب. والآخر بمنزلة من يمشي على طريق واضح معه ضياء ، لأنه يبني على أصل ، وينقل عن فهم ، ويلفظ عن فرع مستقيم ، وعلة واضحة ، فالخطأ منه بعيد "[1].

والذي وقع فيه علماء الأصوات اليوم ، هو تركهم سؤال أئمة القراءة المعتبرين – في عصرنا – عن كيفية أداء القرآن الكريم ؛ ليكونوا على طريق مستقيمة فيما يتناولون من قضايا ، وما يجدون من مشكلات ، ولتكون هذه الدراية عوناً لهم على قراءة كتب المتقدمين.

(١) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص٢٥٤.

الفصل الأول

مدخل إلى الحروف العربية

وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : أعضاء النطق عند القدامى والمحدثين

المبحث الثاني : مدخل إلى المخارج

الفصل الأول :
مدخل إلى الحروف العربية ،
وينقسم إلى مبحثين :
المبحث الأول : أعضاء النطق عند القدامى والمحدثين

مصطلحات أعضاء النطق – بشكل عام – واحدة عند القدماء والمحدثين ، ولكن الاختلاف قائم في تحديد المناطق التي تنضوي تحتها هذه المصطلحات .

وسيُعنى هذا الفصل بتحديد هذه المناطق ، وما تعنيه عند كل فريق ، بشكل مختصر وموجز، لأهميتها في هذا المقام بالذات ؛ إذ ترى بعضاً ممن تناولوا الدرس الصوتي عند القدماء ، يمرون على اصطلاحاتهم دون وقفة تأمل عندها ، ودون بحث عن السبب الذي جعل القدماء يختارون هذه المصطلحات ، فكان لا بد من ذكرها هنا .

وربما أتوسع في الأماكن التي تحتاج إلى بسط القول فيها كشرح الحنجرة وغضاريفها، لأهميتها وخاصة لدارسي علم التجويد . وقد اقتضى ذلك أن أستعين بالمتخصصين[1] من أهل الطب في هذا المجال ، لأنهم أهل هذا الفن ، إذ ليس الممارس الخبير المختص كغير المختص .

والاختلاف طبيعي بين القدماء والمحدثين لسببين :

١- تقدم المعرفة وخاصة في مجال التشريح .

٢- الاستعانة بالتقنية العلمية التي أتاحها العصر .

---

(١) هما الدكتور أحمد العياط أستاذ طب التشريح بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، والدكتور محمد بسيوني طبيب الأنف والأذن والحنجرة بالمستشفى السعودي الألماني بجدة ، حيث تفضلا – جزاهما الله كل خير – بالجلوس معي لكي يشرحا لي تشريح أعضاء النطق ، وتفضلا بكتابة ذلك ، وأما المراجع التي استعانا بها ، فقد استعان الدكتور أحمد العياط بـ Clinical anatomy for medical students للدكتور Richard s.Snell ط٤ ١٩٩٢م ، واستعان الدكتور محمد بسيوني بـ Synopsis of otolaryngology ١٩٨٥م .

ومع هذا فإننا سنرى أن الاختلاف – في مجمله – لا يعدو أن يكون خلافاً طفيفاً ، وليس جوهرياً .

عَرّف القدماء أعضاء النطق غير المباشرة في تكوين الأصوات اللغوية كالرئة ، والقصبة الهوائية .

قال الخليل[1]عن القصبة الهوائية : " وقصب الرئة عُروق غلاظ فيها ، وهي مخارج النَّفَس ومجاريه "[2]. لكن أكثرهم لم يذكرها حين تحدث عن مخارج الحروف ، لكونها معلومة بالضرورة .

ومن الذين ذكروها : بدر الدين بن عمر خوج[3]، والدَّرْكَزِّلي[4]في خلاصة العُجالة[5]، وهما من أهل التجويد حيث قال ابن عمر خوج : " والصوت هو الحاصل من دفع الرئة الهواء المحتبس بالقوة الناطقة ، فيتموج ، فيصعد الهواء الساكن ، فيحدث الصوت من قرع الهواء المندفع من الرئة"[6].

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) الخليل (العين)، تحقيق د. مهدي المخزومي د. إبراهيم السامرائي، ط١ – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٥/ ٦٨.

(٣) بدر الدين خوج :بدر الدين بن عمر خوج المكي: فاضل، له اشتغال بالأدب والتاريخ،مولده بمكة ووفاته بها سنة (١١٧٥هـ) . عاش زهاء ٧٥ عاما، له (زهر الخمائل في ذكر من في الحرمين الشريفين من أهل الفضائل) . الأعلام ٢/٤٦.

(٤) الدَّرْكَزِلّي: الحسن بن إسماعيل الحبار الموصلي (ت ١٣٢٧هـ).

(٥) د. غانم قدوري الحمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص ٩٧، طبعة الخلود – بغداد – ط١/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٦) بدر الدين بن عمر خوج بن عطاء الله الملتجي (التحرير السديد بشرح القول المفيد في علم التجويد) مصورة عن المكتبة الأزهرية رقم ١٣٨٨ قراءات ، ٢٤/أ .

وقد قسَّم القدماء أنواع المخارج إلى خمسة مخارج كلية وهي :

١- الجوف [١].

٢- الحلق .

٣- اللسان .

٤- الشفتان .

٥- الخيشوم .

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[٢] : " ويَحْصُر أنواع المخارج : الحلق، واللسان ، والشفتان ، ويعمُّها الفم ، وزاد جماعة ... عليها الجَوف والخياشيم"[٣].

أما المحدثون فقد جَرَوا على نفس هذا التقسيم ، لكنهم أسقطوا مخرج الجَوْف كمصطلح ؛ لأنه لا بد – عندهم – من أن تنسب الحروف إلى جزءٍ معين من أجزاء الحلق أو اللسان أو الشفتين أو الخيشوم .

قال أحدهم: " يتكون جهاز النطق الإنساني من ثلاثة أقسام رئيسية :

١- أعضاء التنفس التي تُقدم الهواء الجاري المطلوب لإنتاج معظم الأصوات اللغوية .

٢- الحنجرة التي تنتج معظم الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام ، وتُعد بمثابة صمام ينظم تدفق تيار الهواء .

---

(١) اختلف القدماء فيه ، فمنهم من عدّه مخرجاً كالخليل وجمهور أهل التجويد ، ونسبوا إليه حروف المد . ومنهم من أسقطه كسيبويه والفراء والجرمي ومن تابعهم من أهل التجويد واللغة ، ونسبوا الألف إلى أقصى الحلق والياء المدية إلى وسط اللسان والواو المدية إلى الشفتين .

(٢) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، أبو يحيى: شيخ الإسلام ، قاض مفسر. ولد سنة (٨٢٣هـ) ، وتوفي سنة (٩٢٦هـ) له تصانيف كثيرة، منها (فتح الرحمن) في التفسير، و (تحفة الباري على صحيح البخاري) و (الدقائق المحكمة) في شرح الجزرية، وغيرها .الأعلام ٤٦/٢.

(٣) شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري (الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد) ، تحقيق د. نسيب نشاوي ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م مطابع ألف باء الأديب – دمشق ، ص٣٠-٣١ .

٣- التجاويف فوق المزمارية التي تقوم بدور حجرات الرنين ، وفيها تتم معظم أنواع الضوضاء التي تستعمل في الكلام "[١] .

وهذه صورة أعضاء آلة النطق لدى الإنسان:

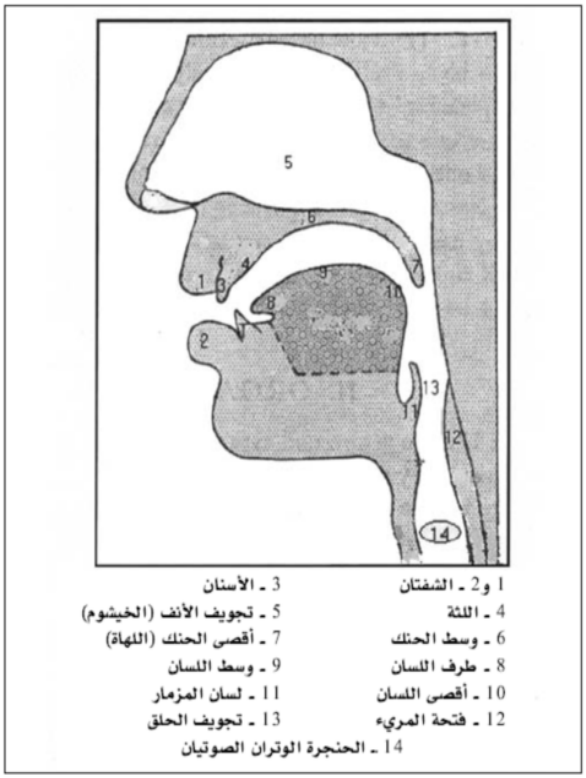

بتجاوز النقطة الأولى ، فإننا سوف نرى أن الحنجرة تُعد من منطقة الحلق عند القدماء ، وأما التجاويف فوق المزمارية ، فتشمل الحلق ، واللسان ، والشفتين ، والخيشوم .

وفي الشكل رسم مبسط لجهاز النطق الإنساني ، ويظهر فيه الوتران الصوتيان ، والتجاويف فوق المزمارية، والحنك اللين الذي يتحكم في مرور الهواء إلى تجويف الأنف أو الفم .

المطلب الأول: منطقة الجوف

أ- الجوف عند أهل المعاجم :

قال الفيومي[٢]: " الجوف : الخلاء . وهو مصدرٌ من باب تَعِب ، فهو أجوف ، والاسم (الجوف) بسكون الواو والجمع أجواف. هذا أصله، ثم استعمل فيما يقبل الشغل والفراغ ، فقيل : جَوْف الدار لباطنها وداخلها ، وجَوَّفته تجويفاً

(١) د. أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ١٤١١هـ-١٩٩١معالم الكتب – القاهرة ص١٠٠.

(٢) الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، لغوي، اشتهر بكتابه (المصباح المنير) ، وله أيضا (نثر الجمان في تراجم الاعيان) و (ديوان خطب) توفي سنة (ت ٧٧٠ هـ) . الأعلام ٢٣٤/١.

جعلت له جَوْفاً "[1] . وقال ابن دُرَيد"[2] " وجَوْف كل شيء : باطنه "[3]. وقال: " وجَوْف كل شيء : قعره وداخله "[4] .

ومن هنا سُمي البطن جَوْفاً ، وكذلك الفَرْج والقلب والصدر .

قال ابن منظور [5]: " وجَوْف الإنسان : بطنه ، معروف ... والجَوْف : ما انطبقت عليه الكَتِفان والعَضُدان والأضلاع والصُّقلان[6] ، وجمعها (أجواف) ... وفي حديث خلق آدم عليه السلام : (فلما رآه أجوف عرف أنه خَلْق لا يتمالك). الأجوف الذي له جَوْف ، ولا يتمالك أي لا يتماسك ... والأَجْوفان : البَطْن والفرج لاتساع أجوافهما "[7] ، وقال ابن الأثير[8] عن حديث : " لا تنسوا الجوف وما وعى " أي ما يدخل إليه من الطعام والشراب ويجمع فيه ، وقيل : أراد بالجَوْف : القلب ، وما وعى : ما حَفِظ من معرفة الله تعالى ، وقيل : أراد بالجَوْف: البطن والفرج معاً "[1] .

---

(١) أحمد الفيومي (المصباح المنير) المكتبة العلمية – بيروت – لبنان ١١٥/١ .

(٢) (ابن دريد) : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب ، وهو صاحب (المقصورة الدريدية) ولد عام (٢٢٣هـ) ، وتوفي سنة (٣٢١ هـ) ومن كتبه (الاشتقاق) في الأنساب، و (المقصور والممدود) و(الجمهرة) في اللغة، و (ذخائر الحكمة) وغيرها .

(٣) ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (الجمهرة) ، الناشر مكتبة التراث – مكة دار صادر – بيروت٢٢٦/٣ .

(٤) المرجع السابق ١٠٨/٢ .

(٥) ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ) ، كان عالما في الفقه واللغة، أشهر أعماله وأكبرها هو "لسان العرب". الأعلام ١٠٨/٧.

(٦) الصقلان : الخاصرتان والجنبان (لسان العرب ٣٨٠/١١) .

(٧) أبي الفضل جمال الدين بن منظور (لسان العرب) ، دار صادر – بيروت – لبنان، ٣٤/٩-٣٥ .

(٨) ابن الأثير : المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المحدث اللغوي الأصولي، ولد عام (٥٤٤هـ) ، توفي سنة (٦٠٦هـ) ، من كتبه " النهاية في غريب الحديث والأثر " و " جامع الأصول في أحاديث الرسول " جمع فيه بين الكتب الستة، و غيرها. الأعلام ٢٧٢/٥.

(١) ابن الأثير (النهاية في غريب الحديث والأثر): تحقيق طاهر الزاوي – محمود الطناحي ، دار الفكر للطباعة والنشر لبنان – بيروت ٣١٦/١ .

بعد هذه المقدمة عند أهل اللغة ، ما الذي قصده القدماء من مصطلح الجَوْف حينما تنالوه صوتياً ؟

هل أرادو به جَوْف الحلق ؟ أو جَوْف الفم ؟ أو هما معاً ؟ أو غير ذلك ؟

هذا ما سنبحثه في الفقرة القادمة إن شاء الله .

ب- الجوف عند الخليل في العين :

جاء في ترتيب الخليل : " فدبَّر ونظر إلى الحروف كلِّها وذاقها ، فوجد مخرج الكلام كلَّه من الحلق "[٢] .

وقال الخليل : " في العربية تسعة وعشرون حرفاً : منها خمسة وعشرون حرفاً صِحاحاً لها أحيازٌ ، ومدارج ، وأربعة أحرف جُوف ، وهي : الواو والياء والألف اللِّينة والهمزة[٣] ، وسُميت جُوفاً لأنها تخرج من الجَوف ، فلا تقع في مَدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مَدرج اللهاة ، إنما هي هاوية في الهواء ، فلم يكن لها حيِّز تُنسب إليه إلا الجَوف . وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هوائية ، أي أنها في الهواء "[٤] .

بتأمل ما سبق ، نجد أن الخليل قد جعل مخرج الكلام كلَّه من الحلق – ولعله بهذا يشير إلى جزء من الحلق ، وهو الحنجرة ، مصدرُ التصويت ، لأنه سيأتي أن الحنجرة تُعدُّ من منطقة الحلق عند القدماء – فلم ينسب أي صوت لغوي إلى منطقة أسفل من الحلق ، كتجويف البطن أو الصدر مثلاً ، وانتفى – من كلامه – أن يكون قد قصدهما فعلاً ، فلم يبق عندنا إلا جَوف الحلق أو الفم ، ويؤيده :

---

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي (العين) ، تحقيق د. مهدي المخزومي د. إبراهيم السامرائي ، ط١ – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ٤٧/١ .

(٣) سيتم مناقشة الهمزة في فصل مخارج الحروف ص٤٥.

(٤) الخليل (العين) ٥٧/١ .

١- قوله : (فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ...) ، لأن هذه الأحرف تختلف عن الحروف الصِّحاح في حرية مرور الهواء في مجرى الحلق والفم ، وعدم انضغاطه كانضغاطه في الحروف الصِّحاح .

٢- قول مكيّ بن أبي طالب: " الحروف الهوائية وهي أيضاً حروف المدِّ واللِّين... وإنما سميت بالهوائية ، لأنهن نُسبن إلى الهواء ، لأن كل واحدة منهن تهوي عند اللفظ بها في الفم ، فَعُمدة خروجها في هواء الفم "[١] ، وقوله عن الألف : " وهي صوت هوائي يخرج من هواء الحلق متصلاً بهواء الفم، لا يَعتمد على مخرج معين "[٢] .

٣- أن أكثر من جاء بعده ممن تناولوا هذا المصطلح ، لم يعرفوا منه إلا جَوف الحلق والفم ، كما سنراه عند أهل التجويد .

ج- الجوف عند أهل التجويد :

من النصوص الواردة عن أهل التجويد ما ذكره مكي (فوق) ، وقال أحمد بن الجزري[٣] : " مخرجهن – أي الألف والواو والياء – من جَوف الفم والحلق"[١] . وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[٢]: " الجَوف وهو الخلاء الداخل في الفم "[٣] ، والنصان الأخيران يُطلق أحدهما الجوف على خلاء الفم (التجويف الفموي) ، وآخر يُطلقه على جوف الحلق والفم (التجويف الفموي والحلقي) .

---

(١) مكي بن أبي طالب(الرعاية) ص١٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص٩٤-٩٥ .

(٣) ابن الجزري (الابن): أحمد بن محمد بن محمد، أبو بكر، ابن الجزري القرشي الشافعي: مقرئ، دمشقي المولد والوفاة. أخذ عن أبيه وغيره وسمع القراءات الاثنتي عشرة، وتصدر للتدريس. ومات نحو سنة (٨٣٥هـ) له (الحواشي المفهمة في شرح المقدمة الجزرية). انظر الأعلام ٤ /٢٠٦.

(١) المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية لملا علي بن سلطان القاري، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م، الناشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ص١٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص٤

(٣) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية ص٣١ .

وقد وَفق مُلا علي القاري[٤] بين النصين فقال : "هذه الحروف تنتهي إلى هواء الفم ، من غير اعتماد على جزء من أجزائه ، ولذا يقال لهذه الحروف : جَوفية وهوائية ، وقول ابن المصنف: "مخرجهن من جَوف الفم والحلق " ، يريد أن مبدأها مبدأ الحلق ، ويمتد ويمر على كل جَوف الفم ، وهو الخلاء الداخل فيه ، فإنهن لا حيِّز لهن محقق تنتهي إليه ، بل تنتهي بانتهاء الهواء ، أعني هواء الفم ، وهو الصوت"[٥] .

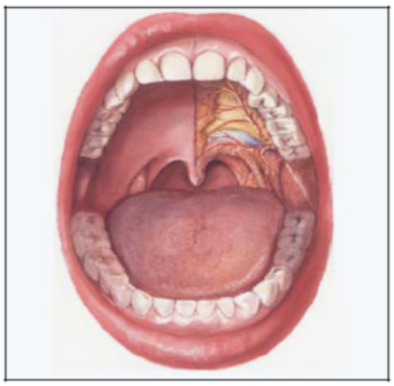
صورة تجويف الفم من الداخل

فالنتيجة التي نصل إليها أن الجَوف عند القدماء مصطلح يطلق على الفراغ الحلقي والفموي.

المطلب الثاني: منطقة الحَلْق

أ- الحلق عند القدماء

إن تحديد منطقة الحلق عند القدماء له أهمية كبرى ، وخاصة فيما يتعلق بالحروف الحلقية ؛ لأن القدماء قد قسموا هذه المنطقة إلى أقصى ، ووسط، وأدنى، وجعلوا كل قسم خاصاً بأصوات معينة كما سيأتي في مخارج الحروف، وقد ذكرت لنا بعض كتب المعاجم أن الطرف الأسفل لهذه المنطقة يكون في الرئة، وأن طرفها الأعلى يكون في أصل اللسان ، قال ابن سيده[١]: " والحلقوم مجرى النفس

---

(٤) ملا علي القاري : علي بن (سلطان) محمد، نور الدين، الملا الهروي القاري: فقيه حنفي، وتوفي سنة (١٠١٤هـ) ، وصنف كتبا كثيرة، منها " تفسير القرآن " ثلاثة مجلدات، و " والمنح الفكرية في شرح الجزرية " و " شرح الشاطبية " في القراءات وغيرها . انظر الأعلام ١٢/٥.

(٥) ملا علي القاري (المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية) ص١٠ .

(١) ابن سيده : علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده : إمام في اللغة وآدابها، ولد عام (٣٩٨ هـ) وتوفي سنة (٤٥٨ هـ) ، وصنف " المخصص" ، و" المحكم والمحيط الأعظم " ، و "شرح ما أشكل من شعر المتنبي"، وغير ذلك .الأعلام ٢٦٤/٤.

والسعال من الجوف ، وهو أطباق غراضيف ليس دونه من ظاهر باطن العنـــق إلا جلد ، وطرفه الأسفل في الرئة ، وطرفه الأعلى في أصل عُكدة اللسان ، ومنه مخرج النفس ، والريح ، والبصاق ، والصوت "[٢] .

عند التأمل في هذا النص نجد أنه استعمل (الحلقوم) بدلاً من (الحلق) ، فهل همـــا مترادفان؟ هذا ما تذكره بعض معاجم اللغة ، قـــال الجـــوهري[٣]: " الحلقـــوم : الحلق"[٤] ، وقال ابن سيده : " والحلقوم كالحلق ، فعلوم عند الخليل ، وفعلول عند غيره "[٥] ، وقال ابن منظور : " الحلقوم : الحلق "[٦] ويتضح لنا أيضاً أن الحنجرة والجزء الأخير من الحنك اللين داخلان في منطقة الحلق عند القدماء ؛ لأنه طالما أن الطرف السفلي من الحلق يكون في الرئة فهو يشمل الحنجرة قطعـــاً ، وطالمـــا أن الطرف العلوي هو أصل اللسان ، فهو بهذا يقابل نهاية الحنك اللين ويكون داخلاً في منطقته.

وجاءت تعريفات أهل اللغة للحنجرة كما مثَّلها نص ابن منظور إذ يقول : "والحنجرة: طبقان من أطباق الحلقوم مما يلي الغلصمة ، وقيـــل : الحنجـــرة رأس الغلصمة حيث يُحدد ، وقيل : هو جَوف الحلقوم ، وهـــو الحنجـــور والجمـــع حَنْجَر"[١] .

ومن خلال النص السابق يتأكد لنا أن الحنجرة تُعدُّ جزءاً من الحلقوم عنـــد القدماء ، وأنها تتكون من غضاريف ، ويُفهم هذا من قولـــه : " طبقـــان مـــن

---

(٢) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لعلي بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط١ / ١٣٩١هـــ-١٩٧١م مجمع اللغة العربية ٣٤/٤ .

(٣) الجوهري :إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر(ت ٣٩٣ هـــ) لغوي، أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في العروض، ومقدمته في النحو. الأعلام ٣١٣/١.

(٤) الجوهري (الصحاح) ١٩٠٤/٥ .

(٥) ابن سيده (المحكم والمحيط الأعظم في اللغة) ٢/٣-٣ .

(٦) ابن منظور (لسان العرب) ١٥٠/١٢ .

(١) ابن منظور (لسان العرب) ٢١٦/٤ .

أطباق... " ، وأنها تشمل الغلصمة (لسان المزمار) ، ويُفهم هذا من قوله " رأس الغلصمة ...".

وجاء وصف الشيخ الرئيس ابن سينا[٢] – وهو الطبيب – للحنجرة وغضاريفها دقيقاً يقرب من الوصف الحديث لها ، قال : " الحَنجرة عضوٌ غضروفي خُلق آلة للصوت ، وهو مؤلف من غضاريف ثلاثة ، أحدها : الغضروف الذي يناله الجَسّ ، والجَسّ قدَّام الحلق تحت الذقن ، ويسمى الدَّرقي والتُّرسي ؛ إذ كان مقعر الباطن محدَّب الظهر يشبه الدرقة وبعض الترسة . والثاني غضروف موضوع خلفه يلي العنق مربوط به ، يُعرف بأنه الذي لا اسم له . وثالث مكبوب عليهما يتصل بالذي لا اسم له ، ويلاقي الدَّرقي من غير اتصال ، وبينه وبين الذي لا اسم له مفصلٌ مضاعف بنقرتين فيه تهندمٌ فيهما زائدتان من الذي لا اسم له ، مربوطتان بهما بروابط ، ويُسمى المكبي والطرجهاري "[١] .

أما وصف الحنجرة في العلم الحديث فهي تتكون من غضاريف ، ترتبط مع بعضها بأربطة تتحرك بواسطة عضلات ، ومُحاطة من الداخل بغشاء مبطن . والشكل المقابل يوضح الحنجرة خارجياً ، وغضاريفها الرئيسة مع عضلاتها .

صورة غضاريف الحنجرة من الخارج

ب- غضاريف الحنجرة Larynx Cartilages

١- الغضروف الدَّرقي (التُّرسي) Thyroid Cartilage: وهو أكبر غضروف ، يتكون من صحيفتين يلتقيان في المنتصف مثل الكتاب المفتوح حيث يُكوِّنان بروزاً حنجرياً يُعرف باسم تفاحة آدم ، وهذا البروز تقدر زاويته الداخلية بحوالي ٩٠° عند

(٢) ابن سينا : هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. توفي سنة(ت ٤٢٧هـ) عرف باسم الشيخ الرئيس. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب . الأعلام ١٤١/٢.

(١) ابن سينا (القانون في الطب) ٦٤/١ .

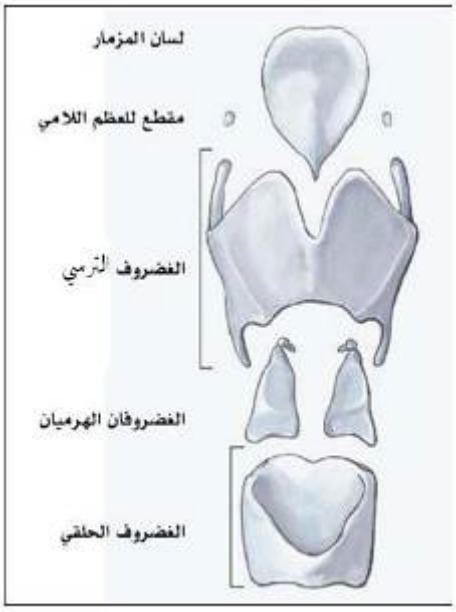

غضاريف الحنجرة (مفككة)

الرجال و ١٢٠° عند النساء ولهذا فإن البروز عندهن يكون أقل من الرجال ، والطيَّتان الصوتيتان[٢] أقصر عندهن من الرجال (٢.٥سم في الرجال و١.٦سم في النساء) مما يفسِّر الاختلاف في درجة الصوت بينهن وبين الرجال (غليظ في الرجال ، وحادٌّ في النساء) .

والذي أراه أنه من الأفضل عند الحديث عن النواحي التشريحية إيراد مصطلح (الطيات أو الثنيات) ، وعند الحديث عن وظيفة هذه الطيات في عملية (التصويت) إيراد مصطلح (الأوتار الصوتية) . ويوضح الشكل المقابل غضاريف الحنجرة الرئيسية .

٢- الغضروف الذي لا اسم له (الحَلَقي – القاعدي) Cricoid Cartilage: ويلي الغضروف الدَّرقي في الحجم ، ويقع أسفله . وشكله شبيه بخاتم الإصبع .

٣- الغضروفان الطِّرجْهاريان (الهرميان) Arytcnoid Cartilage : وهما صغيرا الحجم ، ومركَّبان على جانبي الجزء الخلفي للغضروف الحَلَقي (ولهما زائدتان) وتتصل بهما الطيتان الصوتيتان من ناحيتهما الأمامية ، والعضلات المحرِّكة لهما من ناحيتهما الجانبية . وهذان الغضروفان يمكن أن يترلقا، وأن يستديرا ، أو يتأرجحا[١]: بحسب نوعية الصوت (مجهور ، أو مهموس ، أو همزة قطع ... الخ) .

---

(٢) هذا المصطلح مأخوذ من كتاب (أطلس ملون لتشريح جسم الإنسان ٥٢) وهو مصطلح يفي بالمقصود تماماً في هذا الباب . لأن الأوتار الصوتية في الحقيقة تشبه الطيات أو الثنيات.

(١) د.أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص١٠١.

٤- غضروف الغَلْصمة (لسان المزمار) Epiglottis: وهو عبارة عن جزء غضروفي يشبه ورقة الشجر ، أو مَضْرب الكرة يتصل الجزء الضيق منها (يد المضرب) بزاوية الغضروف الدَّرقي من الداخل ، على حين يظلُّ الجزء العريض بدون التصاق . وتبرز الغلصمة لأعلى داخل البلعوم مواجهة الجزء الخلفي من اللسان ، وتكون مرتبطة به بواسطة ثلاثة أربطة.

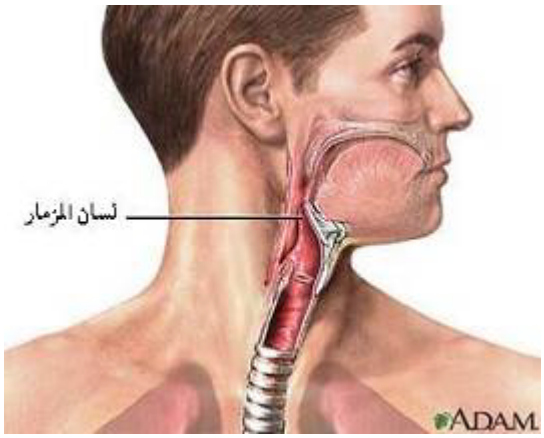

وللغلصمة أهمية كبرى في إنتاج حرفي العين والحاء[١]، وكذلك في صفة التفخيم[٢]التي تصاحب بعض الحروف.

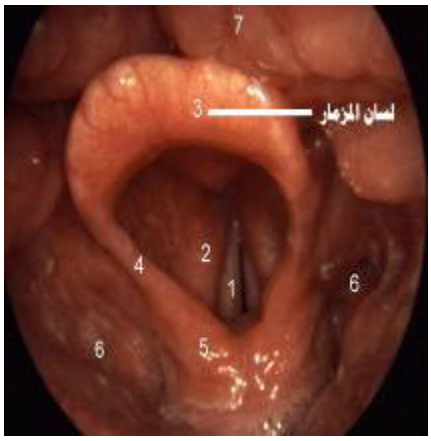

٥- غضاريف صغيرة : وهما زوجان يدعمان فتحة الحنجرة (صمام المدخل) .

ج- صِمَامات الحنجرة

يوجد صِمامان للحنجرة :

١- عند مدخل الحنجرة ويستعمل عند البلع فقط حيث تضيق فتحة المدخل بواسطة عضلات ، وفي نفس الوقت تُدفع الغلصمة للخلف بواسطة اللسان، فتكون غطاء لفتحة الحنجرة يمرُّ عليها الطعام في طريقه إلى المريء.

٢- عند فتحة المزمار ، وهذا الصمام يمكن تقسيمه إلى جزئين :

- بين الطيتين الصوتيتين .

---

(١) انظر مخرج العين والحاء ص ٤٨ .

(٢) ويلاحظ عند الإتيان به ارتفاع مؤخرة اللسان إضافة إلى تضييق الحلق.

- بين الغضروفين الطّرجهاريين (الهرميين) .

ويتم التحكم فيه بواسطة مجموعة من العضلات ، لتغيير شكل الصمام حسب الوظيفة المطلوبة وهي :

- التنفس العادي .
- درجة الصوت (حاد أو غليظ ويختلف تبعاً لارتخاء أو شد الطيتين الصوتيتين) .
- نوعية الصوت ويكون إما (مجهوراً ، أو مهموساً ، أو موشوشاً[1] ، أو همزة قطع).

د- الحلق عند المحدثين

اختلف فيه المحدثون :

١- فمنهم من أطلقه على الجزء الذي بين الحنجرة والفم[1] . وسماه بعضهم الفراغ الحلقي أو التجويف الحلقي[2] .

٢- ومنهم من أضاف إلى الأول منطقة ما فوق الحنك اللين (أقصى التجويف الأنفي) ، وهم أهل الطب ، ومن تابعهم من المحدثين[3] ، لكنهم أطلقوا عليه مصطلح البلعوم[4] وسيأتي شرحه .

---

(١) وضع الوشوشة كما هو ملاحظٌ من الشكل يتمُّ بترك فجوة بين الغضروفين الهرميين والطيتين الصوتيتين مع ملاحظة اشتراك الطيات الصوتية الكاذبة في هذا الوضع ، والتي لا تشترك إلا في الوشوشة وهمزة القطع فقط .

(٢) إبراهيم أنيس " الأصوات اللغوية " ، مكتبة الأنجلو المصرية – ط٦ القاهرة ١٩٨١م ص١٨ ، وكمال بشر " الأصوات " ط٧ دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٨٠م، ص٦٩ .

(٢) كمال بشر " الأصوات " ص٦٩ – محمود السعران " علم اللغة مقدمة للقارئ العربي " ، دار النهضة العربية (بيروت – لبنان)ص١٣٥ ، ورمضان عبدالتواب " المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي" ط٢ / ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ص٢٦ .

(٣) سعد مصلوح " دراسة السمع والكلام " عالم الكتب – القاهرة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، ص١٣٦ .

٣- وثالث تابع الفريق الثاني ، لكنه جعل البلعوم مرادفاً لمصطلح الحلق[٥] ، فمثلاً يُسمي البلعوم الأنفي : الحلق الأنفي ، والبلعوم الفموي : الحلق الفموي ، لكنني لم أجد من جعله كذلك في أي معجم – فيما اطلعت عليه – حتى في المعاجم الخاصة بعلم اللغة[١] .

والبلعوم (الذي يعني عند أهل الطب الفراغ الحلقي مع أقصى التجويف الأنفي وما فوق الحنك اللين) أنبوبة عضلية ، يتكون من عضلات طولية ، وأخرى دائرية ، وهي ثلاث عضلات دائرية ، منقبضة ، تحيط كل واحدة منها بالأخرى ، وتشبه أوعية الزهور عندما يوضع كل واحد في الوعاء الذي تحته ويبلغ طوله حوالي ١٢.٥ سم .

والبلعوم يمتد من قاع الجمجمة ، حتى يتصل بالمريء ، خلف الجزء الأخير من الحنجرة ، وهو هكذا يمرُّ خلف الأنف ، ثم خلف الفم ثم خلف الحنجرة ، ولذلك فهو ينقسم إلى الأجزاء الثلاثة الآتية :

١- البلعوم الأنفي : ويقع خلف الأنف ، وفق الحنك اللين ، ويمر به الهواء فقط.

٢- البلعوم الفموي : ويقع خلف الفم وتحت الحنك اللين ، ويمر به كل من الهواء والطعام .

---

(٤) مصطلح البلعوم مشتق من البلع ، فعلى ذلك التوسع في مصطلح البلعوم ليشمل جزءاً من منطقة الأنف فيه نظر .

(٥) عبدالله ربيع وعبدالعزيز علام " علم الصوتيات " مكتبة الطالب الجامعي ط٢/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م مكة المكرمة ص٩٩ ، وانظر تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) دار الثقافة ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م الدار البيضاء – المغرب ، ص١١١ .

(١) انظر مصطلح pharynx في (المغني الأكبر معجم مصطلحات اللغة الإنجليزية الكلاسيكية والمعاصرة والحديثة) ، وضع حسن سعيد الكرمي مكتبة لبنان ١٩٨٧م، ص٩٧٨ . و(معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) وضع نخبة من اللغويين العرب ، مكتبة لبنان ط١ / ١٩٨٣م ، ص٦٧ ، (معجم علم اللغة النظري)وضع الدكتور محمد علي الخولي ، مكتبة لبنان – بيروت ط١ / ١٩٨٢م،ص ٢٠٨ .

٣- البلعوم الحَنجري : ويقع خلف الحنجرة ويمر به الطعام فقط .

ويشبه البلعوم شكل المخروط ، حيث يبلغ اتساع طرفه العلوي حوالي ٢.٥ سم من جانب إلى آخر ، وحوالي ١.٢ سم من الأمام إلى الخلف ، ويَضيق المخروط تدريجياً كلما نَزلنا إلى أسفل حتى مستوى فتحة الحنجرة ، حيث تقترب بعدها جدران البلعوم من بعضها ، وتبتعد فقط عند مرور الطعام ، " وتقوم نظام العضلات المضيِّقة والرَّافعة بالإضافة إلى ما يتمتع به الحد الأمامي للبلعوم من قدرة عظيمة على الحركة بالتحكم في أبعاد فراغ البلعوم ، وتغيير شكله . ولهذه التغييرات تأثيرات كبيرة على فراغ البلعوم من حيث كونه واحداً من أهم فراغات الرنين ، التي تتعرض لنغمة الحنجرة بالتَّكَيُّف والتعديل بوسائل شتى من الترشيح والتقوية والرنين "[1] .

ونستطيع من خلال هذه الميكانيكية التعرف على آلية أعضاء النطق عند خروج الأصوات .

(١) سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص١٤٣-١٤٤ .

المطلب الثالث: منطقة الفم

(الحنك واللسان والأسنان والشفتان)

أ- الحنك

الحنك عند القدماء

قال ابن سيده : " في الفم ، الحنك ، وهو سقف أعلى الفم ... وقال أبو حاتم[٢]: الحنك باطن أعلى الفم من داخل "[١] وقسَّمه القدماء إلى أربع مناطق :

١- الحفَّاف (منطقة اللهاة وما جاورها) :

عرَّف ابن منظور الحفَّافَ فقال : " والحفَّاف : اللحم الذي في أسفل الحنك إلى اللهاة "[٣] ، وعرَّف اللَّهاة فقال : " اللهاة : الهَنَة المطبقة في أقصى سقف الفم "[٤] ، وقال ابن سيده نقلا عن الأصمعي " اللهاة اللَّحْمة المسترخية على الحلق "[٥] .

٢- منطقة شَجْر الفم : قال الخليل والشَّجْر مَفرِج الفم "[٦] ، " وهو متفتح ما بين اللَّحيين"[٧] ، " واللحيان حائطا الفم ، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم من كلِّ ذي لَحْي "[٨] ، وقيل : هو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى "[٩] .

---

(١) أبو حاتم السجستاني : (٢٤٨هـ) سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني : من كبار العلماء باللغة والشعر ، كان المبرد يلازم القراءة عليه ، له نيف وثلاثون كتاباً ، منها كتاب (المعمرين) و (ما تلحن فيه العامة) و(المختصر) في النحو على مذهب الأخفش وسيبويه ، وله شعر جيد . الأعلام ٣/ ١٤٣.

(٢) أبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده (المخصص) دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ١٥٦/١ .

(٣) لسان العرب ٥١/٩ . وهو الحنك اللين ، وأول من أشار إلى هذا النص المستشرق الفرنسي " هنري فلش " في كتابه " العربية الفصحى نحو بناء لغويّ جديد " تعريب الدكتور عبدالصبور شاهين .

(٤) ابن منظور (لسان العرب) ٢٦١/١٥ .

(٥) ابن سيده (المخصص) ١٥٧/١ .

(٦) الخليل (العين) ٣٢/٦ .

(٧) زكريا الأنصاري (الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية) ص٣٤ .

(٨) ابن منظور (لسان العرب) ٢٤٣/١٥ .

(٩) محمد مكي نصر (نهاية القول المفيد في علم التجويد) ، مطبعة البابي الحلبي ١٣٤٩هـ، ص٣٤ .

٣- منطقة النِّطع : قال الخليل: "والنِّطْع مثل فِخذْ وفَخْذ: ما ظهر من الغار الأعلى ، وهي الجلدة الملتصقة بعظم الخُلَيقاء[١]، وفيها آثار كالتحزيز، ويجمع على نطوع "[٢].

٤- منطقة اللثة : قال ابن سيده: " في الفم اللثة ، وهي اللحم على أصول الأسنان يُمسكها "[٣].

الحنك عند المحدثين

ينقسم الحنك عند المحدثين إلى:

١- مقدَّم الحنك أو اللثة.

٢- وسط الحنك أو الحنك الصلب[٤].

٣- أقصى الحنك أو الحنك اللين[٥].

وإليك تعريفاً مبسطاً لكل قسم من هذه الأقسام :

١- مقدَّم الحنك : هو ذلك القسم من سقف الحنك الواقع خلف الأسنان العليا مباشرة ، وهو مُحدَّب ومحزَّز.

أما الحد الفاصل بين اللثة وبين ما يليها من الحنك الصلب ، فهو ذلك الموضع من سقف الحنك الذي ينتهي فيه التحدب ويبدأ التقعر.

واللثة من أعضاء النطق الثابتة.

٢- ٣- أما بقية الحنك فهو يُقسم – كما ذكرنا – إلى وسط الحنك أو الحنك الصلب ، وأقصى الحنك أو الحنك اللين[٦] .

بالنظر إلى ما سبق ، يتضح لنا أن منطقة مقدم الحنك أو اللثة عند المحدثين ، تشمل منطقة اللثة والنِّطع عند القدماء ، كما أن منطقة الحنك الصلب عند

---

(١) قال ابن سيده : " الخليقاء باطن الغار الأعلى " (المخصص ١٥٧/١) .

(٢) الخليل (العين) ١٦/٢.

(٣) ابن سيده (المخصص) ١٤٤/١.

(٤) سمي صلباً لأنه جزء عظمي.

(٥) سمي ليناً لأنه جزء لحمي.

(٦) محمود السعران (علم اللغة) ١٣٣-١٣٤ .

المحدثين ، تقابلها عند القدماء منطقة شجر الفم أما منطقة الحنك اللين ، فيقابلها عند القدماء منطقة اللهاة وما جاورها .

ب- اللسان

اللسان عند القدماء

قسَّمه القدماء إلى :

١- أقصى اللسان .

٢- وسط اللسان .

٣- حافة اللسان .

٤- طرف اللسان (أدنى اللسان) ويدخل في طرفه أسَلته .

قال ابن سيده: " وفي اللسان عَذَبته وهو طرفه ، وفيه أسَلته وهو طرفه حيث استَدق " .[١]

اللسان عند المحدثين

تقسيم اللسان عند المحدثين ، لا يعدو ما قاله القدماء لكنهم أسقطوا حافة اللسان بوصفها مخرجاً لبعض الأصوات كالضاد واللام ، وفي ذلك يقول أحدهم عن تقسيم المحدثين : " يكفي لأغراض الدراسة الصوتية أن يُقسَّم اللسان إلى ثلاثة أقسام :

١- الجزء المقابل للحنك اللين (لأقصى الحنك) ، في الحالات العادية ، ويسمى أقصى اللسان (مؤخر اللسان) .

٢- والجزء الذي يقابل الحنك الصلب (وسط الحنك) في الأحوال العادية، ويعرف بـ (وسط اللسان)[٢] .

٣- والجزء الذي يقابل اللثة ، ويسمى طرف اللسان .

أما نهاية اللسان (ذَلق اللسان أو ذَوْلقه) ، فهي داخله في الجزء الذي اصطلح على تسميته بطرف اللسان[٣].

---

(١) ابن سيده (المخصص) ١/١٥٥ .

(٢) بعضهم أطلق على هذا الجزء مقدم اللسان . انظر أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص١٠٧ .

(٣) محمود السعران (علم اللغة) ١٣٨-١٣٩ .

ج- الأسنان

أدرك القدماء أن للأسنان دوراً رئيسياً في تكوين بعض الأصوات اللغوية ، فاعتنوا بها ووصفوها بدقة ، وأقدم من حصرها في مصنف – في ما اطلعت عليه – ابن سيده حيث قال : " جِماع الأسنان : الثنايا ، والرَّباعيات ، والأنياب ، والضواحك ، والطواحن ، والأَرْحاء ، والنَّواجذ ، وهي اثنتان وثلاثون سناً من فوق وأسفل : أربع ثنايا ؛ ثنيتان من فوق ، وثنيتان من أسفل ، ثم يلي الثنايا أربع رباعيات ، ثنتان من فوق ، وثنتان من أسفل ، ثم يلي الرباعيات الأنياب ، وهي أربعة ؛ نابان من فوق ، ونابان من أسفل... ثم يلي الأنياب الضواحك ، وهي أربع أضراس ، إلى كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك ، ثم يلي الضواحك الطواحن والأرحاء ، وهي اثنتا عشرة في كل شِدق ست ؛ ثلاث من فوق وثلاث من أسفل ... ثم يلي الأرحاء النواجذ ؛ أربع أضراس ، وهي آخر الأضراس نباتاً"[1] .

وهذا التقسيم لا تجده عند أكثر المحدَثين[2] .

قال أحدهم : " الأسنان من أعضاء النطق الثابتة ، ويقسمها علماء الأصوات إلى قسمين : أسنان عليا وأسنان سفلى ، وللأسنان وظائف مهمة في عدد من الأصوات "[3] .

والشكل أعلاه يوضح ألقاب الأسنان كما جاءت في كتب التراث .

---

(١) ابن سيده (المخصص) ١/١٤٦-١٤٧ .

(٢) انظر كمال بشر (الأصوات) ص٧١ ، ومحمود السعران (علم اللغة) ص١٤٠ .

(٣) د.كمال بشر (الأصوات) ص٧١ .

٤- منطقة الشفتين

عرف القدماء والمحدثون على السواء دورَ الشفتين في إنتاج بعض الأصوات ولا يعنينا التفصيل فيها لوضوحها ، ولاتفاق القدماء والمحدثين على المصطلح .

٥- منطقة الخيشوم (التجويف الأنفي)

قال أبو عمرو الداني: " والخيشوم : الخَرْق المنجذب إلى داخل الفم "[١] ، وقال جعفر بن مكي الموصِلي[٢]: " وهو المُركَّب فوق غار الحنك الأعلى "[٣].

أما تعريفه عند المحدثين ، فهو تعريف قائم على وظيفته حيث يقول الدكتور إبراهيم أنيس " وهو العضو الذي يندفع خلاله النفس مع بعض الأصوات كالميم والنون . هذا إلى أنه يُستغل كفراغ رنَّان يُضخِّم بعض الأصوات حين النطق "[٤] . يتضح لنا من خلال العرض السابق لأعضاء النطق عند القدامى والمحدثين أن المصطلحات تكاد تكون واحدة ، والاختلاف بينهم يكاد يكون طفيفاً ، " فهل هناك حاجة بعد ذلك إلى تغيير المصطلحات ؟ وهل هناك ما يمنعنا من التمسك باصطلاحات علمائنا المتقدمين ، ويدعونا إلى تفضيل التسميات الحديثة ، أو الأخذ بالتقسيمات العصرية التي يَعمد إليها بعض العلماء اليوم[٥] ، فإن كان ولا بد جيء بالمصطلح العربي وما يقابله من المصطلح الأجنبي ، هذا إذ أردنا أن نحافظ على

---

(١) الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص ١١١ .

(٢) الموصلي : جعفر بن مكي بن جعفر، الموصلي (ت ٧١٣هـ) :عالم بالقراءات، من أهل الموصل، له (الكامل الفريد في التجويد والتفريد) . الأعلام ١٣٠/٢،وغاية النهاية ٩٨/١.

(٣) أبو موسى جعفر بن مكي الموصلي (الكامل الفريد في التجويد والتفريد) ، يوجد نسخة منه في جامعة الملك سعود (رقم الميكروفيلم ١/٣٤١-د) ، مصورة عن المكتبة الوطنية بفيينا-لوبنشتاين ٢٠٤١ ضمن مجموع، ٣١/أ .

(٤) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ١٨ .

(٥) صبحي الصالح (دراسات في فقه اللغة) ، ط١١ – دار العلم للملايين – بيروت لبنان/١٩٨٦م "بتصرف" ٢٢٧ .

المصطلحات التي كُتب بها تراثنا الصوتي ، ونحميها من الضياع ، ونصل حاضرنا بماضينا .

ولا يرد هنا غرابة هذه المصطلحات ، فالأمر لا يخرج عن أن يكون إلفاً لغوياً لها . والجدول التالي يبين مصطلحات أعضاء النطق عند القدماء والمحدثين.

م	القدماء	المحدثون	المصطلح الأجنبي
١	الحَنجرة	الحنجرة	Larynx
٢	الغَلْصَمة	لسان المزمار	Epiglottis
٣	اللّهاة وما جاورها/أقصى الحنك/ الحفَّاف	الحنك اللّين/الطَّبَق	Velum/Soft palatc
٤	شَجْر الفم	الحنك الصَّلب	Hard Palate
٥	النِّطعْ	منطقة ما فوق اللِّثة	Alvcolar Ridge
٦	اللِّثة	اللِّثة	Maxilla
٧	اللِّسان	اللِّسان	Tongue
٨	أقصى اللِّسان	أقصى اللِّسان/مؤخِّر اللِّسان	Dorsum/Back
٩	وسط اللِّسان وبمحاذاته حافَّة اللِّسان	وسط اللِّسان / مقدَّم اللِّسان	Middle/Front
١٠	طرَف اللِّسان/ذَلَق اللِّسان/ذَوْلَقُ اللِّسان	طرف اللِّسان/ذَلَق اللِّسان	Blade
١١	أَسَلة اللِّسان/عذَبَة اللِّسان	حدّ اللِّسان/نهاية طرف اللِّسان	Point/Apcx/Tip
١٢	الشفتان	الشفتان	Lips
١٣	الخَيْشُوم	التجويف الأنفي	Nasal Cavity

جدول مصطلحات أعضاء النطق عند القدماء والمحدثين

١- الحلق عند القدماء يشمل (١،٢،٣) .

٢- الفراغ الحلقي عند المحدثين يشمل ما بين (١،٣) .

٣- ظهر اللسان عند القدماء يشمل (٩ ، ١٠) .

٤- منطقة الجوف عند القدماء تشمل تجويف الحلق والفم .

المبحث الثاني

مدخل إلى المخارج والصفات

قبل بدء الحديث عن مخارج الحروف وصفاتها عند القدماء والمُحدَثين ، أُقـــدِّم أموراً لابد من معرفتها لصلتها الوثيقة بالبحث :

- النَّفَس والصَّوت والحرف ، والمقطع ، والمخرج .
- كيفية نطق القدماء للأصوات لمعرفة مخارجها .
- كيفية نطق المحدثين للأصوات لمعرفة مخارجها .
- ترتيب الحروف .
- عدد المخارج .

المطلب الأول: النَّفَس

أدرك القدماء أن الكلام كلَّه يخرج مع هواء الزفير ، قال المرعشي[1] – وهو من أهل التجويد – : " ثم إن الغالبَ تَلفُّظُ الكَلِم مع إخراج الـــنَّفَس ، وأمـــا تَلفُّظُها مع إدخاله ، فَيَعْسرُ ويقبحُ به الصَّوت عند الجهر ، فلا شكَّ في كراهته بخلاف ذلك عند الإخفاء ، ولم أجد تصريحاً في هذا الباب " [2]، ثم قالوا : إن الهواء الخارج من الرئتين ، إذا خرج بشكل طبيعي ، وبصورة لا إراديـــة مـــن

(١) المرعشي : محمد بن أبي بكر المرعشي، المعروف بساجقلي زاده (ت١١٤٥هـــ)، وصنف نحو ٣٠ كتابا ورسالة، منها (جهد المقل) في التجويد وشرحه (بيان جهد المقل) ورسالة في (الضاد). الأعلام ٦٠/٦.

(٢) محمد بن أبي بكر المرعشي (جهد المقل وشرحه) ، نسخة مصورة عن مكتبة الحرمين بمكة المكرمة الرقم العام ٢٨٤ الرقم الخاص ٤٣٦٧، ص٢٣.

الإنسان ، يُسمَّى نفَساً ، قال طَاشْكُبْرِى زاده[1]: " اعلم أن الهواء الخارج من داخل الفم، إن خَرج بِدَفْع الطَّبْع ، يسمى **نَفَساً** بفتح الفاء "[2] وكذلك قال بعض المحدثين: " العملية الكلامية تتمُّ في شكلها الأساسيّ عن طريق التحكم في هواء الزفير الصَّاعد من الرئتين . ولا نعلم لغة تعتمد على هواء الشَّهيق في إنتاج الصَّوت ، وإن أمكن أن تُنتج أصواتٌ خلال عملية الشهيق أيضاً ، ولكن هذا إن حدث يكون استثناء فقط . ومثل هذه الأصوات تُسمع بين الأطفال ، ونحن نستعملها في حالة النَّشيج أو الانتحاب"[3].

المطلب الثاني: الصَّوت

عرف القدماء أن هواء الزفير الذي تدفعه الرئتان ، إن كان بِتَعمُّلٍ وإرادة، واجتاز ممرَّ الهواء، دون أن يتشكَّل في المخرج ، يسمَّى صوتاً .

قال ابن جني[4]: (اعلم أن الصَّوت عَرَض يخرج مع النَّفَس مستطيلاً متّصلاً)[5].

وقال طَاشْكُبْرِى زاده : " وإذا خرج (أي الهواء) بإرادةٍ وعرَضَ له تَموُّجٌ بتصادم جسمين يسمى صوتاً)[6].

---

(١) طاشكبري زاده: أحمد بن مصطفى بن خليل ، عصام الدين طاشكبري زاده (ت ٩٦٨ هـ)، له كتاب (مفتاح السعادة) و (نوادر الأخبار في مناقب الأخيار) معجم تراجم، و (شرح للجزرية) ، وغير ذلك. الأعلام ٢٥٧/١.

(٢) نقلاً عن شرح رسالة الدرُّ اليتيم للرومي٢٧/ أ.

(٣) د. أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ١١٢.

(٤) ابن جني : أبو الفتح عثمان بن جني، توفي (٣٩٢هـ)، من مؤلفاته (سر الصناعة)، و (الخصائص) كلاهما في اللغة وغير ذلك كثير . الأعلام ٤/ ٢٠٤.

(٥) أبي الفتح عثمان بن جني (سر صناعة الإعراب) دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي ط١/ ١٤٠٥هـ دار القلم – دمشق ٦/١.

(٦) نقلاً عن شرح رسالة الدرّ اليتيم للرومي ٢٧/ أ.

وقالوا : لا يطلق على هذا الهواء الخارج صوتاً حتى يكون مسموعاً سواء أكان صوتاً لغوياً أو غير لغوي ، كالسعلة وغيرها . فقد أدركوا – إذن– أهمية الجانب السمعي . قال المرعشي: (اعلم أن النَّفَس الذي هو الهواء الخارج من داخل الإنسان إن كان مسموعاً ، فهو صوت ، و إلَّا فلا)[1] ، وقال : (لأن حقيقة الصوت هو النفس المسموع)[2] .

وهذا كلَّه يَتَّفِق مع ما وصل إليه المحدثون[3].

المطلب الثالث: الحرف والمقطع والمخرج

توسَّع القدماء في مصطلح الحرف ، فأُطلق على معانٍ متعددة . فمن المعاني التي ذكرها صاحب قاموس المحيط :

١– من الجبل : أعلاه المحدَّد.

٢– وَاحِدُ حروف التَّهجِّي .

٣– النَّاقة الضَّامرة ، أو المهزولة ، أو العظيمة .

٤– مَسيلُ الماء .

٥– عند النحاة : ما جاء لمعنىً ليس باسم ولا فعل .

٦– الوجهُ الواحد ، ومنه قوله تعالى : " ومن الناس من يعبد الله على حرف "(الحج١١) وهو أن يعبده على السراء لا الضراء .

٧– اللغة ، وعلى هذا المعنى فسَّر بعض العلماء حديث : " أنزل القرآن على سبعة أحرف ".

٨– الكَسْب ، يقال : حَرَف لعياله يَحرِف.

---

(١) المرعشي (جهد المقل) ص١١.

(٢) المرجع السابق ، ص٢٧.

(٣) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٨ و ص١٣، وكمال بشر (الأصوات) ٦٤.

٩- الصَّرف ، يقال : حَرَف الشيء عن وجهه ، أي صَرَفه[١].

وكلُّ هذه المعاني التي تقدمت أرجعها " ابن جني " إلى معنى لُغويٍّ عام ، وهو حدِّ الشيء وحدته ، قال : " وأما الحرف ، فالقول فيه ، وفيما كان من لفظه : أن (ح رف) أينما وقعت في الكلام ، يُراد بها حدُّ الشيء وحدَّته"[٢].

بعد هذا ما الذي عناه القدماء حينما ناقشوه صوتياً ؟ هل أرادوا به الصوت اللغوي أو الرسم الكتابي ؟

سأرجئ الإجابة عن هذا السؤال حتى نعرف معنى المقطع والمخرج .

قال ابن جني: (اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يَعْرِض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته ، فيسمَّى المقطع أينما عَرَض له حرفاً . وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ، وإذا تفطَّنت لذلك ، وجدتَه على ما ذكرتُه لك ، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت ، فتجد له جرْساً ما ، فإن انتقلت منه راجعاً عنه ، أو متجاوزاً له ، ثم قَطَعْت، أحسَسْت عند ذلك صدى غير الصدى الأول ، وذلك نحو الكاف ، فإنّك إذا قطعت بها سمعت هناك صدى ما ، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره ، وإن جُزت إلى الجيم سمعتَ غير ذَيْنِك الأوَّلَيْن)[٣] وشبَّه ابن جني هذه العملية النطقية بوتَر العُود[٤]، قال : (ونظير ذلك أيضاً ، وتر العود ، فإن الضَّارب إذا ضربه وهو مُرسَل سمعت له صوتاً ، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدَّى صوتاً آخر ، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين ثم كذلك كلما دنا أصبعه من أول

---

(١) الفيروزابادي (القاموس المحيط) ، مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط٢/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م – بيروت لبنان ص١٠٣٢ - ١٠٣٣.

(٢) ابن جني (سر صناعة الإعراب) ١٣/١.

(٣) ابن جني (سر صناعة الإعراب) ٦/١.

(٤) شبه " ابن جني " الصوت أيضاً بالناي ، وكان الغرض من ذكر تشبيهه بوتر العود ، الاستشهاد به .

الوتر ، تشَكَّلت لك أصداء مختلفة ، إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غُفلاً غير محصور ، تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزاً ، ويختلف ذلك بقَدْر قوة الوتر وصلابته ، وضعفه ورخاوته ، فالوتر في هـذا التمثيل كالحلق ، والخَفْقة بالِمضراب عليه ، كأول الصوت من أقصى الحلق ، وجريان الصوت فيه غُفلاً غير محصور ، كجريان الصوت في الألف الساكنة ، وما يعترضُه من الضَّغط والحصر بالأصابع ، كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا)[1].

بمناقشة مصطلح المقطع في النص السابق نجد ابن جني استعمله – حسب الظاهر – في ثلاث معان :

أ- **المقطع بمعنى الإعتراض** – وهو الأصل فيه – الذي تقوم به أعضاء النطق لاعتراض الصوت ، ويفهم هذا من : قوله (حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته) .

وقوله : (وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يَعْرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع) .

ومما جاء مؤيداً هذا المعنى من كلام أهل التجويد قول زكريا الأنصاري: (لأن اختلاف المخارج وآلات التقطيع هو الموجبُ لاختلاف الهيئات القائمة بالأصوات)[2].

ب- **المقطع بمعنى المخرج** ؛ جعله اسمَ مكانِ قطعِ الصوت ، ومعلوم أن الصوت ينقطع في المخرج ، ويفهم من هذا من : قوله (ثم تبلغُ به أيَّ المقاطع شئت).

---

(١) ابن جني (سر الصناعة) ٩/١.

(٢) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٢٣٦/٢.

وقوله : (فإن انتقلت منه راجعاً عنه أو متجاوزاً له) . ومما جاء مؤيداً لهذا المعنى : قول ابن يعيش: (والمخرج : هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده)[1].
وقول الملا علي القاري لما عرَّف الحرف فقال : (هو صوت اعتمد مقطع محقق، هو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفه..)[2]، قال المرعشي معلقاً على نص القاري : (ومراده من المقطع هو المخرج ، لأن الصوت ينقطع في المخرج)[3].

ج- **المقطع بمعنى الحرف**

ويفهم هذا من قوله : (فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً) .
ومما جاء مؤيداً له قول ابن الجزري ، الذي هو صياغة جديدة لكلام ابن جني: (والحروف هي مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النفس مبتدأ مستطيلاً ، فتمنعه من إيصاله بغايته)[4]. هذا ما يفهم من كلام ابن جني ، وما يؤيد هذه المعاني من كلام القدماء ، وطريق التوفيق بين هذه المعاني على النحو التالي : المقطع يطلق في الأصل على الاعتراض الذي تقوم بها أعضاء النطق لاعتراض الصوت الخارج من فتحة المِزْمار ، وهذا التَّحرك يضغط هذا الصوت في مَوضع؛ هو مخرج الحرف وهو مكانُ قطع الصوت ، وعلى هذا الأخير يُفهم رأي ابن يعيش وأصحابه . وعند هذا الموضع الذي ينقطع فيه الصوت يُولَد الحرف ، قال ابن جني : (ومن هنا سميت حروف المعجم حروفاً ، وذلك أن الحرف حدُّ منقطع الصوت وغايته وطرفه)[5]، وعلى هذا أيضاً يفهم التجوز في عبارته وعبارة ابن الجزريّ في جعلهما المقاطع حروفاً والحروف مقاطع.

---

(١) ابن يعيش (شرح المفصل) ١٠/١٢٤.
(٢) ملا علي القاري (المنح الفكرية) ص ٩ .
(٣) المرعشي (جهد المقل) ص١١.
(٤) ابن الجزري (التمهيد في علم التجويد) ص١٠٢.
(٥) ابن جني (سر الصناعة) ١/١٤ .

أما المخرج فقد جاء في تعريفاته عند القدماء كالآتي :

قال جعفر بن مكي الموصلي: (والمخرج هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف)[١].

وقال زكريا الأنصاري: (ومخرج الحرف : موضع خروجه بواسطة صوت)[٢].

وقال محمد مكي نصر : (والمخارج جمع مخرج على وزن مَفْعَل ، بفتح الميم وسكون الفاء ، وهو اسمٌ لموضع خروج الحرف ، كمَدْخل ومَرْقد اسم لموضع الدخول والرقود ، وقد فسَّر بعضهم المخرج بأنه عبارة عن الحيِّز المُوَلِّد للحرف)[٣].

كما نرى ، فكل هذه النُّصوص تتفق في أن المخرج : هو مكان خروج الحرف. و لم يخرج كلام المحدثين عما جاء به القدماء.

قال أحدهم : (فالمخرج نقطة معينة في المَجْرى عندها يتكون الصوت ، وعندها يضيق المجرى أو يتسع حسب طبيعة الصوت وصفته)[٤] وقال آخر : (المخرج مكان النطق)[٥].

وأما الحرف ، فقد كان تعريفه كالآتي :

قال بدر الدين بن عمر خوج : (الحرف : صوت اعتمد على مقطع أي مخرج – من الإنسان – محقق ، كالحلق واللسان والشفتين ، أو مقدَّر كالجوف والخياشيم)[٦].

---

(١) جعفر الموصلي (الكامل الفريد) ١٩ / ب.

(٢) زكريا الأنصاري (الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية) ص٢٨.

(٣) محمد مكي نصر (نهاية القول المفيد) ص ٢٧ .

(٤) د.إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٢٦ .

(٥) د.تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١١٠.

(٦) بدر الدين خوج (التحرير السديد بشرح القول المفيد) ٢٣ / ب .

وبهذا يتضح لنا من خلال التعريف السابق أن القدماء إنما أرادوا بالحرف حينما ناقشوه صوتياً الصوت اللغوي عند المحدثين ، فلا بأس من الإبقاء على المصطلح كما هو ، طالما أن المحصِّلة واحدة.

أما الُمْحَدثون ، فـ" مصطلح (الحَرْف) عندهم يَنْصرف على ما يكتب ويرسم . ومصطلح (الصوت) على ما يُنطق ويُسمع . ويطلقان على حقيقة صوتية واحدة ، فحرف السين – مثلاً – يطلق على هذا الشَّكل الكتابي (س).. أما صوت السين فلا يطلق إلا على الصوت المهموس ، المستفل ، المصمت ، الرخو.. وبجانب مصطلح الحرف ومصطلح الصوت ، يوجد مصطلح ثالث هو (الرمز) ، ويقصد به علماء اللغة كل ما يرمز ويشير إلى حقيقة صوتية... فالرمز قد يكون رسماً ، أو كتابة ، أو صوتاً ، أو ضوءاً أو إشارةً ، أو حركة ..الخ)[1].

المطلب الرابع: كيفية نطق القدماء للأصوات لمعرفة مخارجها

ذكر القدماء طريقة لمعرفة مخرج الحرف ، وهي طريقة الخليل وسماها مذاق أو ذَوْق الحروف ، ويبدو أن هذه الطريقة قد التزمها أكثر من جاء بعده ، قال الليث عن طريقة الخليل : (وإنما ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يُظهر الحرف ، نحو اب ، ات ، اح ، اع ، اغ ..)[2].

ويجب أن نلاحظ هنا أن القدماء حينما ذكروا هذه الطريقة ،إنما أرادوا معرفة المخرج فقط ، بِغَضِّ النظر عن الصفات التي تصاحب هذه الحروف[3]، ومما يؤيد هذا قول الجاربرديّ: (ومخرج الحرف ، هو المكان الذي ينشأ منه،

---

(١) عبدالعزيز علام (عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة) ٣٠-٣١ .

(٢) الخليل (العين) ٤٧/١.

(٣) سيأتي في الفصل الثاني الخاص بصفات الحروف كيفية نطق القدماء للحروف . ص ٨٧.

ومعرفة ذلك بأن تُسكِّنه ، وتدخل عليه همزة الوصل ، وتنظر أين ينتهي الصوت ، فحيث انتهى فثمَّ مخرجه ، ألا ترى أنك تقول : (اِب) ، وتَسْكُت، فتجد الشفتين قد أطبقت إحداهما على الأخرى)[1].

فلو أراد الجاربردي صفات الحرف – مثلا – لذكَر صُويت القلقة ، الذي هو مصاحب لحرف الباء عند الوقف ، ولكنَّه قال : (وتسكت..) فلم يرد المرحلة الثالثة من نطق الحرف الشديد ، أعني مرحلة الانفجار أو الانطلاق كما يسميها المحدثون ، لأنه لو فعل ذلك لانفرجت الشفتان عن بعضهما ، وفات معرفة مخرج الباء.

وعلَّة الإسكان عند القدماء بسبب تخوّفهم من أن يمتزج مخرج الحرف بمخرج الحركة التالية له ، قال ابن جني : (وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتيَ به ساكناً لا متحركاً ؛ لأن الحركة تُقْلق الحرف عن موضعه ومستقرِّه وتجذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه ..)[2] (فلما أسكنوه صار مخرجه خالصاً لا يشوبه مخرج آخر)[3].

ومعنى ذلك كما يقول جعفر الموصلي[4] وهو من أهل التجويد : (وإنما يظهر مخرج الحرف بإسكانه بخلاف ما إذا كان متحركاً ، لأن الحركة على الحرف كالكسوة تستُره وتُمارجه[5]، فتارة تكون الحركة فتحة فتلتبس بمخرج الألف،

---

(١) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ١ / ٣٣٤.

(٢) ابن جني (سر الصناعة) ٦/١ ومعنى كلام ابن جني أن الحركة تُخرج الحرف من مخرجه الذي هو له إلى مخرج حروف المد ، لأن الفتحة بعض الألف ، والضمة بعض الواو ، والكسرة بعض الياء ، وانظر نص جعفر الموصلي تأكيداً لذلك .

(٣) حاشية ابن جماعة على الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٣٣٤/١.

(٤) الموصلي : جعفر بن مكي بن جعفر، أبو موسى محب الدين الموصلي (ت ٧١٣هـ) :عالم بالقراءات، له (الكامل الفريد في التجويد والتفريد). انظر الأعلام ١٣٠/٢.وغاية النهاية ٩٨/١.

(٥) أي تخالطه .

وتارة تكون ضمة فتلتبس بمخرج الواو ، وتارة تكون كسرة فتلبس بمخرج الياء، فإذا أُسكن الحرف تجرد عن مشاركة غيره)[1]، وقال المرعشي: (وإنما اختير السكون أو التشديد في معرفة المخرج ؛ لأن المخرج موضع الانضغاط ؛ فما لم يكن الانضغاط قوياً لا يَظْهر محلُّه)[2]. وبهذا نستأنس لسبب الإتيان بهمزة الوصل من قَبْل الحرف ، فلو قلنا : (اِق) – مثلا – ووقفنا على مرحلة اعتراض الصوت في المخرج ، (حبس الصوت) دون أن نتبعه بمرحلة الإطلاق، التي هي إما نفس أو صوت ، لاستطعنا ذلك ، لأن الذي أمكننا إليه الحركة التي قبله ، ولو حاولنا إخراج هذا الصوت عينه الناشئ عن ضغط المخرج بدون همزة ، لتعذَّر علينا ذلك فلا نستطيع أن نلفظ (قْ) بدون حركة قبلها إلَّا إذا اتبعناها بحركة أو قلقلة أو نفس .

المطلب الخامس: كيفية نطق المحدثين للأصوات لمعرفة مخارجها

أما المحدثون ، فطريقة نطقهم للحرف – بشكل عام – سواء لمعرفة مخرجه أو معرفة صفاته هي إسكانه مجرداً عن همزة الوصل ، ثم النطق به ، قال أحدهم في معرض حديثه عن كيفية اختبار جهر الصوت من همسه : (ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل ، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات ؛ لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة)[3]، وبغضِّ النظر عن هذه التجربة التي تخالف سنن العرب في كلامها حين نطقهم بالساكن[4]، فإننا نستطيع تطبيقها لمعرفة مخارج الحروف

---

(١) أبو موسى جعفر بن مكي الموصلي (الكامل الفريد في التجويد والتفريد، يوجد نسخة منه في جامعة الملك سعود (رقم الميكروفيلم ١/٣٤١-د)، مصورة عن المكتبة الوطنية بفيينا-لوبنشتاين ٢٠٤١ ضمن مجموع. ١٩/ ب - ٢٠/ أ.

(٢) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ١١ .

(٣) رمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ص ٣٧.

(٤) انظر حكاية سيبويه على الخليل كيفية نطق الحروف ص ٣٢.

الرخوة ، أما بعض الأحرف الشديدة كالقاف والطاء ، فإننا نسمع صوتيهما لحظة الانفجار أي انفتاح المخرج ، وليس أثناء الغلق. لأنه أثناء فترة الغلق لا نحكم بوجود أي صوت لغوي (أعني استخدام هذه الطريقة) لأن " أصوات الكلام موجات صوتية مسموعة "[1]فهو بمثابة تهيئة عضو النُّطق للنُّطْق بالصوت؛ لا الصوت نفسه .

المطلب السادس: ترتيب الحروف

لم يُرتِّب القدماء الحروف العربية حين وصفهم لها صوتياً الترتيب الهجائي المعروف بل رتبوه تبعاً لخروج الصوت ، أي ترتيباً تصاعدياً بدءاً من أقصى الحلق إلى الشفتين ، وكانت لهم حكمةٌ في هذا الترتيب . وهي ما ذكره الجعبري بقوله : " كل مقدار له نهايتان ، أيهما فُرِضَتْ أولَه ، كان مقابلَها آخرَه ، ولما كان وضع الإنسان على الانتصاب لزم فيه أن يكون رأسه أوله ، ورجلاه آخره ، ومن ثمة كان أول الأدوات الشفتين ، وأولهما مما يلي البشرة، وآخرهما مما يلي الأسنان. وثانيها اللِّسان ، وأوله مما يلي الأسنان ، وآخره مما يلي الحلق ، ثالثهما وأوله مما يلي اللسان ، وآخره مما يلي الصَّدر ، ولو كان وضعُه على التنكيس لانعكس.

ولما كان مادَّة الصوت الهواء الخارج من داخلٍ ، كان أوله آخر الحلق ، وآخره أول الشفتين فرتب الحروفَ الجمهورُ باعتبار الصوت "[2].

وأول من استخدم هذا الترتيب الصوتي – بحسب ما وصل إلينا – الخليل بن أحمد في معجمه العين وتبعه أكثر من جاء بعده من علماء اللغة والتجويد،

---

(١) سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص ٣٣.

(٢) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ١/ ٣٣٥.

وذكر المرعشي أن من العلماء من رتَّبه بالعكس أي بدءاً من الشفتين إلى الحلق كترتيب المحدثين "[1].

أما أكثر المحدثين ، فعكسوا الوضع ، فأكثرهم رتَّب الحروف صوتياً أي بدءاً من الشفتين إلى أقصى الحلق (الحنجرة)[2].

المطلب السابع: عدد المخارج

أ- عدد المخارج عند القدماء

اختلف العلماء في عدد المخارج ؛ فمنهم من عدّها سبعة عشر ، ومنهم من عدّها ستة عشر، ومنهم من عدّها أربعة عشر مخرجاً.

وفي ذلك يقول مكي : " اعلم أن سيبويه وأكثر النحويين يقولون : إن للحروف ستة عشر مخرجاً. للحلق منها ثلاثة مخارج ، وللفم منها ثلاثة عشر مخرجاً ... وخالفهم الجَرْميُّ ومن تابعه فقال : للحروف أربعة عشر مخرجاً ، للحلق ثلاثة مخارج ، وللفم أحد عشر مخرجاً ، وذلك أنه جعل اللام والنون والراء من مخرج واحد.

وجعل لها سيبويه ومن تابعه ثلاثة مخارج متقاربة"[3] وذهب الخليل وأكثر المتأخرين من أهل التجويد أنها سبعة عشر مخرجاً بإضافة مخرج الجَوْف إليها (فراغ الحلق والفم)[4].

قال ابن الجزري: "أما مخارج الحروف، فقد اختلفوا في عددها ، فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدَّمنا من المحققين، كالخليل بن أحمد ، ومكي بن أبي

---

(١) غانم قدوري حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص ١٩٠.

(٢) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ٤٥، وبشر (الأصوات) ٨٩- ٩٠، وجان كانتينو (دروس في علم أصوات العربية) ٣٠، ورمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ٣١.

(٣) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص٢٤٣.

(٤) د.غانم قدوري حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص١٧٦.

طالب ، وأبي القاسم الهُذَلِيِّ ، وأبي الحسن شُرَيح ، وغيرهم سبعة عشر مخرجاً ، وهذا الذي يَظْهر من حيث الاختبار، وهو الذي أثبته " أبو علي بن سينا" في مُؤَلَّف أفراده في مخارج الحروف وصفاتها.

وقال كثير من النحاة والقراء : هي ستة عشر ، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين. وجعلوا مخرج "الألف" من أقصى الحلق ، و" الواو" من مخرج المتحركة[1]، وكذلك "الياء".

وذهب قُطْرب[2]، والجَرْميُّ[3]، والفرَّاء[4]، وابن دُرَيد[5]، وابن كيسان[6]، إلى أنها أربعة عشر ، فأسقطوا مخرج النون واللام والراء ، وجعلوها من مخرج واحد، وهو طَرَفُ اللسان ، والصحيح عندنا الأول ، لظهور ذلك في الاختيار"[7]

ناقش أحد المحدثين نصَّ ابن الجزري فقال : "وليس متيقناً أن الذين ذكرهم ابن الجزري قالوا جميعاً بأن مخارج الحروف سبعة عشر ، ويترجَّح لديَّ أن ابن الجرزي،

---

(١) يعني بالمتحركة الواو والياء غير المديتين، وسيأتي تفصيل ذلك في فصل الحركات وحروف المد .

(٢) قطرب : محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقطرب: نحوى، عالم بالأدب واللغة. من كتبه (معاني القرآن) و (النوادر) في اللغة ، وغيرها توفي سنة (٢٠٠ هـ). الأعلام٧ /٩٥.

(٣) الجرمي: صالح بن إسحاق، الجرمي: فقيه، عالم بالنحو واللغة، له كتاب في (السير) و (كتاب الأبنية) و (غريب سيبويه) وكتاب في (العروض) توفي سنة (٢٢٥هـ) .الأعلام ١٨٩/٣.

(٤) الفراء : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور ، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، ولد عام (١٤٤هـ).وتوفي سنة (٢٠٧ هـ). الأعلام٨/١٤٥.

(٥) ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: من أئمة اللغة والأدب، وهو صاحب (المقصورة الدريدية) ولد عام (٢٢٣هـ)، توفي سنة (٣٢١ هـ) ومن كتبه (الاشتقاق) في الانساب، و (المقصور والممدود) و (الجمهرة) في اللغة، و (ذخائر الحكمة) وغيرها . الأعلام ٨٠/٦.

(٦) ابن كيسان : محمد بن أحمد بن إبراهيم، المعروف بابن كيسان: عالم بالعربية. من كتبه "المهذب " في النحو، و " معاني القرآن " و " المختار في علل النحو " توفي سنة (٢٩٩هـ) .الأعلام٥ /٣٠٨.

(٧) ابن الجزري (النشر في القراءات العشر) ص ١٩٨-١٩٩.

أراد أن هؤلاء العلماء يذهبون إلى أنَّ لحروف المد مخرجا مستقلاً، خاصة بالنسبة للخليل ومكي وابن سينا، أما الهذليُّ وشريح ، فلم أطَّلع على ما يوضح رأيهما بالتَّحديد.

فالخليل بن أحمد لم يقل في مقدمة كتاب " العين " أن مخارج الحروف سبعة عشر ، بل أن الذي يستنتج من كلامه أنه يجعل مخارج الحروف تسعة ، لكنه ذكر أن الواو والياء والألف هوائية ، تخرج من الجوف ، وكذلك يفهم من كلام " ابن سينا " الذي ميَّز بين الياء والواو (الصامتتين والمصوتتين) ، أنه يجعل للألف والواو والياء المصوتة مخرجاً ، أو مخارج متميزة ، فقد وصف مخارج هذه الحروف بأنها مع إطلاق الهواء سلساً غير مُزاحَم ، أو مع أدنى تضييق. أما مكيّ بن أبي طالب ، فقد صرح أن للحروف التي تَأَلَّف منها الكلام ستة عشر مخرجاً، لكن ورد في بعض كلامه أنه يميل إلى اعتبار الألف من الجَوْف ، فقال حين ذكر حروف الحَلْق الستة : "وقد زاد قوم الألف " وقال وهو يتحدث عن مخرج الألف: " لكن الألف حرفٌ يهوي[1]في الفم حتى ينقطع مخرجه في الحلق ، فنسب في المخرج إلى الحلق لأنه آخر خروجه"، وذكر حين تحدث عن صفات الحروف وألقابها : " الحروف الجوفية ، والحروف الهوائية . وهي حروف المد واللين الثلاثة، نقل ذلك عن الخليل". فهناك إذن بعض ما يمكن أن يستدل به على أن مكياً يجعل مخرج حروف المدِّ مخرجاً واحداً، هو الجوف، على الرغم من أنه صرح أنَّ مخارج الحروف الحروف ستة عشر مخرجاً"[2].

ب- عدد المخارج عند المُحْدَثِين

أما المُحْدَثُون ، فمنهم من عدَّ للحروف أحد عشر مخرجاً، فأسقطوا مخرجَ الجَوْف والخيشوم وأدنى الحلق ، وجعلوا اللام والراء والنون من مخرج واحد[3].

ومنهم من عدّها عشرة مخارج[4] وبعضهم عدَّها تسعة مخارج فقط[5].

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب ٣٧١/١٥: " والهاوي من الحروف واحد ، وهو الألف، سمي بذلك لشدة امتداده وسعة مخرجه " اهـ.

(٢) غانم قدوري حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص١٧٩-١٨٠

(٣) كمال بشر(الأصوات) ٩٠ ، وأحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ٣١٥-٣١٩.

(٤) رمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ٣١.

(٥) جان كانتينو (دروس في علم أصوات العربية) ٣٠-٣١.

جـ – الخلاف بين القدماء والمحدثين في عدد مخارج الحروف

يتركز الاختلاف بين المحدثين ، وبين علماء العربية والتجويد في أنهم يعدون عدد من الأصوات من مخرج واحد ، على حين يعدها علماء العربية والتجويد من مخرجين أو أكثر ، لا سيما حروف طرف اللسان ، أو أنهم لا يعتبرون بعض المخارج أصلا ، مثل مخرج النون الخفية .

وهذه اتجاهات كانت معروفة لدى علماء التجويد قديماً . كما بينا ذلك من قبل ، حين وضحنا تقسيمهم للمخارج إلى مجموعات رئيسة ، وهو عمل لا يختلف عنه كثيرا ما فعله دارسوا الأصوات العربية من المحدثين "[1]. وقد يرجع هذا الاختلاف ربما إلى التكلف في ذوق الحروف ، كما قال المرعشي : " إن الكلام في المخارج إنما هو على حسب استقامة الطبع لا على التكلف ، فاختلاف العلماء في ترتيب المخارج اختلاف في حكم الطبع المستقيم"[2].

فهو اختلاف شكلي قال عنه أحدهم : " كثير من نقاط الخلاف يمكن أن نغضَّ النظر عنها، وأن نهملها ، وذلك لشدة التقارب والتداخل بين مخارج النطق . فليس هناك في الواقع حدود فاصلة فصلا تاماً بين بعض هذه المخارج ، ومن ثم فإنه من الجائز أن تنسب مجموعة من الأصوات إلى مخرج معين ، وينسبها باحث آخر إلى مخرج آخر قريب منه ، أو متصل به ومتداخل معه. أو ربما يرجع الخلاف بيننا وبينه (أو بين غيره) إلى الملاحظة الذاتية أو الخبرة الشخصية ، فقد تنطق صوتاً ما من مخرج معين ، وينطق شخص آخر هذا الصوت نفسه ، من موضع قريب منه ، وذلك بسبب الاختلافات الفردية في الخبرة الصوتية (واللغوية بوجه عام بين المتكلمين) "[3].

---

(١) غانم قدروي حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص ١٩٠-١٩١ (بتصرف).

(٢) المرعشي (بيان جهد المقل) ٢٠.

(٣)كمال بشر (الأصوات) ص ٩٤-٩٥.

الفصل الثاني

الحروف العربية من حيث المخارج والصفات.

وينقسم إلى مبحثين

المبحث الأول : مخارج الحروف

المبحث الثاني : صفات الحروف

المبحث الأول

مخارج الحروف

ظَلَّ وصفُ سيبويه لمخارج الحروف، هو الأساس الذي استندت عليه معظم دراسات من جاء بعده من علماء اللُّغة والتجويد.

قال أبو عمرو الداني، وهو يتحدث عن مخارج الحروف:" وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة، إذ هو الصَّحيح المعوَّل عليه، إن شاء الله تعالى"[1].

ولا يُعَد هذا عيباً ولا نقصاً فيهم، " وما كان تمسُّكهم بما أورده... إلاَّ لشعورهم بدقَّتة وإتقانه. كيف لا، والمحدثون يشهدون لسيبويه بذلك، مثل قول المستشرق الألماني أ. شاده عن سيبويه: بلغ في تعيين مواضع الحروف ومخارجها من الصِّحة والدِّقة ما يَعسُر علينا الزيادة والإصلاح، وإن كانت عباراته تحتاج في بعض الأمكنة إلى التفسير"[2]، وهو الذي فعله من جاء بعد سيبويه حيث أضافوا وشرحوا، وفسَّروا كلامه.

وقبل البدء في الحديث عند مخارج الحروف نثير سؤالاً هاماً هو: **هل قصد سيبويه ترتيب الحروف فيما هو من مخرج واحد ؟**

أُرَجِّح أن سيبويه كان يقصد ذلك، بالرغم من تصريح ابن خروف النحويّ الذي استند عليه أحدهم حيث قال: " وقد فصَل ابن خروف في هذا الخلاف **الوهميّ** بكلمته التي رواها صاحب النَّشر، ونصُّها:" قال ابن خروف: (إن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد)، وهذا حقٌّ تبرهن عليه التجارب الحديثة"[3] ، ولكنَّني أرى أن ما قاله سيبويه في غير موضع " مخارج الحروف"، يُرجِّح أنه قد قصد التَّرتيب في ذلك، فمن النصوص الواردة عنه، قوله عن الهمزة

---

(١) أبو عمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص ١٠٤ .

(٢) غانم قدوري حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص١٧٥-١٧٦.

(٣) د. إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص١١٤.

والألف والهاء: " لأن الهمزة أقصى الحروف وأشدها سفولاً، وكذلك الهاء، لأنه ليس في الستة الأحرف أقرب إلى الهمزة منها، وإنما الألف بينهما"[١] ، وقوله عن العين والحاء، " لأن العين أقرب إلى الهمزة من الحاء"[٢].

ولا أدري لماذا جعل[٣]الخلاف في ترتيب الحروف خلافاً وهمياً؟! وأرى أنه حقيقي، ونستطيع تأمُّله بالملاحظة الذاتية، وبحكم الطبع المستقيم الخالي عن التكلُّف. وهو ينمُّ عن الملاحظة الدقيقة للقدماء؛ إذ لكلِّ حرف حيِّزٌ مستقلٌ عن أخيه، وإن كان يتقارب معه في مخرج كلِّي واحد.

أما ترتيب الخليل للحروف، فكان موضع نقد من العلماء قديماً وحديثًا، قال ابن جنّ: "فأمر ترتيبها في كتاب العَين، ففيه خطل واضطراب، ومخالفة لما قدمناه آنفا مما رتبه سيبويه، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته"[٤]، ولكن هذا لم يمنع العلماء وخاصة أهل التجويد من استعارة بعض مصطلحاته التي ذكرها في"العين" كألقاب الحروف مثلاً.

وأول من صرَّح أن لكل حرف مخرجاً ــ فيما اطلعت عليه ــ أبو عمرو بن الحاجب[٥]. وتبلورت هذه الفكرة عند من جاء بعده من شراح الشافية، وهأنذا أسوق بعض أقوالهم: قال الجاربردي: " لأن التحقيق أن لكل حرف مخرجاً مخالفاً لمخرج الآخر، وإلا لكان إياه"[٦]، وقال زكريا الأنصاري:" فلكلٍّ من الحروف، وهي تسعة وعشرون، مخرجٌ مخالفٌ لمخرج غيره، وإلا لكان إياه ، فالمخارج حقيقة بعَدَّة الحروف، لأن اختلاف المخارج وآلات التقطيع هو الموجب لاختلاف

---

(١) سيبويه (الكتاب) ١٠٢/٤.

(٢) المرجع نفسه ١٠٢/٤.

(٣) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ١١٤.

(٤) ابن جني (سر الصناعة) ١/ ٤٥ - ٤٦.

(٥) كما ذكره الاستراباذيّ (شرح شافية ابن الحاجب) ٢٥٠/٣.

(٦) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٣٣٥/١.

الهيئات القائمة بالأصوات"[1]، وشرح المرعشيُّ المقصود بالمخارج الجزئية المتقاربة فقال وهو يتحدث عن عدد المخارج:" اعلم أن في عددها اختلافاً بين العلماء، والمختار عند الجمهور أنها سبعة عشر. بعضها كلِّي منقسم إلى مخرجين جزئيين أو أزيد، وبعضها جزئي غير منقسم، فلكل حرف مخرج جزئي... **والمخارج السبعة عشر متمايزة تمايزاً بيِّناً بخلاف المخارج الجزئية المشتركة في مخرج كلِّي من هذه السبعة عشر**"[2].

(١) المرجع السابق٢/ ٢٣٦.

(٢) المرعشي (جهد المقل) ص ٩ - ١٠.

١- مخارج الحلق

أثبتُّ – فيما تقدم[١]– أن الحنجرة تُعَد من منطقة الحلق عند القدماء، وهي المنطقة التي أطلقوا عليها "أقصى الحلق"، لأنهم ذكروا أن بدء التصويت يتمُّ من هذه المنطقة، قال ابن جني: "ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك"[٢]، وكذلك عند المحدثين، فبدء التصويت عندهم يَتِم من منطقة الحنجرة. فلا مُشاحَّة في الاصطلاح.

قسم القدماء منطقة الحلق إلى ثلاث مناطق:

١- منطقة الحنجرة، وسمَّوها أقصى الحلق، وتخرج منها الهمزة والهاء.

٢- منطقة الغلصمة، وسمَّوها وسط الحلق، وتخرج منها العين والحاء.

٣- منطقة أصل اللسان، وسمَّوها أدنى الحلق، ويخرج منها الغين والخاء.

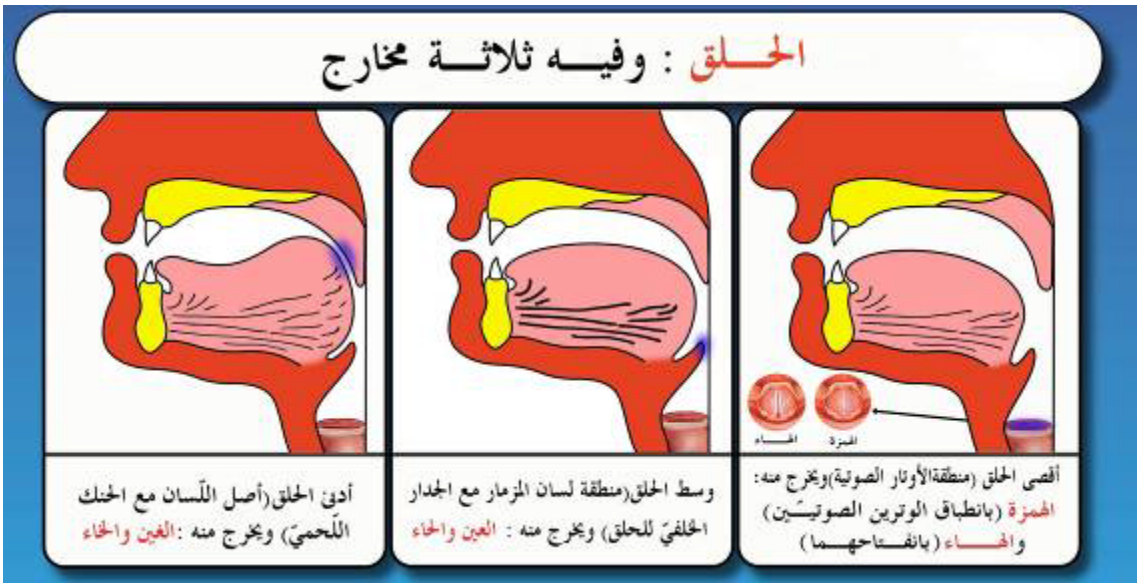

وفي ذلك يقول سيبويه: "ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً:

فللحلق منها ثلاثة؛ فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء، وأدناها مُخرجاً من الفم: الغين والخاء"[٣].

---

(١) انظر وصف الحلق عند القدماء ص ١٠ .

(٢) ابن جني (سر الصناعة) ٦/١.

(٣) سيبويه (الكتاب) ٣٣٤/٤.

أ- أقصى الحلق: الهمزة والهاء

اتفق القدماء والمحدثون في جعل هذه المنطقة للهمزة والهاء، وكان إدخال سيبويه للألف معهما مثار تساؤل من العلماء قديماً، فحاولوا أن يفسِّروا مراد سيبويه.

أما الخليل فقد انتقده بعض المحدثين[1] لضمِّه الهمزةَ مع حروف المد، ونسبتها إلى الجوف، ولكننا حين نتأمل في " العين" نجد أن الخليل تارة جعلها من أقصى الحلق، وتارة أخرى جعلها في الهواء، وقد بَيَّن سبب ذلك فقال:"وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتةً مضغوطةً، فإذا رُفِّه[2]عنها لاَنَتْ، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"[3].

من تأمل في هذ النصِّ؛ يجد أن الفصل بين الهمزة وحروف المدِّ قائم في ذهن الخليل، فهو قد لاحظ مستويان لنطق الهمزة؛ كلاهما فصيح، ويشهد لهما ما وصَلَنا من القراءات اليوم، فمثلاً : مذهب الإمام حمزة (أحد القراء العشرة) تحقيق الهمزة في كلمة (يأتون) حال الوصل هكذا: (يأْتون)، ويبدلها حال الوقف ألفاً هكذا: (يَـــاتون). أي أن المقطع الأول انتقل من مقطع مغلق إلى مقطع مفتوح كما يقول المحدثون.

فإذا أردنا أن نتحدث بلسان الخليل، ونَصِف هذه الهمزة في كلتا الحالتين، قلنا عن الأولى: (فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتةً مضغوطةً). وقلنا عن الثانية: (فإذا رفِّه عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصِّحاح).

---

(١) كمال بشر (الأصوات) ص٩٠.

(٢) قال الخليل: ورفَّهت عن فلان شدته وخناقه؛ إذا نفَّست عنه.. ترفيهاً. (العين٤/٤٦).

(٣) الخليل (العين) ١/٥٢.

ونحن نعلم علم اليقين أنَّ الخليل لم يَزِد على أن وصف طريقة العرب فيما تَكلَّمت به، فهو لا يَصِف حرفاً يخالف ما قالوه. وأجوبة الخليل لسيبويه في (الكتاب) مليئة بمثل هذه العبارات: (ألا تراهم قالوا – وإن العرب مَنَعت ذلك – وإن العرب لم تتكلم به)، فلا أدري بعد هذا، أين الخلل في كلام الخليل؟!!

إن الخلل الحقيقي – من وجهة نظري – يكمن في عدم تصور الواقع اللُّغوي الذي كانت تتكلم به العرب، وقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، ونقله أهل الأداء لنا.

وأخرج المتأخرون[1] من علماء التجويد الألف، وجعلوا هذه المنطقة للهمزة والهاء فقط.

وقد ذكر المحدثون أن الهمزة تخرج بانطباق فتحة المزمار ثم تسريحها فجأة ليخرج صوت الهمزة، قال أحدهم: "أما مخرج الهمزة المحققة، فهو من المزمار نفسه، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة؛ فيسمع صوت انفجاري هو ما نُعَبِّر عنه بالهمزة"[2].

قلت: هذا بالنسبة لطريقة المحدثين في نطق الهمزة، فلو أردنا وصف مخرجها مطَبِّقين طريقة القدماء، أي بالإتيان بهمزة وصل قبلها، لقلنا:إن مخرجها – بحسب انقطاع الصوت– يتم بإغلاق الطيَّات الصوتية (الحقيقية والكاذبة) والغضروفين الهَرميَّين إغلاقاً تاماً لاينفذ الهواء من خلالهما. وبسبب هذا الغلق التاَّم لفتحة المزمار واشتراك الطيات الصوتية الكاذبة في هذا الغلق عُدَّ صوت الهمزة من أشقِّ الحروف التي تحتاج إلى جهد عضلي في إخراجها.

---

(١) ابن الجزري (النشر في القراءات العشر) ١٩٩/١، وابن غازي (والدرر المنظمة البهية في حل ألفاظ الجزرية) ٦٦/أ ، وزكريا الأنصاري (الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية) ص٣٢.

(٢) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٨٩- ٩٠.

نقل مكيّ بن أبي طالب عن الخليل أنه قال:"إنها كالتَّهوع"[1]، وقال مرة أخرى:" كالسَّعلة"[2] وبسبب هذا الثِّقل غيَّرَها العرب بضُروب التغيير المختلفة، فجاز فيها التحقيق، والتسهيل، والإبدال، والحذف. ومما يؤيد هذا قول أبي عمرو الداني:" ولثقلها صار فيها التحقيق، والتخفيف بين بين، والبدل، والحذف، وليس ذلك لشيء من الحروف غيرها"[3].

أما عن الهاء فقد اختلفت عبارات المحدثين في وصف طريقة نطقه، فبينما يقول أحدهم :" والهاء العربي يتكون عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق صوت صائت(كالفتحة مثلاً)، ويمر الهواء **خلال الإنفراج الواسع** الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثاً صوتاً احتكاكياً، يرفع الحنك اللين ولا يتذبذب الوتران الصوتيان"[4]، نجد آخر يقول:"وصوت الهاء... يتم النطق به **بتضييق الأوتار الصوتية** إلى مرحلة في منتصف الطريق بين الهمس والجهرحتى إذا مرَّ هواء الرئتين بينهما كان لاحتكاكه بهما أثرٌ صوتيّ لا هو بالحس، ولا هو بالتنفس"[5].

ولا خلاف بين الإثنين، لأن كلاً منهما يتحدث عن هاءين مختلفين، فالأول يتحدث عن الهاء التي لا تتذبذب معها الأوتار الصوتية، وهذه الهاء تشبه الوضع الذي تتخذه الطيّات الصوتية أثناء وضع النفس. وأما الآخر فهو يتحدَّث عن الهاء التي ينطق بها القراء اليوم، والتي تتذبذب معها الأوتار الصوتية.

---

(١) وهو التقيؤ، وانظر لسان العرب مادة (هوع) ٣٧٧/٨.

(٢) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ١٣٤.

(٣) أبو عمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص١٢٠.

(٤) محمود السعران (علم اللغة) ١٧٨ــ ١٧٩.

(٥) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١٣١.

ب- وسط الحلق: العين والحاء

اتفق القدماء والمحدثون على خروج العين والحاء من منطقة الحلق، بل عدَّ بعض المحدثين[١]هذين الصوتين فقط من هذه المنطقة.

جاء كلام القدماء عاماً حيث اكتفوا بذكر "وسط الحلق" كحيِّز يشغَله هذان الصوتان، دون تحديد لعضوي النطق، وكذلك فعل بعض المحدثين[٢]حيث ذكروا أن المجرى الهوائي في الفراغ الحلقيّ يضيق عند النطق بالحاء والعين. وهو حاصل كلام القدماء[٣]، على حين ذكر بعض آخر أن مخرج العين والحاء يتم بواسطة تقريب جذر اللسان مع الجدار الخلفيّ للبلعوم الفموي[٤]، وكان أكثرهم تحديداً وتوفيقاً الدكتور تمام حسان حيث قال عن العين: "وصوت العين... يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار، ونتوء لسان المزمار إلى الخلف حتى يصل أو يكاد بالجدار الخلفي للحلق..."[٥] ، وقال عن الحاء: "ويتم النطق به كما يحدث مع صوت العين"[٦].

ج- أدنى الحلق: الغين والخاء

ذكر القدماء أن هذا المخرج أقرب المخارج إلى الفم أي قبل مخرج القاف، وفي ذلك يقول سيبويه: "وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان. ألا ترى أنه يقول بعض العرب: مُنْخُل و مُنْغُل، فيُخفي النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم ، لقرب هذا المخرج من اللسان"[٧]، بل إنَّ سيبويه جعل

---

(١) سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص٢٠١ ، وأحمد مختار عمر(دراسة الصَّوت الغويّ) ص٣١٩، ورمضان عبد التواب (المدخل إلى علم اللغة) ص٢٢٣.

(٢) كمال بشر (الأصوات) ص١٢١ والسعران (علم اللغة) ص١٧٨.

(٣) راجع ص٢٧ عن الحرف والمقطع والمخرج عند القدماء.

(٤) د.أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ٣١٩ ود.سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص٢٠١.

(٥) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٣٠ .

(٦) المرجع السابق ص١٣١ .

(٧) سيبويه (الكتاب) ٤٥١/٤.

(الغين والخاء) في مرحلة متوسطة بين منطقة اللسان ومنطقة الحلق، ففي نصٍّ ذي قيمةٍ صوتية يقول فيه:" والخاء والغين بمنزلة القاف وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، **وقربهما من الفم كقربهما من الحلق**"[1].

والذي يظهر من النَّصَّين السابقين أن سيبويه قد وَجد أن من العرب من يُخفي النون عند الغين والخاء، ومنهم من يُظهرها، ولا يكون ذلك في غير هذين الحرفين؛ فأعطاهما لذلك حكماً متوسِّطاً.

وجعل "ابن سينا" الخاء والقاف في حيِّزٍ واحد، والغين والكاف في حيِّزٍ واحد، غير أن هذا الوصف لابن سينا، لا نجد له صدىً في نصوص القدماء من أهل اللغة والتجويد. وذكر بعض القدماء مخرج الغين والخاء محدِّداً منطقة أدنى الحلق بصورة دقيقة حيث يقول الإمام سبط الخيَّاط[2]: "وثلاثة تخرج من أعلى الحلق وأصل اللسان متوالية، وهي الغين والخاء والقاف"[3].

أما المحدثون، فقد اختلفوا؛ فبعضهم وافق سيبويه فيما جاء به ، قال أحدهم وهو يتحدث عن مخارج الحروف الحلقية: "**وتدل التجارب الحديثة** على صحة كلام سيبويه في كل هذا"[4]، أي أنه يتابع سيبويه في كل ما جاء به عن هذه الحروف. وبعضهم ضم الغين والخاء مع القاف[5]. وأكثرهم جعل الغين والخاء

---

(١) المرجع السابق ٤/٤٨٠.

(٢) سبط الخياط : عبد الله بن علي بن أحمد البغدادي، المعروف بسبط الخياط: شيخ الإقراء ببغداد في عصره، كان عالماً بالقراءات واللغة والنحو، ولد عام (٤٦٤هـ) ،من كتبه " المبهج " و " التبصرة " كلها في القراءات، توفي ببغداد سنة (٥٤١هـ) . غاية النهاية ١/٤٣٤، والأعلام٤/١٠٥.

(٣) الإمام سبط الخياط (المبهج في القراءات الثمان) ، رسالة دكتوراه مقدمة من الباحثة وفاء قزمار ١٤٠٤هـ جامعة أم القرى، ص١/٢١٧

(٤) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ١١٣

(٥) كانتينو (دروس في علم الأصوات العربية) ص٣١.

مع الكاف[1]، وفي ذلك يقول أحدهم:" **غير أن الدراسات الصوتية الحديثة** أثبتت أن الغين والخاء يخرجان من الطَّبق؛ وهو سقف الحنك الرخو"[2]، أي من مخرج الكاف.

إنّ من الملفت للنظر حقاً في النصَّين السابقين أن أحدهما ينسب الغين والخاء إلى أدنى الحلق، على حين ينسبها الآخر إلى الحنك اللَّين مع تمسك كل منهما بالتجارب الصَّوتية الحديثة التي لا نجد لها أثراً في كتابيهما[3]، ولا إلى مرجع يشير إلى ذلك، فما الحق في هذه القضية؟

هل الغين والخاء أدخل في الحلق من القاف أم هي أدخل منهما؟

يعني هل الترتيب هكذا تصاعدياً: (غ خ ق) أو (ق غ خ)؟

لنتعرف أولاً على مخرج القاف والكاف، ثم يُحكم في هذه القضية إن شاء الله تعالى.

---

(١) أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص٣١٨ ، وكمال بشر (الأصوات) ص٩٠ ، وتمام حسان "(مناهج البحث في اللغة)ص١٢٤ وص١٢٩-١٣٠.

(٢) رمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) "بتصرف" ص٢٢٣.

(٣) سألت الدكتور كمال بشر في القاهرة ١٩٩٣م: على ماذا اعتمدتم في وصف أصوات الفصحى؟ فأجابني: على الأذن. وقد صرح بذلك في كتابه "الأصوات" ص٨٩ حيث قال: " ولكننا نشعر بحسب نطقنا الشخصي..." فاستوت بذلك المفاضلة بين القدماء والمحدثين.

مخارج اللسان

أ- أقصى اللسان (القاف والكاف)

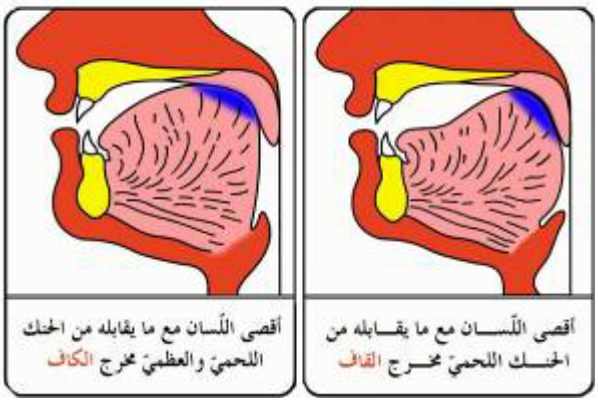

اتفق القدماء والمحدثون على أن القاف تخرج من منطقة اللهاة (الحنك اللين).

قال سيبويه: "ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مُخرج القاف"[١].

ولم يخرج وصف المحدثين عما جاء به سيبويه[٢]. قال أحدهم : "ويسمى الصوت حينئذ لهوياً. ويتم في هذه المنطقة إنتاج صوت واحد هو القاف. ويتم إنتاجه عن طريق اتصال مؤخر اللسان بمنطقة اللهاة مع الطبق اللين (بصورة لا تسمح بمرور الهواء) يعقبه تسريح فجائي له (انفجاري)"[٣].

أما الكاف فقد قال سيبويه: "ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مُخرج الكاف"[٤]، فجعل لها مخرجاً مستقلاً غير مخرج القاف، ولم يجمعهما في مخرج كلِّي واحد، وقد علَّل المرعشيُّ سبب ذلك فقال: "إن قلت؛ فعلى هذا أقصى اللسان منقسم إلى موضعين كأقصى الحلق، فينبغي أن يجعل أقصى اللسان مخرجاً واحداً كلياً كأقصى الحلق. قلت: أقصى اللِّسان فيه طول، وبين موضعي القاف والكاف بُعْد"[٥]. ولم يخالف سيبويه أحد من القدماء.

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣ .

(٢) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٨٦-٨٧ وكمال بشر (الأصوات) ص٩٠ وسعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص٢٠١ .

(٣)أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ٣١٨ .

(٤) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣ .

(٥) المرعشي (جهد المقل) ص١٥ .

وقد ذكر أحدهم أن ابن الجزري أخطأ في مخرج القاف والكاف، فجعل الكاف أعمق من القاف، يعني هكذا : (ك ق) ، قال: "وهو يجعل الكاف خلف القاف، والعكس أصح، فصوت الكاف من نفس مخرج صوتي الخاء والغين"[1].

ولديَّ ملاحظات على نص الدكتور، منها:

١- ما كان لمثل ابن الجزريِّ أن يخطئ مثل هذا الخطأ، وهاك نصَّ ابنِ الجزري نفسه في النَّشر، قال: "**المخرج الخامس** أقصى اللِّسان **مما يلي الحلق**، وما فوقه من الحنك، وهو للقاف.

المخرج السادس: أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف **من اللسان** قليلاً وما يليه من الحنك وهو للكاف"[2].

ونحن نعلم أنه جرى في ترتيبه للحروف على مذهب الجمهور، أي من أقصى الحلق إلى الشفتين. وعليه؛ فما مقصود ابن الجزري في جعله المخرج الخامس للقاف، والمخرج السادس للكاف؟[3].

٢- وكذلك؛ فإن ابن الجزري قال عن القاف (مما يلي الحلق) وعن الكاف:(من أسفل مخرج القاف من اللسان وما يليه من الحنك..) كما هو واضح، فهل الحلق سابق عن الحنك أم متقدم عليه؟!

٣- وبالمقارنة بين وصف سيبويه من جهة، ووصف ابن الجزريّ من جهة أخرى نجد أن الوصفين يتطابقان إلى حدٍّ كبير، وعلى ذلك، فالأَوْلى أن تنقد عبارة سيبويه، وهو ما لم يفعله أحد من القدماء والمحدثين.

وللكشف عن مخرج الغين والخاء والقاف والكاف يراعى أن يُوسَّع من دائرة الحلق عند القدماء لتشمل جزءاً من الحنك اللين، وخاصةً حين رجوع الحنك

---

(١) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١١٢ .

(٢) ابن الجزري (النشر في القراءات العشر) ١/١٩٩-٢٠٠ .

(٣) راجع تعليق الدكتور غانم قدُّوري حمد على نصِّ الدكتور تمام حسان في كتابه "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" ص١٩٥ وما بعدها.

اللين إلى الخلف ليسد مجرى الهواء إلى الخيشوم، حيث إن الجزء الخلفي من الحنك اللين واللسان يَشغَل حيزاً من الحلق[1]، ويؤيد هذا ما ورد عن بعض القدماء من أن المقصود بمنطقة أدنى الحلق هو أصل اللسان، ولكن هذا الأمر يبقى على سبيل الافتراض حتى نعرف؛ هل الغين والخاء أدخل من القاف أو هي أدخل منهما؟ فإذا كانتا أدخل من القاف فيلزم حينئذٍ أن نُوَسِّعَ من دائرة الحلق، أما إذا كانت أدخل منهما، فعندئذٍ نحكم بخطأ القدماء ونُرَجِّح رأي المحدثين. إن الذي دعاني إلى الملاحظة السابقة وهو أن منظار الحنجرة لم يُوضِّح أي عملٍ لجدران الحلق، اللهم إلا رجوع الحنك اللَّين إلى الخلف ليسد مجرى الهواء إلى الخيشوم سداً محكماً في حالة القاف، وأقل من ذلك قليلاً في حالة الغين الخاء، ولكن بتأمل ظهر الحنك من خلال الخيشوم حال نطق القاف والغين والخاء، بدا أن أقصى اللسان يضغط على الحنك اللَّين حال النطق بالغين والخاء في نقطة أعمق من القاف، لكن هذا لا يُعدُّ تحديداً دقيقاً للمخرج، فاخْتَبرت هذه الحروف بواسطة الحنك الكهربي مضيفاً إليها الكاف.

ونلاحظ التلامس الواضح في حالة الكاف (علماً بأننا في منطقة شجر الفم) على حين يَقِلُّ التلامس في حالة القاف، لأن مخرجها من منطقة اللهاة (الحنك اللَّين)، وما وجدت أي تلامس ظاهر في حالة الغين والخاء[2]، وهذا ما يدعوني بالضرورة إلى القول بأن القاف أعمق في المخرج من الكاف، وكذلك الغين والخاء أعمق في المخرج من القاف، لكننا يجب أن نلاحظ ما يلي :

---

(١) الحنك اللين: هو الجزء العضلي المتحرك من الحاجز الفاصل بين فراغات الأنف وفراغ الفم من جهة، وبين الفم والبلعوم من جهة أخرى. ويتصل الحنك اللين من الأمام بالحنك الصلب، ومن الجانبين بالجدران الجانبية للبلعوم كما ينحني إلى أسفل وإلى الخلف داخل البلعوم (دراسة السمع والكلام) للدكتور سعد مصلوح ص١٥٢.

(٢) ولهذا السبب لم أجد ضرورة إخراج نتيجة الغين والخاء وطبعها على أوراق، لانعدام أي إشارة تلامسية من اللسان بالحنك.

١- التلامس في حالة القاف لا يعني أن مخرجها من منطقة شجر الفم (الحنك الصلب)، إذ إنها تخرج من منطقة اللهاة (الحنك اللين)، لكن الحنك الكهرَبِيّ لم يَرصُد ذلك لأنه لا يتجاوز منطقة شجْر الفم.

٢- الحنك الكهربي قاصرٌ عن تحديد الجزء اللساني الذي تتم فيه الملامسة، فلا ندري من خلال الجهاز، هل التلامس يكون بطرف اللسان، أو وسطه، أو أقصاه، ويُرجع في ذلك إلى الملاحظة الذاتية.

٣- الحنك الكهربي يُظهر فقط منطقة تلامس اللسان بالحنك، وهو عاجز عن تحديد منطقة الضغط الحقيقيّ (المخرج الجزئي).

وقد أورد سيبويه في كتابه طريقةً بسيطةً مبنيةً على الملاحظة الدقيقة[١]، نستطيع خلالها تذوقَ مواضعِ هذه الأربعة.

قال في (باب ما تُقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات): "تقلبها القاف... وذلك أنها من أقصى اللسان، **فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم**، وتصعَّدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى، والدليل على ذلك: أنك لو جافيت بين حَنَكيك، فبالغت، ثم قلت: قَقْ قَقْ، لم تَرَ ذلك مخلاً بالقاف، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخل ذلك بهن. فهذا يدلُّك على أن معتمدها على الحنك الأعلى"[٢].

بتطبيق هذه التجربة البسيطة، وذلك بفتح الفكّ السفليّ إلى أقصى درجة ممكنة (معلومٌ أن الفكَّ العلويَّ ثابتٌ لا يتحرك)، نجد أن النطق بالكاف وما بعدها من حروف اللسان يختلّ، وسبب ذلك واضح؛ ذلك لأن الحنك الصّلب له سببٌ رئيسٌ في إنتاجها وتكوُّنها، وهو جزءٌ عظميٌّ ثابت لا

---

(١) أشار الدكتور غانم قدّوري حمد إلى هذا النصّ في كتابه "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد"ص ١٩٨.

(٢) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٧٩-٤٨٠ .

يتحرك، وأنت بالمبالغة في خفض فكّك السفلي تكون قد ضَيَّعتَ على اللسان فرصة الالتقاء به، أما في حالة القاف والغين والخاء، فإنها تنتج من منطقة الحنك اللين، وهو جزء لحميّ مَرِن قابل للتحرك. ويرتبط هو وأقصى اللسان بالعضلة الحنكية اللسانية التي تعمل على رفعهما إلى أعلى[١].

لكنك تجد مشَقَّةً يسيرةً في نطق القاف على حين تجد السُّهولة في نطق الغين والخاء، وربما ذلك ناشئ من طبيعة الصوت الشَّديد والرِّخو، لكن تبقى تجارب الحنك الكهربي شاهدةً على صحة كلام القدماء في أن الغين والخاء أعمق من حيث المخرج على القاف، وهي جميعها تخرج من منطقة اللهاة (الحنك اللين)، على حين تخرج الكاف من منطقة شَجْر الفم (الحنك الصَّلب). ومن هنا يتبين لنا فساد قول من قال: إن الكاف كان ينبغي لها أن تُدرج مع حروف الاستعلاء[٢].

ومع هذا الوضوح، فالقضية جديرةٌ أن تبحث أكثر من هذا.

ب- وسط اللسان (الجيم والشين والياء)

قال سيبويه:" ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مُخرج الجيم والشين والياء"[٣].

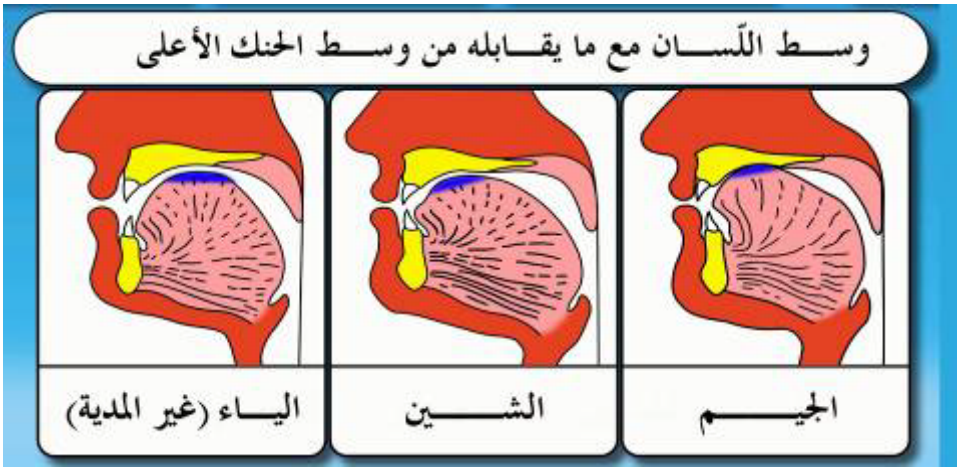

(١) سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص ١٦٢ .

(٢) عبد الرحمن أيوب (العربية ولهجاتها) ص٩٦.

(٣) سيبويه (الكتاب)٤/٤٣٣.

لم يختلف القدماء فيما بينهم في أن هذه الحروف تخرج من هذه المنطقة، وإنما اختلفوا في ترتيبها.

أما الجيم فقد تباينت ألسنة الناس فيها على مستوى لهجاتهم كما هو مشاهد محسوس، وكما قدّمنا[١]، فقد رصد القراء هذا الاختلاف الذي لا يجوز في تلاوة القرآن الكريم. وبعيداً عن فكرة الصوت المركب التي سنعرض لها بشيء من التفصيل عند الحديث عن صفات الحروف[٢] فقد اتفق القدامى والمحدثون[٣] على أن مخرج الجيم كما نسمعه من القراء اليوم هو من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى إلاّ أنّ أحدهم قد جعلها هي والشين من الأصوات التي تشترك اللِّثة والحنك فيها فقال:" أصوات لثوية حنكية، وهي الجيم الفصيحة والشين"[٤].

وأما بالنسبة للشين، فقد اختلفت عبارات المحدثين في وصفه؛ قال أحدهم: "يتكون الشين العربي بأن يرفع (ذلق) اللسان و(طرفه) (ومقدَّمه) نحو مُؤَخَّر اللِّثة،بينما يكون كل الجزء الأساسي من جسم اللسان مرفوعاً نحو الحنك الأعلى في نفس وقت، ويكون الفراغ بين مقدَّم اللسان ومؤخر اللِّثَة ضيقاً... وفي نطق الشين تتقارب الأسنان السُّفلى والعليا؛ إذ لا يتأتى تكوين هذا الصَّوت إذ اشتد انفتاح الفم.يرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصَّوتيان"[٥]، وتابعه آخر فيما جاء به فنسب الشين إلى اللثة والحنك[٦]، وقال ثالث :"وهو صوت غاري... يتم النطق به بوضع طرف اللسان ضد الأسنان السفلى ومقدَّمه ضد الغار، مع خفض

---

(١) انظر علم التجويد (أهميته ومنهجه) صفحة (ع).

(٢) انظر طبيعة الصَّوت المركب في الجيم ص١٤٣.

(٣) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٧٧ــ ٧٨ وتمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٣١ - ١٣٢ ورمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ص٥١ وسعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص٢٠١.

(٤) كمال بشر (الأصوات) ص٩٠.

(٥) محمود السعران (علم اللغة) ص١٧٦.

(٦) كمال بشر (الأصوات) ٩٠.

مؤخِّر اللسان، ورفع الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفيّ للحلق"[1]، وهو حاصل كلام القدماء، لأن المعول عليه هو التقاء عضوي النطق، وهو هنا وسط اللسان.

ولديَّ هنا ملاحظة على نص الأول وهي عدم تحديده لمخرج الشين إلا إذا كان معنى (الرَّفع) هو التقاء عضوي النطق، لكنه بهذا يجعل كل جسم اللسان ملتصقاً بالحنك الأعلى. هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى فنحن لا نجد من واقع النطق بحرف الشين ولا من التجارب التي أجريت بواسطة الحنك الكهربي أن الشين تخرج بالتقاء طرف اللسان مع اللِّثة، ثم إن ذلق اللسان هو طرفه[2]فلم كرر الدكتور عبارته؟!

وتثبت التجارب التي قمتُ بها بواسطة الحنك الكهربي صحة كلام القدماء في وصف الشين.

ج- حافة اللسان (الضاد واللام)

قال أبو عمرو الداني: "ولحافة اللسان مخرجان وحرفان، وهما الضاد واللام"[3]، وسنعرض للضاد بشيء من التفصيل في فصل صفات الحروف[4]، لكن حسْبنا هنا أن نبين مخرجها كما وُصِفت في القديم والحديث.

أما في القديم فقد وصف سيبويه الضاد الفصيحة بقوله: "ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأَضراس مُخرج الضاد"[5].

---

(١) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٢٩.

(٢) الفيروز آبادي (القاموس المحيط) ص١١٤٣.

(٣) أبوعمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص١٠٥.

(٤) انظر قضية الضاد ص١٥٤.

(٥) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣ .

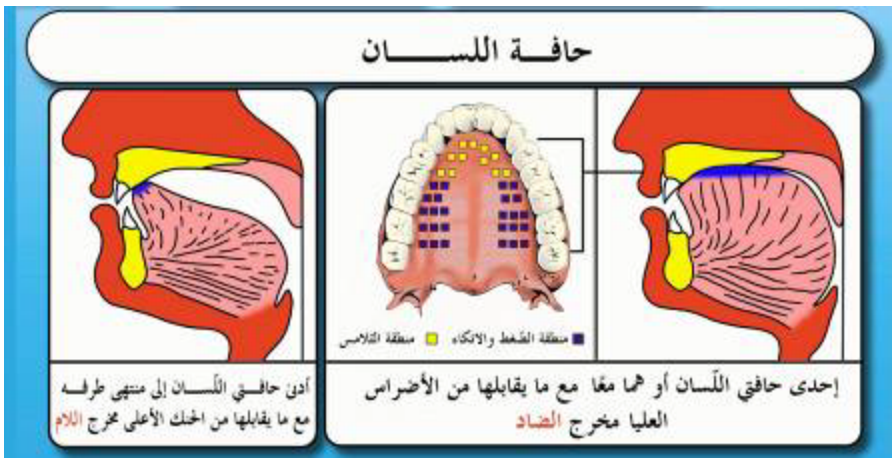

والمراد بأول حافة اللسان أي من عند مخرج الجيم والشين والياء، أو بعدها، وفي ذلك يقول الجاربردي: "وينبغي أن تعلم أنه ليس المراد بأول حافتيه ما هو في مقابلة أقصى اللسان وما يليه، لتأخر ذكر الضاد عن القاف والكاف، فإنه دلَّ على تأخر مخرجه من مخرجها، وإذا أخَّر ذكرَه عن ذكر الجيم والشين والياء أيضاً عُلم أن مخرجها من حافَّة اللسان لكن أقرب إلى مقدم الفم بقليل"[(١)]، وقال الشيخ سلطان المزَّاحي[(٢)]: "وليس مرادهم بأول إحدى الحافتين؛ الأول الحقيقي الذي هو بإزاء الأقصى الذي يخرج منه القاف والكاف؛ إذ لو كان كذلك لذُكِرت قبلهما، أو بينهما، أو بعدهما، ففي ذكرهما بعد مخرج الشَّجْرية دليلٌ على أن المراد بأولها: الأول النسبيّ، وأن المراد به مما هو محاذٍ لمخرج الشَّجْرية أو بعدها"[(٣)].

وحرف الضاد عند القدماء ينشأ من ضغط حافَّة اللسان بما يليها من الأَضراس العليا، قال مكيّ: "فلا بد للقارئ المجوِّد أن يلفظ بالضَّاد مفخمة،

---

(١) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٣٣٦/١.

(٢) المزاحي: سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل المزاحي:كان شيخ الإقراء بالقاهرة.(ت ١٠٥٧ هـــ) ، من كتبه: مؤلف في (القراءات الأربع الزائدة على العشر)، و(مسائل وأجوبتها) في التجويد. لعله أجوبة عن أسئلة وردت إليه في القراءات، و(رسالة في أجوبة المسائل العشرين التي رفعها بعض المقرئين) . الأعلام ٣ / ١٠٨.

(٣) الإمام سلطان المزاحي (أجوبة الشيخ سلطان المزاحي عن الأسئلة التي وجهت إليه في التجويد والقراءات)، نسخة مصورة عن المكتبة الأزهرية ١٨٨ قراءات ١٥/ب.

مستعلية، منطبقة، مستطيلة، فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها، ومتى فرَّط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال، فيكون مُبدِلاً ومغيِّراً"[1].

وبيَّن الاستراباذيّ أن مخرج الضاد يستغرق أكثر حافتي اللسان أي من عند مخرج الجيم والشين إلى قريب من رأس اللسان، قال: "فأنت تخُرج الضاد من أقصى إحدى حافتي اللسان إلى قريب من رأس اللسان، ومنتهاه أول مخرج اللام ، هذا الذي ذكرناه مخرج الضاد من اللسان إلى قريب من رأس اللسان ، وموضعها من الأسنان نفس الأضراس العليا، فيكون مخرجُها بين الأضراس وبين أقصى إحدى حافتي اللسان، وأكثر ما تخرج من الجانب الأيمن على ما يُؤْذن به كلام سيبويه، وصرَّح به السيرافي، ويقال للضاد: طويل؛ لأنه من أقصى الحافة إلى أدنى الحافة، أي إلى أول مخرج اللام، فاستغرق أكثرَ الحافة"[2].

وقال ابن يعيش: "والضاد من حيِّز الجيم، والشين، والياء"[3]

أما **المحدثون** فقد وصفوا الضاد التي يسمعونها من القراء اليوم بأنها تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، أي هي من مخرج الدال أو بالأصَحِّ دال مفخمة، قال أحدهم: "وهذا صوت أسناني، لثوي، شديد، مجهور، وفخم، **كما ينطق به قراء القرآن في مصر في وقتنا الحاضر**، وهو بهذا القيد يُنطق بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالأسنان العليا، ومقدِّمه بحيث يتصل بأصول الثنايا التي تسمى اللِّثة، ثم إلصاق الطَّبق بالجدار الخلفي للحلق ليَسُد المجرى الأنفي"[4]، واستنتجوا بناءً على هذا أن الضاد التي نسمعها من القراء اليوم مخالفة لوصف القدماء، وبالتالي

---

(١) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) الاستراباذي (شرح الشافية) ٢٥٢/٣-٢٥٣.

(٣) ابن يعيش (شرح المفصل) ١٢٥/١٠.

(٤) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٢٠.

حكموا بتغيُّر الضاد الفصيحة. وكان أحرى بهم أن يقولوا (التي نسمعها من بعض القراء اليوم)، لأن القراء المتقنين بعيدون عن هذا اللحن.

أما اللام فقد قال عنها سيبويه: "ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى[1](وما فويق الضَّاحك والنَّاب والرباعية والثَّنية مخرج اللام)[2] ، ومعنى هذا أن اللسان قد شغل مساحةً من الحنك وهي طرف اللسان مع أسْلته أي من لثة الضَّاحك إلى لثة الضَّاحك الآخر.

واستشكل ابن الحاجب أن يكون المخرج الذي حدده سيبويه واسعاً كل هذا الوسع، فحدَّد المخرج بأن اللسان يضغط فقط على اللثة، بينما يلامس طرفه لثة الضَّاحك والناب والرباعية والثنية، قال: "وكان يغني أن يقال فويق الثنايا إلاَّ أن سيبويه ذكر ذلك، فمن أجل ذلك عدَّدوا، وإلا فليس في الحقيقة فوق، لأن مخرج النون يلي مخرجها، وهي فوق الثنايا، فكذلك هذا، على أن الناطق باللام يَبْسُط جوانب طرفي لسانه مما فوق الضاحك إلى الضاحك الآخر، وإن كان المخرج في الحقيقة ليس إلاَّ فوق الثنايا، وإنما ذلك يتأتَّى لما فيها من شبه الشِّدة، ودخول المخرج في ظهر اللِّسان، فيُبْسط الجانبان لذلك، فلذلك عدَّد الضَّاحك والنَّاب والرباعية والثنية"[3]، أي معنى ذلك أن موضع الانضغاط هو فوق الثنايا. ومعنى فوق الثنايا: اللثة.

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣.

(٢) بين الأقواس مستدرك من طبعة بولاق (٢/٤٠٥)، إذ سقط مخرج اللام من طبعة عالم الكتب تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

(٣) الإمام عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي (إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع) تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ص ٧٤٦.

ووضَّح المرعشي مخرج اللام بما يجلو حقيقته، واعتمد فيه على كلام سيبويه: "المخرج الثامن: ما بين حافتي اللسان معاً بعد مخرج الضاد وما يحاذيهما من الَّلثة العليا، وهي لِثَة الضاحكين والنابين والرباعيتين والثنيتين يخرج منه اللام، ورأس اللسان داخل في مخرجه"[١]. وقال: "لما قَرُب[٢]اللِّثة العليا إلى الحنك الأعلى واتصلت به جعلت جزءاً منه مجازاً"[٣]. وهذا هو المعتمد في مخرج اللام.

أما المحدثون فمخرج اللام عندهم يتمُّ بالتقاء طرف اللسان مع اللثة[٤].

مجموعة حروف طرف اللسان

هذه هي المجموعة الكبرى من حروف اللسان، قال أبو عمرٍو الدانيّ: "ولطرف اللسان خمسة مخارج، وأحد عشر حرفاً:

فالطاء والتاء والدال من مخرج واحد، وهو بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى الحنك.

والظاء والذال والثاء من مخرج واحد، وهو ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا.

والصاد والزاي والسين من مخرج واحد، وهي الفرجة التي بين طرف اللسان والثنايا العليا.

والنون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، ويتصل بالخياشيم، وهي المبيَّنة والمدغمة.

---

(١) المرعشي (جهد المقل) ص١٦.

(٢) لعلَّها (قربت).

(٣) المرعشي (بيان جهد المقل) ص١٦.

(٤) إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية" ص ٦٤، وتمام حسان "مناهج البحث في اللغة" ص ١٣٣، وأحمد مختار عمر "دراسة الصوت اللغوي" ص ٣١٧ ، وكمال بشر "الأصوات" ص ١٢٩، ومحمود السعران "علم اللغة" ص ١٦٩-١٧٠.

والراء من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، غير أنه أدخل من النون في ظهر اللسان لانحرافه إلى اللام"[١].

د- طرف اللسان (النون والراء)

ذكرت في تقديمي للمخارج[٢]أن بعض القدماء قد خالف سيبويه في هذه الحروف، فجعل اللام والراء والنون من مخرج واحد،كالفرَّاء وقُطْرب والجرميّ، لكن جمهورهم أقر ترتيب سيبويه واعتمده حيث جعل لكل حرف من هذه الحروف مخرجاً مستقلاً عن غيره.

قال سيبويه:"ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون"[٣].

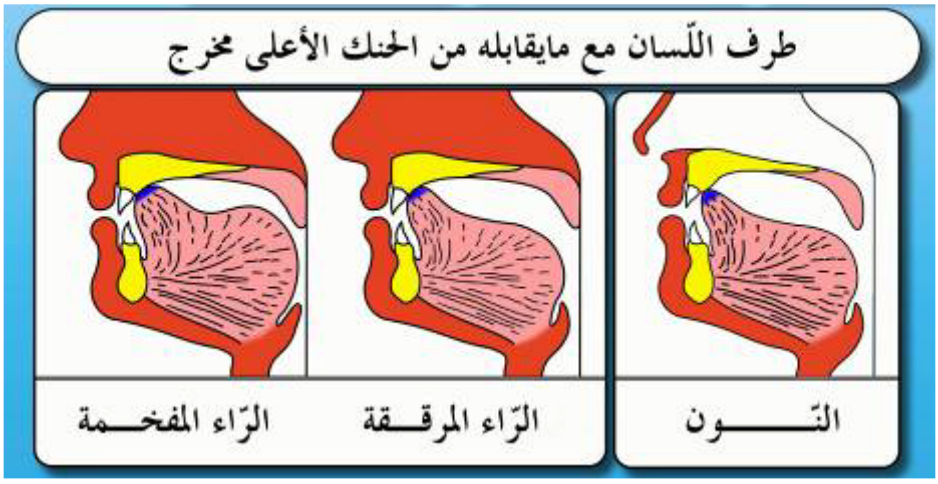

تابع القدماء سيبويه في هذا الوصف، ولم يختلفوا إلا في تحديد موقع النون من اللام، هل هي سابقة أم متقدمة؟ أي فوق اللام أو تحتها على حسب تعبيرهم، قال مكيّ:"النون: تخرج من المخرج السادس من مخارج الفم فوق اللام قليلاً أو تحتها قليلاً على الاختلاف في ذلك"[٤] وكان المرعشي واضحاً حين حدَّد المخرج بصورة دقيقة، فقال: المخرج التاسع: ما بين رأس اللسان وما يحاذيه من اللِّثة، وهي

---

(١) أبو عمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص١٠٥.

(٢) انظر عدد المخارج عند القدماء ص ٣٥.

(٣) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣.

(٤) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ١٩٣.

لِثَةُ الثَّنيَّتين العُلْيَين يخرج منه النون المظهرة، قال[1]: "جعلوا مخرج النون من طرف اللسان، وهو رأسه مع ما يليه من اللثة مائلاً إلى ما تحت اللام قليلاً، وقيل فوقها أي قليلاً، ومخرجه أضيق من مخرج اللام، أقول: من جعلها فوق اللام يُقَدِّمُهَا في الترتيب على اللام"[2].

أما المحدثون فما قيل عن مخرج اللام هو نفسه ما قيل عن النون، وأصحابها هناك هم أصحابها هنا[3].

وأما الراء فقد قال عنها سيبويه:" ومن مُخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مُخرج الراء"[4]. وقال ابن يعيش :"اعلم أن الراء حرف تكرير، فإذا نطقت به خرج كأنه متضاعف، وفي مخرجه نوع ارتفاع إلى ظهر اللسان إلى مخرج النون فويق الثنايا"[5].

يستوقفنا في كلام سيبويه وابن يعيش أمران:

أولاً: ما المقصود بظهر اللسان؟

شرح المرعشي المقصود به فقال:" أراد من ظهر اللسان ظهره مما يلي رأسه، وظهره صَفْحَتُهُ التي تلي الحنك الأعلى"[6]، ثم توسع المرعشي في شرحه ظهر اللسان فقال: " طرف اللسان ورأسه بمعنى واحد، وهو سطح مقوَّس له ظَهْر، وهو طرفه العلويّ، وبطن: وهو طرفه السفليّ، ومجموع ذلك السَّطْح مع ما يحاذيه من اللِّثَة مخرج النون المظهرة، وداخل في مخرج اللام، ولما كان طرف اللسان جزءاً من اللسان كان ظهر طرفه ظهره أيضاً، لكن لما زيد ظهر اللسان مع ذكر طرفه في

---

(١) أي ملا علي القاري.

(٢) المرعشي (جهد المقل) ص١٦.

(٣) انظر كلام المحدثين عن مخرج ص٦١.

(٤) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣ ــ ٤٣٤.

(٥) ابن يعيش (شرح المفصل) ٩/٦١.

(٦) المرعشي (جهد المقل) ص١٧.

مخرج الراء؛ علم أن ذلك الظهر غير ظهر طرفه، فهو ظهر اللسان مما يلي طرفه. فتفكر تدركه إن شاء الله سبحانه"[١].

وبعيداً عن أسلوب المرعشيّ، فإن وصفه جاء دقيقاً حيث أراد بظهر اللسان: السطح العلوي لوسط اللسان.

ثانياً: إذا كان سيبويه قد ذكر أن الراء أدخل إلى ظهر اللسان، فلماذا عدَّها بعد النون؟

نقل أبو شامة عن أبي عمرو بن الحاجب هذا الإشكال، وأجاب عنه، فقال:" وأورد الشيخ أبو عمرو أن هذه العبارة تقتضي أن يكون مخرج الراء قبل النون، لأن الراء أدخل منها إلى ظهر اللسان، وأجاب: بأن المخرج بعد مخرج النون، وإنما يشاركه ذلك[٢]، لا على أن يستقلُّ به، ألا ترى أنك إذا نطقت بالنون والراء ساكنتين، وجدت طرف اللسان عند النطق بالراء فيما هو بعد مخرج النون، هذا هو الذي يجده المستقيم الطَّبْع. قال: وقد يمكن إخراج الراء مما هو داخل من مخرج النون أو من مخرجها، ولكن بتكلف، لا على حَسَب إجراء ذلك على الطَّبع المستقيم، والكلام في المخارِجْ إنما هو على حَسَب اشتقاق الطبع لا على التكلُّف"[٣].

وقد حل المرعشيُّ هذا الإشكال فيمن جعلها سابقة أو تالية، فقال:" ظهر اللسان أدخل من رأسه، وما يُلابِسُهُ رأسه من اللِّثة بعد مخرج النون، فمن نظر إلى الأول يظهر له جعل مخرج الراء قبل مخرج النون، ومن نظر إلى الثاني أخَّر الراء عن النون، والله أعلم"[٤].

---

(١) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ١٦- ١٧.

(٢) أي ظهر اللسان.

(٣) أبو شامة (إبراز المعاني) ص ٧٤٦.

(٤) المرعشي (جهد المقل) ص١٧.

معنى هذا الكلام أنك يجب أن تنظر إلى الراء من زاويتين: اللسان، واللثة، فمن نظر إلى اللسان جعل مخرج الراء أدخل من مخرج النون لاشتراك ظهر اللسان. والنون لا يشترك فيها ظهر اللسان. ومن نظر إلى اللِّثة قدَّم الراء، لأن ضغط اللسان على اللِّثة في الراء يكون في منطقة أقرب إلى الثنايا منه في النون.

ويبدو أن هذا الاختلاف ناشئ في تحديد المنطقة التي يضغط فيها اللسان على الحنك لا مجرد التلامس، إذ رأينا من قبل أن ابن الحاجب قد أخرج حافة اللسان من مخرج اللام، وقال: يكفي أن يكون بطرف اللسان مع اللثَّة. ولكن اللسان ينفرش ليستغرق جميع الحافة، فالعبرة بالضَّغط، وليس بالتلامس.

وأنا هنا أميل إلى رأي الفراء وقطرب والجرميّ الذين جعلوا هذه الثلاثة من مخرج واحد؛ إذ تظهر نتائج الحنك الكهربي أن هذه الثلاثة تخرج من منطقة واحدة دون تميُّز حرف عن حرف، غير أن الراء يتعثر اللسان بها نتيجة صفة التكرير، فتظهر بعض النقاط التلامسية.

وحبَّذا لو وُجِدَ جهاز آخر يقيس نسبة ضَغْط اللسان على الحنك، لنختبر رأي سيبويه ومن تابعه؛ ذلك لأن الحنك الكهربيّ لا يظهر إلا نقاط تلامس اللسان فقط. فقد يكون جسم اللسان مرتفعاً ملامساً للحنك، لكن الضَّغط الحقيقيّ يكون في منطقةٍ ما من مناطق التلامس.

أما المحدثون فقد اتفقوا جميعاً على أن الراء تخرج بالتقاء طرف اللسان مع اللثة[1]، وهو حاصل كلام القدماء. قال أحدهم : "يتكون صوت الراء العربي بأن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً .. وهذه الطرقات لا تحدثها حركة عضلية واعية من طرف اللسان، فالذي يحدث أن طرف اللسان يوضع سَمْحاً في موضعه المناسب، ويذبذبه العمود الهوائي"[2].

---

(١) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٦٦ وتمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٣٢ وأحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص٣١٧.

(٢) محمود السعران (علم اللغة) ص١٧١.

ولقَّب الخليل هذه الثلاثة بالذلقية "لأن مبدأها من ذَلَق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلَق اللسان"[١].

هـ- طرف اللسان (الطاء، والدال، والتاء)

قال سيبويه: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مُخرج الطاء والدال والتاء"[٢].

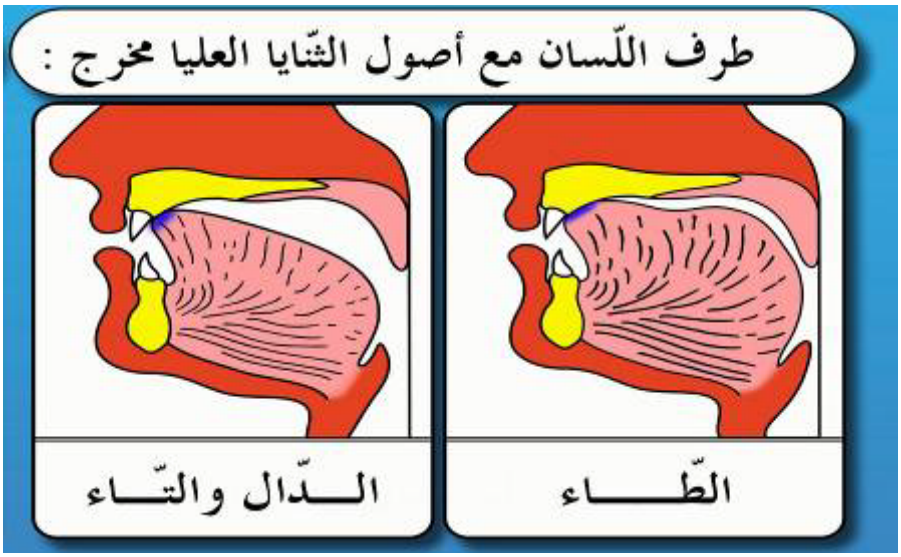

تابع العلماء بعد سيبويه والمحدثون[٣]وصف سيبويه، لكنَّ بعض المحدثين[٤]اشترط اتصال وسط اللسان باللثة.

وحدَّد المرعشيُّ المخرجَ بصورة دقيقة فقال: "والمخرج الحادي عشر: ما بين رأس اللسان وأصلَي الثنيتين العُلْيَيْن يخرج منه الطاء، فالدال المهملتان، فالتاء المثناة الفوقية. أقول: هكذا قالوا، فظهر أن أصلَيْهما ينقسمان إلى ثلاثة مواضع، مما يلي اللِّثة منها يخرج منه الطاء، ومن بُعَيْدِه الدَّال، ومن بعيده التاء، فالمراد من أصليهما

---

(١) الخليل (العين) ١/٥٨.

(٢) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣.

(٣) إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية" ص ٤٨ وص ٦١-٦٢ ومحمود السعران "علم اللغة" ص ١٥٤-١٥٥ وكمال بشر "الأصوات" ص ١٠١-١٠٢ وتمام حسان "مناهج البحث في اللغة" ١٢١-١٢٣.

(٤) كالدكتور محمود السعران والدكتور تمام حسان والدكتور كمال بشر.

ليس أقصى نهايتهما من جانب اللِّثة لاستحالة الانقسام حينئذ، بل المراد ما يلي اللِّثة من نصفيهما، والله أعلم"[١].

وتجد هذا الانقسام الجزئي عند ابن جني مع أنهما من مخرج كلِّيٍّ واحد، قال في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني: "ومن ذلك تركيب (ق ط ر) و (ق د ر) و (ق ت ر)، فالتاء خافية مستفلة، والطاء سامية متصعدة، فاستعملتا – لتعاديهما – في الطرفين، كقولهم: قُتْر الشيء وقُطْره. والدال بينهما، ليس لها صعود الطاء ولا نزول التاء، فكانت لذلك واسطة بينهما، فعُبِّر بها عن معظم الأمر ومقابلته، فقيل قَدْر الشيء لِجماعه ومحرنجمِه .."[٢].

ولقَّب الخليل هذه الثلاثة بالنِّطعية، "لأن مبدأها من نِطع الغار الأعلى"[٣]، واستشكل أهل التجويد هذه التسمية قال ابن غازي[٤]: "وهذه الثلاثة تسمى نِطْعية لمجاورة مخرجها نِطْع غار الحنك الأعلى، وهو سَقْفُه لا لخروجها منه كما قيل"[٥]، ولعل الخليل هنا جرى على مذهب العرب "في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قارَبَه وما جاوره، وكان كَسَبَبٍ منه وتعلَّق به ضرباً من التعلُّق"[٦]، وكذلك فإن تجارب الحنك الكهربي تؤيِّد كلام الخليل، وتُظهر تلامس اللِّسان مع كلِّ الحنك حال النطق بالدال مثلاً .. فمنطقة النطع داخلة في هذا المخرج.

---

(١) المرعشي (جهد المقل) ص ١٨

(٢) ابن جني (الخصائص) ١٦٢/٢.

(٣) الخليل (العين) ٥٨/١.

(٤) ابن غازي: زكي الدين منصور بن عيسى بن غازي الأنصاري الشافعي، توفي سنة (١٠٨٤هـ).

(٥) ابن غازي : زكي الدين منصور بن عيسى بن غازي الأنصاري الشافعي (الدرر المنظمة البهية في حل ألفاظ الجزرية) ، نسخة مصورة عن المكتبة الأزهرية رقم عام ٣٧٦١٥/رقم خاص ١٢٠٤ قراءات ٧٤/ب.

(٦) ابن الجزري (النشر في القراءات العشر) ٢٣/١.

وأما قول أحد المحدثين حين استشكل تسمية القدماء: "وتدل التجارب الحديثة على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا، بل ومعظم الثنايا من الداخل، فهي أصوات أسنانية لثوية، ولو قد وضعوا هذا المصطلح للام والراء والنون لكانوا أقرب إلى الصَّواب"[1]، فعليه ملاحظات:

١- لم يرد في كتابه أي إشارة عن نوع هذه التجارب.

٢- هل قامت هذه التجارب على نطق القراء؟

٣- أي الأجهزة استخدم في إجراء هذه التجارب؟

وحيث إن الإجابة متعذرة منه –رحمه الله– ففي الاشتغال بالموجود غنىً عما هو باق في العدم.

والملاحظ في وصف سيبويه أنه بعد أن انتهى من ذكر مخارج اللسان مع الحنك بدأ بذكر مخارج اللسان مع الأسنان، وهو بذلك قد خالف أستاذه الخليل الذي جعل مخرج الصاد والسين والزاي، قبل الطاء والدال والتاء[2]وهو الذي رآه الدكتور كمال بشر بحسب نطقه الشخصي قال:"ولكننا نشعر – بحسب نطقنا الحاضر لهذه الأصوات،أنها لثوية، وهي بهذا الاعتبار يجب أن تكون سابقة على مجموعة (الطاء والدال والتاء) ، لا تالية لها، وأن تُكَوِّن مع الراء مجموعة الأصوات اللثوية"[3].

و- طرف اللسان (الصاد والسين والزاي)

اختلفت عبارة القدماء والمحدثين في تحديد مخرج هذه الحروف، فسيبويه جعلها "مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا"[4].

---

(١) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ١٠٨ .

(٢) الخليل (العين) ٨٤/١.

(٣) كمال بشر (الأصوات) ص ٩٢.

(٤) سيبويه (الكتاب) ٤٣٣/٤.

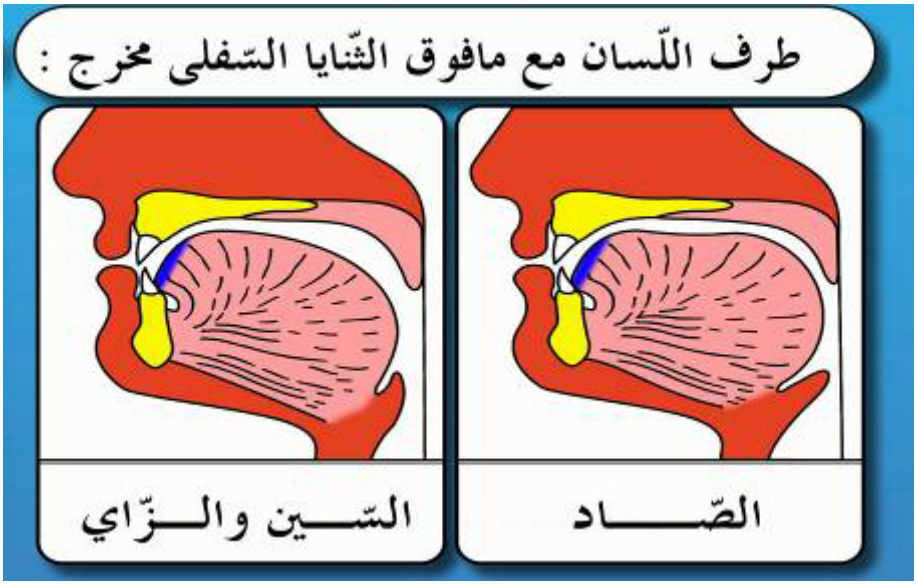

وحدَّدها بدقة في غير موضع مخارج الحروف، فقال: "والطاء والدال والتاء يدغمن كلهن في الصاد والزاي والسين، لقرب المخرجين لأنهن من الثنايا وطرف اللسان، وليس بينهن في الموضع إلاَّ أن الطاء وأختيها من أصل الثنايا، **وهن من أسفله قليلاً مما بين الثنايا**"[١].

وعلى هذا فيكون مقصود سيبويه أنها تخرج مما بين مخرج الطاء والدال والتاء ومخرج الظاء والذال والثاء ويكون مقصوده بفويق الثنايا أي السُّفلى، ولذلك حدد بعض القدماء مخرج هذه الثلاثة بأنه فويق الثنايا السفلى ، كما فعل ابن الجزري[٢]، وبعضهم جعلها بين مخرج الطاء والدال والتاء ومخرج الظاء والذال والثاء كالمراديّ قال: "لأن الأحرف الثلاثة تخرج من طرف اللسان وما بين أطراف الثنايا وأصولها، فهي من مخرج واحد"[٣].

وبعضهم كابن جني جعلها مما بين الثنايا وطرف اللِّسان، قال: "ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين"[٤]، وشرح الرَّضي الاستراباذيّ

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٦٣.

(٢) ابن الجزري (النشر) ١/٢٠١.

(٣) المرادي (شرح الواضحة في تجويد الفاتحة) ص ٣٥-٣٦.

(٤) ابن جني (سر الصناعة) ١/٤٧.

معنى ذلك، ووضَّح أن ليس هناك اتصال كامل من طرف اللسان بالثنايا العليا، بل يكون هناك بعض انفراج؛ ليخرج الصوت، فقال: "يعنون أنها تخرج من بين رأس اللسان والثنايا من غير أن يتصل طرف اللسان بالثنايا كما اتصل بأصولها لإخراج الطاء والدال، بل يحاذيها ويسامتها"[١].

ووَصف المرعشي لهذه الحروف وصفاً دقيقاً حيث قال: "المخرج الثاني عشر... ما بين رأس اللسان وبين صفحتي الثنيتين العُلْيين أعني صفحتيهما الداخلتين يخرج منه الصاد، فالسين، فالزاي، ولا يتصل رأس اللسان بالصَّفحتين، بل يسامتهما، والصَّاد أدخل، والزَّاي أخرج، والسِّين متوسط"[٢]، ثم حدَّد المرعشيّ المخرج أكثر فقال: "الظاهر أن المراد من هاتين الصَّفحتين ما يلي رأس الثَّنِيتين من نِصْفيهما، ليتميز هذا المخرج عن المخرج السابق"[٣]، أي مخرج الطاء والدال والتاء. فيكون حاصل كلامهم في تحديد هذه المخارج كالآتي:

١- من فوق الثنايا السفلى.

٢- مما بين أصول الثنايا العليا وأطرافها.

٣- مما بين الثنايا العليا.

وقد لقب الخليل هذه الحروف بالأسلية، "لأن مبدأها من أسلة اللسان. وهي مستدق طرف اللسان"[٤].

أما المحدثون، فقد اختلفوا على نحو اختلاف القدامى، فيرى أحدهم أنها تخرج "عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جداً يندفع الهواء خلاله، فيحدث ذلك الصفير العالي، هذا إلى

---

(١) الاستراباذي (شرح الشافية) ٣/٢٥٣-٢٥٤.

(٢) المرعشي (جهد المقل) ص١٨-١٩.

(٣) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ١٨.

(٤) الخليل (العين) ١/٥٨.

اقتراب الأسنان العليا من السفلى في حالة النطق بهذا الصوت"[١]، على حين يرى آخر أنها تخرج نتيجة اعتماد "طرف اللسان على اللثة، بينما يرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى، ويكون الفراغ بين طرف اللسان وبين اللثة قليلاً جداً، يرفع الحنك اللِّين، ولا يتذبذب الوتران الصَّوتيان"[٢]، ويرى ثالث أنها تخرج "بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالأسنان السفلى، ومقدِّمه بحيث يلتصق باللثة مع رفع الطَّبق بحيث يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ليسدَّ المجرى الأنفي في طريق الهواء الخارج من الرئتين ثم مع خفض مؤخر اللسان، وفتح الأوتار الصوتية في وضع التنفس المهموس"[٣]، ويرى رابع أنها تخرج "بأن يعتمد طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع التقاء مقدِّمه باللثة العليا، مع وجود منفذ ضيق، فيحدث الاحتكاك، ويُرفع أقصى الحنك حتى يمنع مرور الهواء من الأنف. ولا تتذبذب الأوتار الصَّوتيَّة حال النطق به"[٤].

وحاصل كلامهم كالآتي:

١- التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا.

٢- التقاء طرف اللسان باللثة.

٣- التقاء طرف اللسان بالأسنان السفلى مع التقاء وسطه باللثة.

٤- اعتماد طرف اللسان على الثنايا العليا مع التقاء وسطه باللثة.

---

(١) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٧٦.

(٢) محمود السعران (علم اللغة) ص ١٧٥.

(٣) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٢٨.

(٤) كمال بشر (الأصوات) ١١٩-١٢٠.

ولتحديد المخرج بصورة دقيقة يظهر أننا نحتاج إلى حنك صناعي يغطي منطقة الحنك الأعلى والأسنان، إذ إن الحنك الذي استخدمتُه في التجارب لا يُظْهِر إلاَّ تلامس اللسان بالحنك دون الأسنان[١].

ز- طرف اللسان (الظاء والذال والثاء)

حدَّد سيبويه مخرج هذه الحروف، فقال: "ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء"[٢].

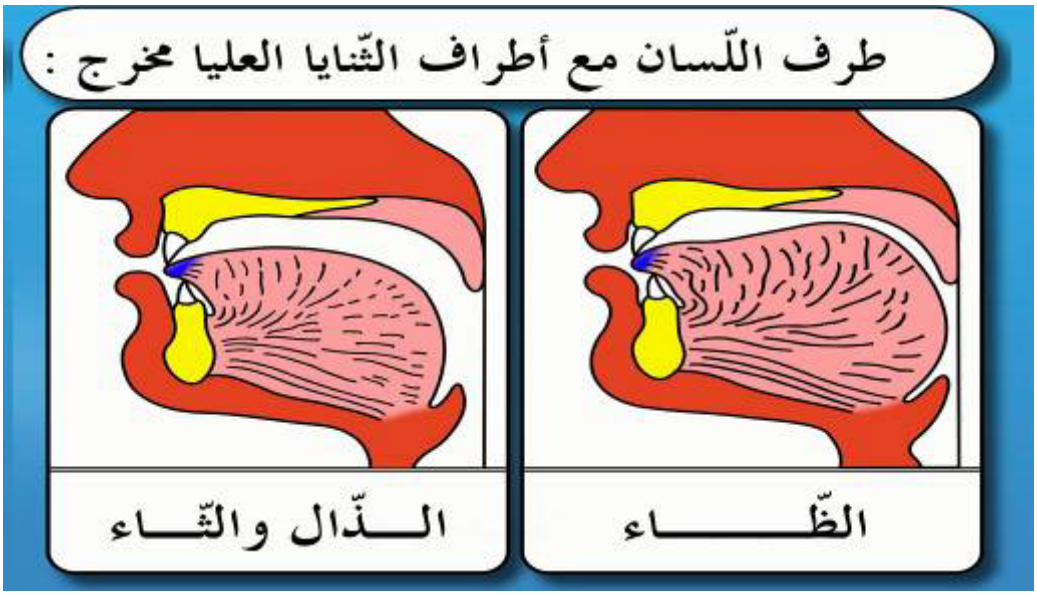

حدَّدت عبارات القدماء المراد بالثنايا، قال مكيّ: "وذلك ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العُلَى"[٣]، وكان المرعشيّ أكثر تحديداً لهذا المخرج، قال: "المخرج الثالث عشر: ما بين ظهر اللسان مما يلي رأسه وبين رأسي الثنيتين العُلَيَين يخرج منه الظاء، فالذال، فالثاء"[٤].

---

(١) علمت أن شركة (kay elemetrics corp) تصنع حنكاً ملائماً يغطي منطقة الحنك الصَّلب والأسنان إذ أعطاها (صاحب التجربة) المواصفات الملائمة، وذلك بالذهاب إلى طبيب الأسنان، وعمل مجسَّم جصِّي لحنكه وأسنانه.

(٢) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣.

(٣) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص٢٢٠.

(٤) المرعشي (جهد المقل) ص ١٩.

ووُجد من القدماء من جعلها بين الثنايا العليا والسفلى كابن الطَّحان[١]؛ قال: "ومن طرفه وما يليه من أطراف الثنايا: علياها وسفلاها تخرج الظاء والثاء والذال"[٢].

ولقَّب الخليل هذه الحروف باللثوية[٣]، واستشكل القدماء هذا اللقب، فمنهم من حملها على المجاورة، "كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما قاربه، وما جاوره، وكان كسَبَبٍ منه وتعلَّق به ضرباً من التعلق"[٤]، قال ابن غازي "وتسمى هذه الثلاثة لثوية نسبة إلى اللِّثة بكسر اللام، وهي اللَّحم النَّابت حول الأسنان لمجاورة مخرجها إياها، وقيل لخروجها منها، وهو خروج عن حدِّ الصَّواب"[٥].

ومنهم من حملها عن المجاز، وعلَّل لها تعليلاً لطيفاً كالمرعشي، قال: "وفي الرعاية: إن هذه الثلاث تسمى لثويَّة لخروجهن من اللِّثة. قيل: فيه مسامحة، وإنما نُسبن إلى اللِّثة؛ لأن النَّفَس المصاحب لهذه الحروف ينتشر ويتَّصل باللِّثة"[٦].

أما المحدثون، فتراوحت عباراتهم بين المحافظة على وصف سيبويه[٧]، أو مكي ابن أبي طالب[٨]، أو ابن الطحان[٩]، غير أن بعض المحدثين ذكر أن مخرجها يتمُّ "عن طريق ملامسة طرف اللسان للأسنان العليا بصورة تسمح بمرور الهواء"[١٠].

ولا تحتاج هذه الحروف إلى تجارب لوضوحها، ولاتفاق القدماء والمحدثين عليها.

---

(١) ابن الطحان: عبد العزيز بن علي بن محمد، قارئ مجود،ولد (٤٩٨هـ) ، وتوفي نحوسنة (٥٦٠هـ). من كتبه "مقدمة في مخارج الحروف "و" مقدمة في أصول القراءات".غاية النهاية١/٣٩٥، الأعلام٤/٢٢.

(٢) ابن الطحان (مخارج الحروف وصفاتها) تحقيق د. محمد يعقوب تركستاني، ط٢/ ١٩٩١م-١٤١٢هـ، ص١١٩.

(٣) الخليل (العين) ١/٥٨.

(٤) ابن الجزري (النشر) ١/٢٣.

(٥) ابن غازي (الدرر المنظمة البهية في حل ألفاظ الجزرية) ٧٥/ب.

(٦) المرعشي (جهد المقل) ص ١٩.

(٧) محمود السعران "علم اللغة" ١٧٣-١٧٤.

(٨) إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية" ص ٤٧ وتمام حسان "مناهج البحث في اللغة" ص ١٢٦-١٢٧.

(٩) كمال بشر "الأصوات" ص ٨٩.

(١٠) أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ٣١٥.

٣- مخارج الشفتين

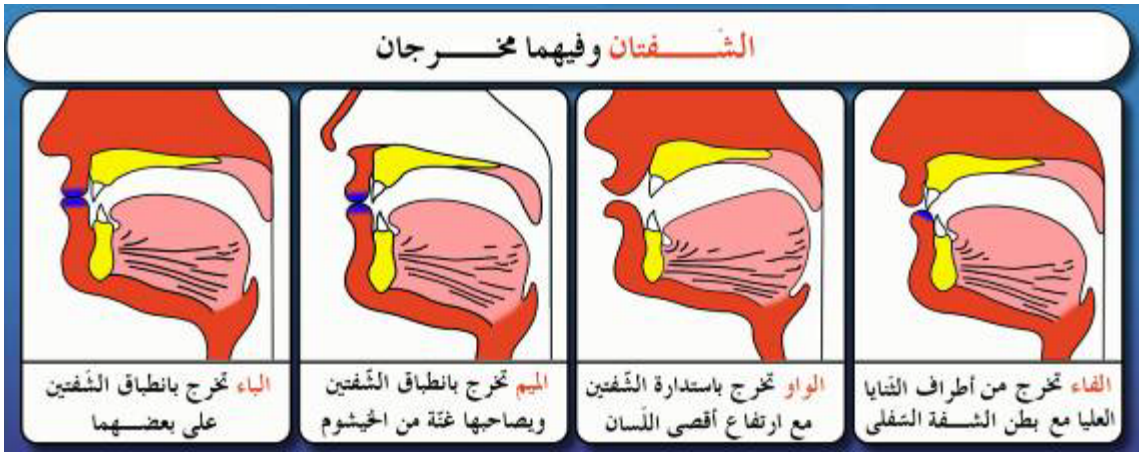

أ- الفاء

بعد أن انتهى سيبويه من وصف مخارج طرف اللسان مع الأسنان بدأ بوصف مخرج الأسنان مع الشفتين قال: "ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء"(١).

تابع القدماء سيبويه في هذا الوصف، لكن ورد في كلام المرعشي أن مخرج الفاء لايشترك فيه أطراف الثنايا العليا فقط، بل ما يجاورها من الرَّباعيات والأنياب، قال: "المخرج الرابع عشر: مابين باطن الشفة السفلى ورأسي الثنيتين العُلْيَين يخرج منه الفاء"(٢)؛ ثم قال معلقاً: "كذا فيما رأيته من كتب هذا الفن، لكن الملامس لباطن الشفة السفلى في الفاء ليس رأسي الثَّنِيَّتين فقط.. يشهد به الامتحان"(٣).

أما المحدثون، فبعضهم حافظ على وصف سيبويه(٤)، وبعضهم جعل المخرج من التقاء الأسنان العليا مع الشفة السفلى(٥)متابعين في ذلك المرعشي. لكن الملاحظ في وصف أكثرهم أنهم لم يلتزموا بطن الشفة السفلى في تحديد المخرج ،

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣.

(٢) المرعشي (جهد المقل) ص ١٩-٢٠.

(٣) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٢٠.

(٤) إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية" ص ٤٦ وتمام حسان "مناهج البحث في اللغة" ص١٢٥ وكمال بشر "الأصوات" ص ١١٨.

(٥) محمود السعران "علم اللغة" ص ١٧٣ وأحمد مختار عمر "دراسة الصوت اللغوي" ص ٣١٥.

وهذا –في رأيي– ينقصه الدقة، لأهمية وضع أطراف الثنايا على بطن الشفة السفلى حتى يتحقق جريان النَّفَس الكثير في هذا الصوت (الهمس).

ب– الباء والميم والواو

قال سيبويه:" ومما بين الشفتين مُخرج الباء والميم والواو"[١].

وقال ابن يعيش:" ومما بين الشفتين مخرج الميم والباء إلا أن الميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنة"[٢]، وقال الملأ على القاري:" مخرج هذه الثلاثة خاص للشفتين حيث تخرج من بين الشفة العليا والسفلى إلا أن الواو بانفتاح، والباء والميم بانطباق، إلا أن انطباقهما مع الباء أقوى من انطباقهما مع الميم"[٣]. وأرجع المرعشي سبب ذلك إلى الغنّة، فقال:" والظاهر أن سببه عدم احتباس النَفَس في الميم، بل جريانه في الخيشوم بخلاف الباء. وعدم احتباس النفس عند الاعتماد على مخرج الحرف يوهن الاعتماد"[٤].

لم يزد المحدثون على كلام القدماء اللهم إلاَّ إدراكهم لدور الحنك اللين في قفل أو فتح ممر الهواء إلى التجويف الأنفي، قال أحدهم : "ويسمى الصوت الذي يتم إنتاجه فيهما بالشفوي، أو الشفوي الثنائي أو الشفتاني، والأصوات التي يتم إنتاجها في هذا المخرج اثنان:

١– ففي حالة قفل الشفتين ثم فتحهما فتحاً فجائياً ينتج صوت الباء (انفجاريّ).

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٣.

(٢) ابن يعيش (شرح المفصل) ١٠/١٢٥.

(٣) ملا علي القاري (المنح الفكرية) ص ١٤.

(٤) المرعشي (بيان جهد القل) ص٢٠ وذكر الدكتور تمام حسان أثناء مناقشة هذا البحث أن الملاحظ من هذا النص أن المرعشي يجعل معنى الاعتماد: مقدار انطباق أحد العضوين في المخرج أثناء النطق، والمعروف أن سيبويه ينسب إلى الاعتماد أثراً في الجهر والهمس.

٢- وفي حالة قفل الشفتين مع إنزال الطبق اللين (ليسمح للهواء بالمرور من تجويف الأنف) ينتج صوت الميم (أنفي)"[١].

ونلاحظ هنا من الكلام السابق طريقة المحدثين في وصف الصوت، وهي إسكانه ثم النطق به سواء أكان لمعرفة المخرج أو الصفة. وقد تقدم[٢].

وقد لَقَّب الخليل الباء والميم مع الفاء بالأحرف الشفوية نسبة إلى الشفة.

وحتى يظهر دور الحنك اللِّين في التحكُّم في مجرى الهواء إلى الفم أو الخيشوم نطَقْتُ اللام مرتين؛ مرة خالية من الغنَّة كما في رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، ومرَةً بإشرابها غنَّة كما في رواية حفص عن عاصم أيضاً من طريق طيِّبة النَّشر[٣].

٤-مخرج الخيشوم

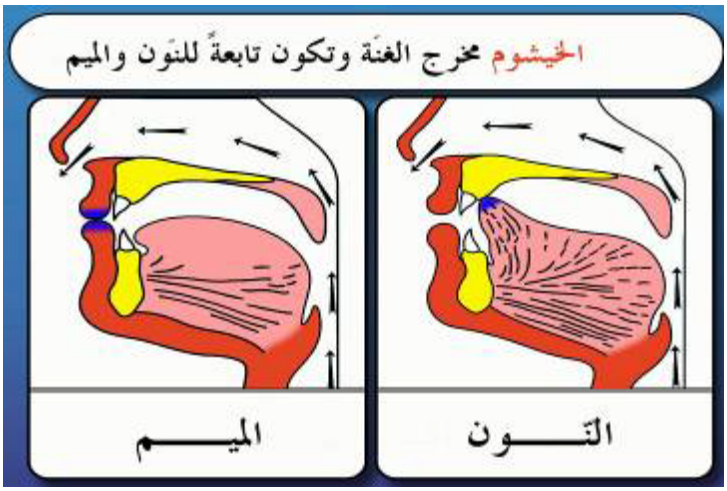

النون الخفية

بعد أن انتهى سيبويه من ذكر تجاويف الحلق والفم والشفتين ــ التي تُعَد غرف رنين للصوت الخارج من فتحة المزمار، وما تَضُمُّه هذه التجاويف من مخارج

---

(١) أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ٣١٥ وكمال بشر "الأصوات" ص٨٩ وسعد مصلوح "دراسة السمع والكلام" ص ٢٠١.

(٢) انظر كيفية نطق المحدثين للأصوات لمعرفة مخارجها ص٣٤.

(٣) الشيخ علي محمد الضباع (صريح النص في الأوجه المختلف فيها عن حفص) ص ١١-١٢.

الحروف ــ خَتَمَ كلامه بذكر آخر الغُرَف الرَّنينيَّة أعني الخيشوم، جعلها للنون الخفية قال:" ومن الخياشيم مخرج النون الخفية"[1]، لأنه أراد حرفاً تتحقق فيه استقلالية الغنة فلم يجده إلاَّ في النون عندما تكون قبل حروف الإخفاء الخمسة عشر. قال الإستراباذيّ:" إن للنون مخرجين: أحدهما في الفم والآخر في الخيشوم، إذ لا بد فيها من الغنة،وإذا أردت إخراجها في حالةٍ واحدة من المخرجين فلا بد فيها من اعتماد قوي وعلاج شديد، إذ الاعتماد على المخرجين في حالة واحدة أقوى من الاعتماد على مخرج واحد"[2]، وفي حالة الإخفاء يزول مخرج النون اللِّسانيّ الذي هو طرف اللسان مع الحنك الأعلى، ويُكتفى بمخرجها الخيشومي مع وضع اللسان عند مخرج الحرف الذي يلي النون، أي اقتصرنا على أحد مخرجي النُون دون الآخر.

قال الإستراباذيّ:" وإن لم يكن هناك قربٌ لا في المخرج ولا في الصفة أُخفيَ النون بقلَّة الاعتماد، وذلك بأن يُقتصر على أحد مخرجيه ولا يمكن أن يكون ذلك إلاَّ الخيشوم، وذلك لأن الاعتماد فيها على مخرجها من الفم يستلزم الاعتماد على الخيشوم بخلاف العكس، فيقتصر على مخرج الخيشوم، فَيحْصل النون الخفية"[3].

وهذا الكلام دقيقٌ وعميقٌ جداً؛ لأنَّك إذا وضعت طرف لسانك في مخرج النون فلا بد أن تسمع صوتاً من الخيشوم، لأن الغنةَ لا تنفك عن النون حينئذ، وإذا وضعت لسانك عند مخرج الكاف، أو الجيم، أو الشين، أو جعلته طليقاً غير معتمد على مخرج فمويّ، لاستطعت إجراء الصوت من الخيشوم. ومن هنا كان السبب في إعطائها مخرجاً خاصّاً دون غيرها من الحروف الفرعية التي ذكرها سيبويه، قال زكرِيا الأنصاريّ، وهو يتحدث عن الحروف الفرعية: "لأنها حروف تحدث من

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٤.

(٢) الاستراباذي (شرح الشافية) ٢٧١/٢٧٢.

(٣) المرجع السابق ٣/٢٧٢.

إشراب بعض الأصول صوتاً من غيره، ولهذا كانت متفرعة عليها، وإلاَّ فهي هي، لكنها أُزيلت عن معتمد أصولها، فتغيرت جروسُها، وبهذا اندفع ما يقال: لم جعلتم مخرج النون الخفيَّة زائداً عن المخارج الخمسة عشر، ولم تجعلوا مخارج المتفرعة كذلك؟ "[1].

وكان اختيار سيبويه لهذا الحرف مُوَفَّقًا، إذ لم يجد من الحروف التي نطق بها العرب من يُقْتصر على أحد مخرجيه دون الآخر. قال: "وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم؛ وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم؛ لأنها أكثر الحروف. فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم، كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم، لأنه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها. فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبس، وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم، وذلك قولك: من كان، ومن قال، ومن جاء"[2].

فإن قيل: لماذا لم تشارك الميم النون الخفية في هذا المخرج، مع أن لها حكم الإخفاء عند الباء؟

قلت: لأن الميم وإن كانت تشارك النون في الغنة إلاَّ أن إطباق الشفتين الذي هو مخرجها مصاحب لها في كلِّ حالاتها (الإظهار- الإدغام – الإخفاء).

قال أبو عمرو الدانيّ مقرِرًا ذلك: "ويسمى الميم الحرف الراجع، لأنها ترجع إلى الخيشوم لما فيها من الغنة، وهي أقوى من النون، لأن لفظها لا يزول، ولفظ النون قد يزول عنها، فلا يبقى منها إلاَّ غنة، ولذلك لم تُدغم الميم فيها ولا في شيء من مقاربها"[3].

---

(١) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٢٣٨/٢.

(٢) سيبويه (الكتاب) ٤٥٤/٤.

(٣) أبو عمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص ١١١.

ولما كانت النون الخفيَّة غير متحقِّقة إلا في حال السِّياق، وعند حروف الإخفاء الخمسة عشر؛ فقد قمت بقياس نسبة الغنَّة استئناساً بواسطة جهاز مقياس الغنة[1].

والمقياس الموضوع لقياس نسبة الغنة عند حروف الإخفاء هو من ١-١٠٠% فنلاحظ من الشكل أن غنة النون عند الشين تبدأ من حوالي ٦٠% حتى تصل إلى حوالي ٨٠%.

وتتفاوت نسبة غنة النون عند حروف الإخفاء، فهي تصل إلى ٩٠% أو أكثر من ذلك بقليل عند القاف والكاف، ويرجع سبب ذلك إلى أن أقصى اللسان قد أغلق منطقة الفم غلقاً كاملاً أو شبه كامل عند مخرج القاف والكاف، فخرج أكثر الصوت من الخيشوم. ثمَّ تتفاوت نسبة الغنة في باقي حروف الإخفاء. والجدول التالي يمثل نسبة غنة النون الساكنة عند حروف الإخفاء.

(١) انظر الملاحق للتعرف على آلية عمل الجهاز ص٢٦٤.

نسبة غنة النون الساكنة عند حروف اللسان بواسطة جهاز مقياس الغنة

المخرج		الحرف	الزمن بين المؤشرين	متوسط الغنة	أعلى نسبة للغنة	أدنى نسبة للغنة
أقصى اللسان لهوية		ق	ثانية,٦٨	٥٢,٩١ %	%٩٢	%٨٢
		ك	ثانية,٦٧	٧٥,٩٦ %	%٩٨	%٨٧
وسط اللسان شجرية		ج	ثانية,٧٣	٠٠,٧١ %	%٨٢	%٦٢
		ش	ثانية,٨٨	٥٧,٧٦ %	%٨٣	%٦٤
حافة اللسان		ض	ثانية,٧١	٦٧,٦٠ %	%٧١	%٥٢
طرف اللسان	أسلية	ص	ثانية,٧٦	١٣,٦١ %	%٦٥	%٥٨
		س	ثانية,٨٠	٠٧,٦١ %	%٦٥	%٥٢
		ز	ثانية,٩٨	٦٥,٦٧ %	%٧٩	%٦٠
	نِطعية	ط	١ثانية,٠٣	١٧,٦١ %	%٧٣	%٥٨
		د	١ثانية,١١	٧١,٦٨ %	%٩٢	%٦٢
		ت	ثانية,٠٨٩	٨٨,٦٦ %	%٨٦	%٦٤
	لثوية	ظ	ثانية,٧١	٤٢,٧٥ %	%٨٤	%٥٢
		ذ	ثانية,٧٨	٩٢,٧٩ %	%٨٩	%٧٠
		ث	ثانية,٦٨	٧٣,٧٩ %	%٨٤	%٦٦
شفوية		ف	١ثانية,٠٠	٣٨,٧٤ %	%٨٤	%٣٩

جدول نسبة غنة النون الساكنة عند حروف الإخفاء

المبحث الثاني

صفات الحروف

أهمية الصفات

ركّز القدماء و المحدثون على أهمية الصفات في تحديد الحرف . فلا يكفي تحديد المخرج لمعرفة الحرف ، بل لا بد أن يضاف إليه الصّفات المصاحبة له، وفي ذلك يقول مكي: " واعلم أنه لولا اختلاف الصِّفات في الحروف ، لم يفرَّق في السمع بين أحرف من مخرج واحد ، و لولا اختلاف المخارج لم يفرَّق في السمع بين حرفين أو حروف على صفة واحدة ، وقد تقدّم منه جملة فافهمه ، فعليه مدار علم مخارج الحروف وصفاتها ، وقوَّتها وضعفها ، وتقاربها وتباعدها ، و إدغام بعضها في بعض "[1]. وقال : " ولو كانت المخارج واحدة ، والصفات واحدة ، لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة لا تفهم.

فهذه حكمةٌ جَعَل الله عليها هذه الحروف في أصوات بني آدم لتخرج بهذه الصفات عن جنس أصوات البهائم ، لأن أصوات البهائم لا اختلاف في مخارجها ولا في صفاتها، و لذلك لا تفهم ، فباختلاف صفات الحروف في ألفاظ بني آدم ، واختلاف مخارجها ، وتباين طباعها فُهِم الكلام وظهر المعنى القائم الذي في نفس المتكلم للمخاطَب وعُلِم المراد"[2] .

هذا كلام القدماء عن أهمية الصفات ، و لم يخرج كلام المحدثين عن كلامهم .

---

(١) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ٢١٨.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٣ – ١٤٤.

قال برجستراسر[1]: " وعلى ذلك فلا يكفي لمعرفة الحرف وتمييزه تحديد المخـــرج وحده، دون علامة ثانية هي صفة الحرف "[2].

وقال أحدهم : " و الواقع أن المخارج ... والصفات التصنيفية ... هي الأســـاس الذي يقوم عليه بناء التطريز اللغوي "[3].

فهل نجد اختلافاً بين كلام القدماء والمحدثين ؟

وقال مكي : " وتكون الحروف من مخرجين ، وهي مختلفة الصفات ، فهذا غاية التباين ، إذ قد اختلفت في المخارج والصفات و تكون من مخـــرجين متفقـــة الصفات، فهذا أيضاً تقارب بين الحروف من جهة الصفات وتبـــاين مـــن جهـــة المخرج .فافهم هذا ، فعليه مدار الحروف كلها "[4] وقـــال : " وربمـــا اجتمـــع للحروف صفتان وثلاث و أكثر . فالحروف تشترك في بعض الصفات ، وتفتـــرق في بعض ، و المخرجُ واحد ، وتتفق في الصفات و المخرجُ مختلف ، و لا تجد أحرفاً اتفقت في الصفات والمخرج واحد؛ لأن ذلك يوجب اشتراكها في السمع فتصـــيرَ بلفظ واحد ، فلا يفهم الخطاب منها "[5] .

فهل خرج هذا عن كلام المحدثين حيث يقول أحدهم : " إن أي حرفين في النظام التشكيلي في أي لغة لا بد أن تكون بينهما جهة اختلاف واحدة على الأقل

---

[1] برجستراسر : جوتهلف برك شتريزر ، جرى تسميته (برجستريسر) أو(برجستراسر) مستشرق ألماني، كان أبوه وجده من قساوسة البرتستانت في مدينة بلون بألمانيا.وتعلم في جامعة ليبزيج ، وأخذ العربية . توفي سنة(١٣٥٢ هـــ-١٩٣٣م). ومما نشره بالعربية (غاية النهاية في طبقات القراء) لابن الجزري، ومات قبل تمامه فأكمله المستشرق برتزل. الأعلام ١٤٢/٢.

[2] براجستراسر (التطور النحوي للغة العربية) مكتبة الخانجي القاهرة دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢هـــ-١٩٨٢م ، ص ١٣ .

[3] تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١٣ .

[4] مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١٥٦ .

[5] المرجع السابق ص ١١٥ .

. وهذه الجهة إما أن تكون مخرجا أو صفة ، ولو اتفق حرفان في المخرج والصفة لما صح أن يسميا حرفين ، بل إنما يكونا حرفاً واحداً .

وإن نظرةً واحدة إلى جدول الحروف لتُبيِّن كيف لا يتفق اثنان منها في المخرج و الصفة كليهما ، بل لا بد من اختلاف بينهما يجعل لكلٍّ منهما مكانة في المنظَّمة التطريزية للحروف"[1].

و للصفات فوائد أخرى تستفاد من هذا التمييز بين الحروف وقد لخصها ابن جماعة في ثلاث فوائد:

١- " معرفة ما تحتاج إلى التعديل ليحسن في السمع مما لا تحتاج .

٢- مقابلة الحروف مما لا يشاكلها في القوة والضعف من المعاني ؛ بدليل جعل القضم للشيء اليابس و الصلب لقوة القاف ، و الخضم للشيء الرطب لضعف الخاء ورخاوتها.

٣- فضيلة ما لكل حرف على غيره ليعرف ما يجوز إدغامه في مقاربه وما لا يجوز "[2].

ولنضرب على كل فائدة من هذه مثالاً ، فمثال للأول ويؤخذ من القراءة القرآنية " إذا وقف الواحد منا على القاف من كلمة (الحق) دون أن يتبعها بصويت القلقة ، بل أتبعها بنفس، فهذا يُعد لحناً في القراءة وذلك اللحن لا يغير المعنى بل هو لحن صوتي خاص بالأداء القرآني .

وأما الفائدة الثانية فقد عقد لها ابن جني باباً في الخصائص أسماه : باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ، فليراجع ثمة[3].

---

(١) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١٥٥ .

(٢) ابن جماعة (مجموعة الشافية من علمي الصرف و الخط) ١ / ٣٤٠ .

(٣) ابن جني (الخصائص) ٢ / ١٤٥ .

و أما الثالث فهو الموجود في كتب الصرف وهو باب الإدغام حيث تعرف بالصفات أن حروف الصفير وهي الصاد والسين والزاي لا تدغم في ما قاربها من الحروف في المخرج وهي النطعية واللثوية لنداوة صوتها.

عرف القدماء أن هناك من الصفات ما يكون مميزاً بين الحروف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة وغيرها . نقل مكي عن المازني قوله : " إن الذي فصل بين الحروف التي أُلف منها الكلام سبعة أشياء : الجهر والهمس ، والشدة والإرخاء، والإطباق ، والمد واللين ، قال : لأنك إذا جهرت ، أوهمست ، أو أطبقت ، أو شدَّدت ، أو مدَدت، أو ليَّنت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد . قال : فعند ذلك يأتلف الكلام ويُفهم المراد"[1].

وقال ابن دريد : " و إنما خالف بين هذه الحروف المتقاربة حتى اختلفت أصواتها : الهمس والجهر ، والشدة والرخاوة ، والمد واللين ، والإطباق "[2] ؛ فهذه هي الصفات المميزة للحرف عند حصوله في المخرج .

علق جمال الدين الحسيني المعروف بنقرة كار[3] على قول ابن الحاجب في الشافية (فالمجهورة إلى قوله وحروف القلقلة) قائلاً : " واعلم أن من قوله فالمجهورة إلى قوله وحروف القلقلة تقسيماتٌ للحروف باعتبار صفات تلازمها ، وليست هذه الأقسام باعتبار تقسيم واحد ، وإنما هي باعتبار تقسيماتٍ متعددة مستقلة ، فتقسيم المجهورة و المهموسة تقسيم واحد مستقل ، ومعنى التقسيم

---

[1] مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١٤٣ .

[2] ابن دريد (جمهرة اللغة) ١ / ٨ .

[3] النقرة كار : عبد الله بن محمد بن أحمد الحسيني النيسابوري، وينعت بالشريف (ت٧٧٦ هـ): عالم بالعربية وأصول الفقه حنفي. له " شرح التسهيل " في النحو، و " شرح الشافية " في التصريف، و "شرح لب اللباب" في النحو، و " شرح التلخيص " في البلاغة ، قال طاش كبري زاده: معنى النقرة كار: صائغ الفضة . الأعلام٤/١٢٦.

المستقل أن تكون الأنواع منحصرة بالنفي و الإثبات في التحقيق ، لا في صورة إيرادها ، مثلاً : لّما علمت أن المجهورة هي الحروف التي لا يجري النفس معها عند النطق بها ، والمهموسة هي التي يجري النفس معها. عند ذلك علمت انحصار التقسيم بالنفي والإثبات . وكذلك الشديدة والرخوة وما بينهما.و أما قوله: (وحروف القلقلة ...الخ) فلم يقصد إلى ذكر قسم مع قسيمه ، لأنه لم يُسَمَّ قسيمه باسم باعتبار مخالفته ،فإذا قصد إلى وصفه بذلك ذكر منفيا عند ذلك الوصف !! كما نقول : ما عدا الراء من الحروف ليس بمكرر وليس له لقب باعتبار نفي التكرار"[1] .

وقد فرَّق القدماء بين الصفات اللازمة للحرف الذاتية له، وبين صفات العروض الناشئة عن الصفات اللازمة كالتفخيم والترقيق بمعناهما عند القدماء[2] وسَمَّوا الصفات اللازمة حق الحرف ، وسَمَّوا الصفات الناشئة عن هذه الصفات مُستحقّ الحرف.

قال الروميّ: " ثم الفرق بين الحق والمستحق أن الحق صفة اللزوم كالجهر والهمس وغيرها. فإنها صفات لازمة لذوات بعض الحروف غير منفكة عنها . و المستحق صفة العروض كالتفخيم والترقيق ونحوهما ، فإنها صفات غير لازمة لذوات الحروف بل عارضة لها ناشئة عن الصفات اللازمة غالباً كتفخيم الحرف المستعلي وترقيق الحرف المستفل وغير ذلك "[3]

و ما برح علماء الأصوات المحدثون يبحثون في نفس المنهج الذي اتبعه الأقدمون ذاكرين صفات متضادة كالجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ،

---

[1] ابن الحاجب (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٢ / ٢٤٤ .

[2] انظر التفخيم والترقيق عند القدماء والمحدثين ص ٢٣٦.

[3] الرومي (شرح رسالة الدر اليتيم) ٢٧ / ب .

والاستعلاء و الاستفال ، وصفات غير متضادة وسمت بها بعض الحروف كـــالانحراف أو الجانبية للام والتكرار للراء.

قال أحدهم: " و أما صفات الأصوات فيمكن النظر إليها من زوايا متعددة :

١- الطريقة التي يتم بها النطق في مخرج ما (الشـــدة والرخـــاوة و التعطـــيش والاستمرار).

٢- حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية وعدمه (الجهر والهمس) .

٣- تحرك مؤخر اللسان أو مقدمه تحركاً ثانوياً أثناء حدوث النطق في موضـــع آخر (الإطباق ، و التغوير ، والتحليق) "[١].

المطلب الأول: الجهر و الهمس

هذا المبحث من أهم مباحث هذه الرسالة ، وسيشغل حيِّزاً كبيراً منها ، وذلك بسبب آراء منشؤها اللبس في هذه القضيَّة ، وفهم بعض مصطلحات القدماء على غير ما أرادوه . وفَهْم المصطلحات العربيَّة على أنها مرادفةٌ للمصطلحات الغربيَّـــة. ولذا أرى أنّ قضية فهم المصطلح هي المدخل الطبيعيّ ، و الخطوة الأولى للدِّراسات المقارنة أمثال هذه الدِّراسة.

ولكي نفهم مصطلح الجهر والهمس عند القدماء والمحدثين ، فإنَّه يلزمنـــا أن نختبر المقاييس التي استخدمها كلٌّ منهما ، مع محاولة فهم وجهة نظرهما ، ثم نحكم بعد ذلك على هذه المقاييس إن كانت صالحة للتطبيق أم لا.

وكذلك يلزمنا أيضاً أن نتأمّل ما يقرؤه القراء المتقنـــون في عصـــرنا ، وأن نَعرض قراءتهم على ما وُصف قديماً مع التَّثبُّت و الحذر من التَّســـرُّع في إعطـــاء الحكم، لأن الحديث إنما هو عن كتاب تعهَّده الله بالحفظ والصِّيانة . فأيّ تسرُّعٍ في

---

[١] تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١١٢ .

إعطاء أيّ حكم قد يُفضي بصاحبه إلى مزالق كان من الأَوْلى له ألاّ يخوض فيها. و السَّعيدُ من جُنِّب الفتن.

وسيقوم الباحث بمناقشة مفهوم الجهر والهمس عند القدماء والمحدثين ، ومن ثَمَّ يعرض هذا المفهوم على ما يقرؤه القراء المتقنون اليوم مدعِّماً ذلك بالتجارب المعمليَّة للوصول بإذن الله إلى فيصل وحكمٍ نهائيٍّ في هذه القضية.

فالحروف العربية التي وُصفت قديماً من حيث هي أصوات مفردة لا يختلف و صفها في كتب العربية عنها في كتب التجويد . وكنت قد أثبتُّ ذلك في باب المخارج[1] ، و هأنذا أُثبته هنا في الصِّفات .

أ- الجهر و الهمس عند القدماء:

كيفية نطق القدماء للحروف العربية

ذكرت فيما مضى أن المتقدمين من علماء العربية والتجويد حينما أرادوا أن يعرفوا مخرج الحرف أسكنوه واجتلبوا له همزة وصل من قبله ، غاضِّين النظر عن الصفات التي تصاحب هذا الحرف ، ولكنهم لما أرادوا أن يلفظوه عموماً وجَدوه لا يخلو من إحدى حالتين :

١- إما أن يكون متحركاً

٢- وإما أن يكون ساكناً

وذلك لأن أغلب الصفات تصاحب الحرف حال سكونه وتحركه .

فإذا أرادوا وصفه حال تحركه ؛ كان لهم طريقان :

أحدهما : أن يحكوه بهاء السكت كقولك: (كَـه) و (بَـه)

---

[1] انظر مخارج الحروف ص٤١.

وثانيهما : أن يجتلبوا له من بعده حركة طويلة كانت أو قصيرة ، كقولك : (با) و (تا) أو (بَ) و (تَ) مع اجتلابهم لحرف صحيح بعد الحركة القصيرة ، لأنه لا يوقف على حركة قصيرة في لغة العرب .

وأما إذا أرادوا وصفه حال سكونه اجتلبوا له من قبله همزة وصل ، ونظروا إلى الصفات التي تصاحبه في هذه الحال.

وهم يقيسون طريقتهم هذه على ما تكلَّمت به العرب .

قال سيبويه في باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد حاكياً عن الخليل طريقة نطق الحروف : قال : " قال الخليل يوماً وسأل أصحابه : كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في (لكَ) والكاف التي في (مالكَ) و الباء التي في (ضربَ) ؟

فقيل له : نقول : باء ، كاف .

فقال : إنما جئتم بالاسم و لم تلفظوا بالحرف .

وقال : أقول : (كَهْ) و (بَه).

فقلنا : لم ألحقت الهاء ؟

فقال : **رأيتهم قالوا** :(**عِه**) ، فألحقوا هاء ، حتى صيَّروها يُستطاع الكلام بها ، **لأنه لا يلفظ بحرف** .

فإن وصلت قلت : (كَ وبَ فاعلم يا فتى) ، **كما قالوا** : (**عِ يا فتى**).

فهذه طريقة كل حرف كان متحركاً ، وقد يجوز أن يكون الألف هنا بمنزلة الهاء لقربها منها ، وشَبَهها بها ، فتقول : (با) و (كا) ، كما تقول: (أنا) ...

ثم قال كيف تلفظون بالحرف الساكن نحو ياء (غلامي)، وباء (اضرب) ، ودال (قد) ؟

فأجابوا بنحو مما أجابوا في المرة الأولى .

فقال : أقول : (اِب) و (اِي) و (اِد) ، فألحق ألفاً موصولة .

قال **كذلك أراهم صنعوا بالساكن . ألا تراهم قالوا :ابن واسم حيث أسكنوا الباء والسين .**

و أنت لا تستطيع أن تَكَلَّم بساكن في أول اسم ، كما لا تصل إلى اللفظ بهذه السواكن ، فألحقتُ ألفاً حتى وصلت إلى اللفظ بها،فكذلك تلحق هذه الألفات حتى تصل إلى اللفظ بها"[1] .

يتضح لنا من خلال هذا النص :

١- أن الخليل أخذ طريقته في نطق الحروف على ما تكلَّمت به العرب ونطَقَته، وهذا واضح جليٌّ من قوله (رأيتهم قالوا – كذاك أراهم ...)

٢- أن اختبار المتقدِّمين من أهل العربية و التجويد للحروف العربية إنّما يكون في حال إفراد الحروف ، وليس أثناء التركيب ، فإذا أردت – مثلاً – أن أختبر مخرجَ حرفِ النون حالَ سكونه فإنَّني آتي به ساكنا من قبله همزة وصلٍ فقط ، و لا أصفه في حال تركيبه كأن أصفَ مخرجَه عندما يأتي بعده حرف من حروف الإخفاء ، وقد نصَّ على ذلك المتقدِّمون من أهل العربية و التجويد[2] .

٣- أن اللغة العربية تعتمد النظامَ المقطعي في نطق أصواتها ، أي لا ينطق صوت بدون حركة ، فقد رأينا أن الخليل قد أتى بحركة بعد الكاف والباء في : (كَـه و بَـه) ، و أدخل حركة في نحو : (اِب و اِد)، وصرَّح بذلك في قوله : (لأنه لا يُلفظ بحرف) .

فلا أجد داعياً – بعد هذا – لقول أحدهم : " فالصوت الصَّامت[3] عندهم هو الصوت الذي لا يمكن نطقه بدون حركة ، وهو تعريف خاطئ

---

[1] سيبويه (الكتاب) ٣ / ٣٢٠ – ٣٢١ .

[2] ابن الجزري (النشر في القراءات العشر) ١ / ٢١٤ .

[3] يقصد به الحرف الصَّحيح ، ويقابله الصَّائت ،ويقصد به حروف المد والحركات .

ولاشك، إذ من اليسير نطق الصامت وحده"[1] ، وقول آخر : " ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل ، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات ، لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة[2].

وذلك لأن المتقدمين لم يبحثوا في إمكانات نطق هذه الحروف ، و إنما كانوا يلتزمون طريقة العرب في كلامها .

وقد أشار ابن جني إلى ذلك بقوله :" لأنك إنما تفسِّر أحكام لغتهم ،لا ما لم يجئ عنهم ، ولأنك لو ذهبت تذكر أحكام ما لم يجيء لكنت قد شرعت في تفسير ما لم ينطق به عربي . وكان ذلك يكون تخليطاً وهوساً ، لأن فيما خرج إلى الوجود شغلاً عما هو باق في العدم"[3].

الجهر والهمس في اللغة

أغلب المصطلحات الصَّوتية التي استخدمها القدماء مأخوذة من المعنى المعجميّ لها[4] ، ولو ذهبنا نقارن بين المصطلح الذي وُضع لوصف ظاهرة معينة ، والمعنى المعجميّ له ، لوجدنا بينهما سبباً ونسباً ، فمصطلح الجهر مأخوذ من عُلُوِّ الصوت وإعلانه ، وفي ذلك يقول الخليل: "جهر بكلامه وصلاته وقراءته يجهر جهاراً ،وأجهر بقراءته لغة.

---

(1) كمال بشر (الأصوات) ص ٧٥ .

(2) رمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ص ٣٧ .

(3) أي معناها اللغوي في القاموس .

(4) أبي الفتح عثمان بن جني (المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني) ط١ / ١٩٥٤م ١ / ١٨١، إدارة الثقافة العامة.

وجاهرتهم بالأمر أي عالنتهم ...وكلام جهير وصوت جهير أي عال "[1]

وقال الجوهري: " وجهر بالقول :رفع به صوته ... وإجهار الكلام : إعلانه"[2]. وفي مفردات الراغب الأصفهاني[3]: " جَهَرَ يقال لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر ، أو حاسَّة السَّمع "[4] .

وأما مصطلح الهمس فهو مأخوذٌ من ضعف الصوت و خفائه .

فمنه قوله تعالى (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً)[5].

وقال ابن فارس[6] : "همس : الهاء والميم والسين يدل على خفاء صوت وحسّ . منه الهمس : الصّوت الخفي"[7] ، ويقول الفيُّومي: " الهمس: الصَّوت الخفي ، وهو مصدر (هَمَست) الكلام من باب ضرب إذا أخفيته ، وما سَمِعْتُ له (همساً ولا

---

[1] الخليل (العين) ٣ / ٣٨٨ .

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري (الصحاح) تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ط٢/ بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م دار العلم للملايين ٢ / ٦١٨ .

[3] الراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد بن المفضل، الأصفهاني ، المعروف بالراغب(ت٥٠٢ هـ): أديب، من الحكماء العلماء.من كتبه (المفردات في غريب القرآن) و (حل متشابهات القرآن) وغيرها . الأعلام٢/٢٥٥.

[4] العلامة الراغب الأصفهاني (معجم مفردات ألفاظ القرآن) تحقيق نديم مرعشلي دار الفكر بيروت – لبنان، ص ٩٩ .

[5] الآية ١٠٨ من سورة طه .

[6] ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت٣٩٥ هـ) ، من أئمة اللغة والأدب ، من تصانيفه (مقاييس اللغة) و (الصاحبي) في علم العربية، و (جامع التأويل) في تفسير القرآن، أربع مجلدات.الأعلام١/١٩٣.

[7] أحمد بن فارس بن زكريا (مقاييس اللغة) تحقيق عبدالسلام هارون ، ط١/ ١٩٩١م دار الجيل بيروت ٦ / ٦٦ .

جرساً) وهما الخَفِيُّ من الصوت ، وحرف (مهموس) غير مجهور ، وكلام (مهموس) غير ظاهر[1] .

تعريف الهمس عند الخليل بن أحمد

ومما هو من الأهميَّة بمكان أن الخليل بن أحمد قد صرَّح في معجمه " العين " أن ضعف الوضوح السمعيّ ناتج عن عدم تذبذب الأوتار الصوتية ، وأطلق على أثر هذا التذبذب "صوت الصدر"

جاء في نصٍّ نادرٍ له عن تعريف الهمس قوله:

" الهمس : حِسُّ الصوت في الفم مِمَّا لا إشراب له من الصوت الصِّدر ، ولا جهارة في المنطق ، ولكنه كلام مهموس في الفم كالسِّر[2]

وقبل أن أَشرح هذا التعريف لابدَّ أن أُرجع الفضل لأحد المحدثين الذي فسّر لنا معنى صوت الصّدر في كلام القدماء بحسب ما يراه الدَّرس الصَّوتي الحديث ، قال : "ولعل هذا الصَّوت هو صَدى الذَّبذبات التي تَحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة ، وهذا الصَّدى نُحِسُّ به ولا شك في الصَّدر ، كما نُحِسُّ به حين نَسُدُّ الأُذُنين بالأصابع، أو حين نَضع الكفَّ على الجَبهة . فهو الرَّنين الذي نَشعر به مع المجهورات ، وسببُه تلك الذَّبذبات التي في الحنجرة[3] .

وتعريف الخليل تعريف جامعٌ مانعٌ شاملٌ للصّوت المهموس والمجهور ، يَتَجَلَّى فيه إحساس عالم الأصوات المُرهف الدَّقيق بالصفِّات المميِّزة للأصوات .

تحليل لتعريف الخليل :

١ــ (حِسُّ الصوت في الفم) طاقة صوتية محسوسة في المخرج .

---

[1] الفيومي (المصباح المنير) ٢ / ٦٤٠ .

[2] الخليل (العين) ٤ / ١٠ .

[3] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ١٢٢ .

٢ــ (ممّا لا إشراب له من صوت الصَّدر) هذه الطاقة الصوتية لا تحتــوي علــى صدى اهتزاز الأوتار الصوتية .

٣ــ (ولا جهارة في المنطق)لا تتميز هذه الطاقة بقوة الوضوح السمعيّ.

٤- (ولكنه كلام مهموس في الفم كالسِّر) هذه الطاقة الصوتية تُشبه صــوتياً الكلام المسرّ به .

ومن خلال تعريف المهموس يمكن أن نستنتج مميزات الصوت المجهور عند الخليــل وهي:

١- الطاقة الصوتية التي تحتوي على اهتزاز الأوتار الصوتية .

٢- تتميز هذه الطاقة بقوة الوضوح السمعي .

٣- تفقد هذه الطاقة الصوتية معالمها إذا أُسرَّ بها .

وبهذا يُعد الخليل بن أحمد أول من أدرك خاصَّية اهتزاز الأوتار الصوتية التي تكون في المجهور دون المهموس ، و تبلورت فكرته من بعده عند تلميذه سيبويه .

وقد لوحظ عند البحث أن كتب المعاجم قد ردَّدَت تعريف الخليــل دون شرح له[١]، ودون نسبتها له غير أنه ورد في لسان العرب نقلاً عن كتاب " الجيم " لــ شمر بن حمدويه أن"الهمس من الصوت والكلام: ما لا غَوْر له في الصدر ، وهو ما همس في الفم"[٢].

وهو تعريف يشبه تعريف الخليل إلى حدٍّ كبير ، و أظنه مُقتبسٌ منه .

---

[١] ابن سيده (المحكم والمحيط الأعظم) ٤/١٦٠–١٦١، وابن منظور (لسان العرب) ٦/٢٥١، والإمام محمد مرتضى الزبيدي (تاج العروس من جواهر القاموس) الناشر دار مكتبة الحياة – بيروت لبنان ، ط١ / بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر ١٣٠٦هــ ، ٤ / ٢٧٥ .

[٢] ابن منظور (لسان العرب) ٦ / ٢٥٠.

ويلاحظ أيضاً في تعريف الخليل السالف الذكر أنه لم يذكر النَّفَس من حيث جريانه الكثير و قلة جريانه .كما ذَكَره مَن بعده ، واكتفى بهذا التعريف العام الدَّقيق دون دخول في تفصيلات الأصوات .

الجهر والهمس عند سيبويه

كان تعريف سيبويه للمجهور والمهموس بمثابة القانون الذي صَحَّ عنده ، ومن جاء بعده ما بين مردِّدٍ له ، أو شارح ، أو مضيف .

ولذلك كان لا بد من وقفة نقفها مع سيبويه كما وقفناها مع الخليل من قبله تُوضِّح مراده، وتَقِف على أهدافه ، وخاصة أن بعضاً من المحدثين لم يتناول الجهر و الهمس عند القدماء إلاَّ من منظور سيبويه[1] .

وللأمانة العلمية ، فإن للمحدثين وقفات مع سيبويه جديرة بالنَّظر فيها ، والاهتمام لها ؛ لأنها تُوضِّح لنا مراده بحسب ما يراه الدَّرس الصَّوتي الحديث . وهذا في رأيي له أهمية كبيرة للبحث .

وإذ علمنا سابقاً أن ابن الجزريّ قد ترجم لسيبويه في كتابه " غاية النهاية في طبقات القراء "[2] أمكننا بذلك أن نستأنس لنطق القراء الحاليّ على ما وصفه سيبويه في القديم، وخاصة أنهم يخرجون من مشكاة واحدة.

تحدَّث سيبويه في كتابه عن الجهر والهمس لذات هذين المصطلحين مرتين ؛ مرة في "باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرَّك لكراهيتهم التقاء الساكنين"[3].

---

[1] إبراهيم أنيس (الأصوات الغوية) ص ١١٨ وتمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها) ص ٤٩ وما بعدها .

[2] انظر علم التجويد (أهميته ومنهجه)صفحة (ص).

[3] سيبويه (الكتاب) ٤ / ١٧٣ .

وقد تحدث فيه عن الحروف المجهورة والمهموسة حال الوصل وحال الوقف وتحدث مرة أخرى عن الجهر والهمس في باب " الإدغام "[1] .

تعريف سيبويه للمجهور والمهموس

قال : " **فالمجهورة** حرفٌ أُشبع الاعتماد في موضعه ، ومَنَع النَّفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه و يجري الصوت ، فهذه حال المجهورة في الحلق والفم ، إلاَّ أن النون والميم قد يُعتمد لهما في الفم و الخياشيم ، فتصير فيهما غُنَّة . والدَّليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تَكَلَّمت بهما لَرَأيت ذلك قد أخلَّ بهما . و أما **المهموس** : فحرف أُضعف الاعتماد في موضعه حتى جَرى النَّفَس معه[2] .

الأمور الغامضة في التعريف :

١- إشباع الاعتماد وضعف الاعتماد.

٢- معنى الموضع في كلام سيبويه.

٣- معنى قوله : (حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت) .

إشباع الاعتماد وضعف الاعتماد عند سيبويه

نَقَل أحد المحدثين رواية لأبي الحسن الأخفش عن سيبويه يتحدث فيها عن صوت الصَّدر وصوت الفم ، وبها نستطيع أن نُفسر إشباع الاعتماد وضعف الاعتماد قال : " سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور؟ فقال : المهموس إذا أَخْفَيْته ثم كرَّرته أمكَنَك ذلك . و أما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه ، ثم كرَّر

---

[1] سيبويه (الكتاب) ٤ / ٤٣١ .

[2] المرجع السابق ٤ / ٤٣٤ .

سيبويه التاء بلسانه و أخفى فقال : ألا ترى كيف يمكن ، وكرَّر الطاء و الدال ، وهما من مخرج التاء فلم يُمكِن ، وأَحسبه ذَكَر ذلك عن الخليل .

قال سيبويه : و إنما فرَّق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلاَّ أن تُدخله الصَّوت الذي يَخرج من الصَّدر. فالمجهورة كلُّها هكذا يخرج صوتهن من الصَّدر ، ويجري في الحلق ، غير أن الميم والنون يخرج أصواتهما من الصَّدر، ويجري في الصَّدر والخيشوم غُنَّةٌ تُخالط ما جرى في الحلق . والدليل على ذلك أن لو أمسكت بأنفك ثم تكلَّمت بهما رأيت ذلك قد أخل بهما . أما المهموسة ، فتخرج أصواتها من مخارجها ، وذلك مما يُزْجي الصَّوت ، و لم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهور فأُخرج الصوت من الفم ضعيفاً.

والدليل على ذلك أنك أخفيت **هَمَسْت** بهذه الحروف ، ولا تصل إلى ذلك في المجهور ، فإذا قلت: (شَخْص) فإن الذي أَزْجَى هذه الحروف صوتُ الفم ، ولكنَّك تُتْبِع صوت الصَّدر هذه الحروف بعدما يُزْجيها صوت الفم ليَبلُغ ويُفهم الصَّوت"[1] .

يتضح لنا من خلال هذا النَّصّ :

أ- أنَّ كلاًّ من الصَّوت المجهور والمهموس له اعتماد (و لم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهور)، ولكن الفرق بينهما أنَّ المجهور مُشبعٌ اعتماده بخلاف المهموس .

ب- أنَّ كلمة (أُشبع) جاءت بصيغة المبنيّ للمجهول ، فما الذي أَشبع الاعتماد؟

بحسب رواية الأخفش عن سيبويه ، فإنَّه واضحٌ أنّ الذي أشبعه هو صوت الصّدر (أنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلاَّ أن تُدخله الصَّوت الذي يَخرج من الصَّدر).

---

[1] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ١٢٠ - ١٢١

ج – أن سيبويه لكي يفصل بين المجهور والمهموس كرَّر الحرف ، و أَخفى ، فوجد أن تكرار الحروف المهموسة سواء رُفع الصوت بها ، أو أُخفي لا يفقدها معالمها ، بخلاف المجهورة التي إذا أُسرَّ الصوت بها ، فإنَّها تفقد معالمها. وقد أكَّد ذلك العلماء بعد سيبويه ، وفي ذلك يقول رضى الدين الاستراباذيّ[1] :" إنما سميت الحروف المذكورة مجهورة ؛ لأنه لابد في بيانها وإخراجها من جهرٍ ما، ولا يتهيأ النطق بها إلا كذلك ... بخلاف المهموس ، فإنه يتهيأ لك أن تنطق به ، ويسمع منك خفياً كما يمكنك أن تجهر به . والجهر رفع الصوت ، والهمس إخفاؤه"[2] .

وعلّق أحد المحدثين على نصِّ سيبويه عارضاً وجهة نظر الدرس الصوتي الحديث ، ومبيِّناً عبقريَّة سيبويه في أنّه حتى وإن لم يُدرك دور الوترين الصَّوتيَّين في عمليَّة الجهر والهمس إلاَّ أنّه أدرك أثرهما وفي ذلك يقول : " فسيبويه يرشدنا هنا إلى وسيلة أخرى لتمييز المجهور من المهموس، وذلك عن طريق إخفاء الصوت ، وأنه يُمكن هذا الإخفاء مع المهموسات دون أن تفقد معالمها ، أما الإخفاء مع المجهورات ، فيترتب عليه أن الحرف تضيع صفته المميزة، فلا نسمع الدال دالاً حينئذ ، وإنما نسمع صوتاً آخر هو التاء . والذي لم يكن يعرفه سيبويه هو أن الإخفاء معناه إسكات الذبذبات التي تحدث مع كل مجهور في الوترين الصوتيين

---

[1] الرضي الاستراباذي : محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، (ت٦٨٦ هـ) عالم بالعربية، اشتهر بكتابيه (الوافية في شرح الكافية، لابن الحاجب) في النحو جزآن، و (شرح الشافية لابن الحاجب) في علم الصرف . الأعلام ٨٦/٦.

[2] رضي الدين الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، تحقيق الأساتذة محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبدالحميد٣ / ٢٥٨ .

بالحنجرة ، ومتى سكتت أو انقطعت تلك الذبذبات انقلب المجهور إلى نظيره المهموس "[1] .

د- أن إشباع الاعتماد الوارد في تعريف سيبويه هو إدخال صوت الصَّدر أي صدى الذبذبات على صوت الحرف وإلاَّ أصبح ضعيفاً ، " ومعنى ذلك أن سيبويه يقصد (بإشباع الاعتماد) أن للمجهور موضعين ؛ موضعاً في الفم هو مخرج الحرف ، وموضعاً في الصدر هو مخرج الجهر ، ولذا كان المجهور مشبعاً ، لقوة اعتماده بازدواجه، على حين كان المهموس ضعيفاً لما أنه معتمد على موضع واحد هو مخرج الفم ، والنفس جارٍ معه دون احتباس "[2] .

فصوت الصَّدر (أثر اهتزاز الأوتار الصَّوتية)هو الذي يُعطي الصوت قوة الإسماع العالية، وفي ذلك يقول الاستراباذيّ : " فمن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصوت ، ومن ضعف الاعتماد يحصل الهمس والإخفاء "[3].

ويمكن أن نُوضِّح مراد سيبويه بطريقة رياضية كالتالي :

إشباع الاعتماد : اعتماد في المخرج + صوت الصَّدر = صوت مجهور

ضعف الاعتماد : اعتماد في المخرج – صوت الصَّدر = صوت مهموس

هـ – بقي أمر أخير في هذا النص ، و هو قوله : " ولكنك تُتبع صوت الصَّدر هذه الحروف بعد ما يُزجيها صوت الفم " .

علَّق أحد المحدثين على هذا الجزء بقوله : " فماذا يعني بقوله : إننا نتبع صوت الصدر هذه الحروف ؟ يبدو أنه يعني صوت الصَّدر الذي في حركات الكلمة ، ونحن نعرف أن الحركات مجهورة ، أي فيها صوت الصَّدر الذي يقول عنه سيبويه ، أي أن الشين في"شخص" يزجيها ويطلقها صوت الفم أي ذبذبات

---

[1] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ١٢١ .

[2] عبد الصبور شاهين " في التطور اللغوي " ص ٢٠٢ .

[3] الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٣ / ٢٥٨ .

الفم ، ثم يليها الحركة المشتملة على صوت الصَّدر. وهكذا يكون سيبويه قد أرشدنا إلى أن الحركات في الكلمات المشتملة على حروف مهموسة فقط تساعد على وضوح مثل هذه الكلمات في السمع"[1] . " وهو ما يلاحظه المحدثون الآن من أن الحركة بعد الحرف أو قبله تساعد على التعرف عليه ، وتوضيح معالمه ، ولكنَّ سيبويه قَصَر الأمر على جعل الحركة بعد الحرف"[2].

والكلام السابق شيء قرره أهل العربية والتجويد.

معنى الموضع في كلام سيبويه

أثبتُّ فيما مضى[3] من هذا البحث أن سيبويه حينما كان يتكلم عن مخارج الحروف كان يقصد الترتيب فيما هو من مخرج واحد، واستشهدت على ذلك بأدلَّة من كلامه ، وعليه فيترجَّح هنا أن يكون سيبويه قد قصد بكلمة الموضع: المخرَج الجزئي الذي يحصل فيه الضَّغط الحقيقيّ من عُضوي النُّطق، وبكلمة المخرج: المخرج الكلِّيّ أي الحيِّز المُولِّد للحرف، فمثلا:

مخرج الجيم والشين والياء؛ وسطُ اللسان مع وسط الحنك الأعلى ، غير أن موضع الجيم غير موضع الشين غير موضع الياء ؛ ويدلك على هذا : **قوله** عن حروف الإطباق : " وهذه الحروف الأربعة إذا وضَعت لِسانَك في مواضعهن انطبق لِسانُك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك ، فإذا وضَعت لسانك فالصَّوت محصور فيما بين اللسان و الحنك إلى **موضع الحروف**"[4] .

---

[1] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ١٢٣.

[2] المرجع السابق ص ١٢٠.

[3] انظر ترتيب الحروف ص ٣٤.

[4] سيبويه (الكتاب) ٤ / ٤٣٦ .

وقوله : " هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول"[1]. **و قول السخاوي**[2] حين تحدث عن معرفة مخرج الحرف : " تعرف مخارج الحروف أن تلفظ بالحرف منها ساكناً ، وتدخل قبله الهمزة ، ليتوصل إلى النطق به ، لأنه إذا سُكِّن استقرَّ اللِّسان في موضعه ؛ فاتَّضح مخرجه "[3] .

معنى قول سيبويه : (حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت)

معنى ذلك أن النَّفَس لا يجري أثناء النطق بالصوت المجهور إلا بعد الانتهاء من العملية العضوية المطلوبة لإصدار هذا الصوت .

وقد شرح الاستراباذيّ قول سيبويه ببلاغة فقال : " وتَمتحن المجهورة بأن تُكرِّرها مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة ، رفَعت صوتك بها أو أخفيته ؛ سواء أشبعت الحركات حتى تتولد الحروف نحو : قاقاقا ، و قو قو قو ، وقي قي قي ، أو لم تشبعها نحو : قَقَقَ، فإنك ترى الصَّوت يجري و لا ينقطع ، ولا يجري النَّفَس إلا بعد انقضاء الاعتماد وسكون الصوت .

وأما مع الصوت ، فلا يجري ذلك ؛ لأن النَّفَس الخارج من الصَّدر – وهو مركب الصَّوت – يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف ؛ إذ الاعتماد على موضع من الحلق والفم يحبس النَّفَس ... و إنما يجري النَّفَس إذا ضعف الاعتماد "[4].

---

[1] سيبويه (الكتاب) ٤ / ٤٣٧ .

[2] علي بن محمد بن عبدالصمد الهمذاني السخاوي : عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير (ت٦٤٣هـ). من كتبه(جمال القراء وكمال الإقراء) في التجويد،و(هداية المرتاب) منظومة في متشابه كلمات القران ، و" المفضل، شرح المفصل للزمخشري " و " شرح الشاطبية ". الأعلام ٤/ ٣٣٢.

[3] علم الدين عليّ بن عبدالصمد السخاوي (فتح الوصيد شرح القصيد) ، دار الكتب المصرية تفسير قراءات/تيمور رقم ٢٥٥ ، ٢ / ٤٠٧ .

[4] الاستراباذي (شرح الشافية) ٣ / ٢٥٩ .

ومعنى ذلك بحسب ما يراه الدرس الصوتيّ الحديث " أن الحسّ المرهف لسيبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين ؛ أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدّان طريق التنفس ، وتلك هي الصفة التي وضّحها لنا المحدثون حين وصفوا ما يجري في الحنجرة مع المجهورات ؛ إذ قالوا : إنه مع المجهور يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر ، مما يضطر هواء النَّفس إلى الاندفاع من بينهما في قوة تحرك الوترين الصوتيين ، وتجعلهما يتذبذبان ، ويظلاَّن يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد ، أي حتى تنتهي العملية العضوية المطلوبة في إصدار الصوت[1] وهنا يبدو سيبويه ، وكأنه يتصور أن بالرئة خاصَّة عضوية لإنتاج الصوت المجهور ، و أن هذه الخاصة العضوية تنشط في هذه الحالة نشاطاً يتوقف معه النَّفَس حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت ، فلعله قد استبعد أن تقوم الرئتان بأداء وظيفتين في آن واحد : وظيفة النَّفَس ، ووظيفة الجهر بالصوت ، فافترض أنهما إما أن تقوما بالتنفس وحده عند الهمس ، و إما أن تقوما بجهر الصوت ، وحينئذ تتوقف عملية التنفس حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت[2] .

كيفية اختبار المجهور من المهموس عند سيبويه

دلَّنا سيبويه على طريقة لاختبار المجهور من المهموس ، وهي تكرير الحرف قال : " وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت[3] فردَّدت الحرف مع جري النَّفَس ، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه[4] .

---

(1) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(2) عبد الصبور شاهين " التطور اللغوي " ط٢ / ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م مؤسسة الرسالة – بيروت ، ص ٢٠١ – ٢٠٢.

(3) قال صاحب المصباح المنير : " و الاعتبار يكون بمعنى الاختبار و الامتحان مثل : اعتبرت الدراهم ؛ فوجدتها ألفاً" ٢/ ٢٩٠ .

(4) سيبويه (الكتاب) ٤ / ٤٣٤ .

كيفية ترديد الحرف عند سيبويه

قد يتبادر إلى الذهن حين قراءة نص سيبويه أنه يقصد بترديد الحرف تجريده من أي حركة سابقة أو لاحقة . وهذا ما تبادر إلى ذهن أحد المحدثين حيث يقول: "وتفاصيل هذه التجربة متَّصلة بما سبق له في تعريف المجهور والمهموس ، فهو يقول:

إنَّ المهموس يمكن ترديده خلال جَرْيِ النَّفَس بعكس المجهور ، بمعنى لو أنَّنَا لو أطلقنا النَّفَس على طبيعته ، وحاولنا خلال ذلك النطق بالسين مثلاً مكررة لأمكننا ذلك ، ولسمعنا صوت السين مكرراً دون أن يسبقه أو أن يلحقه صوت مد (قصير أو طويل)، أي أنَّنَا نسمع مجموعة من السِّينات مجرَّدة بطول النَّفَس هكذا : (س س س س س) دون أن يتخلل بينهما سوى سكتات قصيرة ، ليس لها مدلول صوتي "[1].

وهذا الفهم من الدكتور يُغفل ما ذكرته عن الخليل بن أحمد في أول المبحث[2] من اعتماد اللغة العربية على النِّظام المقطعيّ في نطق أصواتها أي لا يُنطق صوت من غير حركة ، و أخرى ... فإن العلماء بيَّنوا لنا أن هذا الترديد الذي ذكره سيبويه لا يكون أبداً بغير الحركة ، سواء كانت طويلة أو قصيرة ، وهذه نصوصهم تدل على ذلك :

- قال الشنتمري[3]: " و اعلم أن ترديد الحروف الذي يُعلم به المجهور من المهموس لا يمكن إلاَّ بتحريكه ؛ لأن الساكن لا يمكن تحريكه "[4].

---

[1] عبدالصبور شاهين " التطور اللغوي" ٢٠٣ – ٢٠٤ .

[2] انظر كيفية نطق القدماء للأصوات لمعرفة مخارجها ص ٣٢.

[3] يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الاندلسي، المعروف بالأعلم: عالم بالأدب واللغة. ولد (٤١٠هـ) ، ومات سنة (٤٧٦ هـ) ، من كتبه " النكت على كتاب سيبويه " وغيره.الأعلام٨/٢٢٣.

– وقول الاستراباذيّ : " و إنما حركت الحروف لأن التكرير من دون الحركة محال"[1].

ومعنى أنه (محال) أو (لا يمكن) أي في لغة العرب ، والعلماء إنما هم واصفون للغة العرب.

سبب اختيار سيبويه للحركة

لَّما كان الوقف يُضعف الحرف كما يقول ابن جني[2] وكانت الحركات هي أوضح الحروف في السمع ، وهذا ما قاله العلماء قديماً ، يقول الاستراباذيّ مقرِّراً ذلك : " و بالوقف يصير الحرف الوقوف عليه أخفى مما كان في الوصل ، وذلك **لأن الحرف**[3] **أو الحركة التي تلي الحرف تبين جرسه** "[4] ؛ عندئذ نستطيع أن نقرر أمورا هي :

١ – إن اختيار سيبويه الحركة للفصل بين المجهور والمهموس نابع من صميم اللغة، وواقعها الذي تتكلم به العرب ، و موافق لما أثبتته الدراسات الصوتية الحديثة من أن الحركات هي أوضح الحروف في السمع ، وذلك لكي يتحقق للصَّوت أعلى وضوح سمعيٍّ ، وهو ما يتناسب أيضاً مع المعنى اللُّغوي للصَّوت المجهور أو المهموس.

٢ – إن اختيار سيبويه للحركة يوضِّح لنا أن قوَّة الضَّغط أو ضعفه لا يكونان من عُضوَي النطق على مخرج الحرف في عملية الجهر والهمس ؛ لأن ضغط عضوي

---

[1] الشنتمري (النكت في تفسير كتاب سيبويه) منشورات معهد المخطوطات العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون ، تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان ط١ الكويت ١٤٠٧هـ ، ٢ / ١٢٤٦ .

[2] الاستراباذي (شرح الشافية) ٣ / ٢٥٩ .

[3] ابن جني (الخصائص) ٢ / ٣٢٨ .

[4] يقصد به حروف المد.

[5] الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٢ / ٣١١ .

النطق على المخرج ، إنما هو مختص بالشدة والرخاوة ، وهـذا يناسـبهما حـال السُّكون كما سيأتي بعد[1] ، وإنما يكون الضغط واقعاً من الـرئتين و الحجـاب الحاجز على مخرج الحرف .

وبهذا نعرف سبب اختياره لـ (النَّفَس) من حيث جريانه و امتناع جريانـه في الجهر و الهمس . و اختياره لـ (الصَّوت) من حيث جريانه و امتناع جريانه في الشِّدَّة والرخاوة ؛ لأن الأخيرين متعلِّقان بالمخرج ، أما الأولان ، فهما متعلِّقـان بالرئتين، و كلٌّ له ما يناسبه .

٣ – إن اختيار سيبويه للحركة يُشعرنا أن المعوَّل عليه في الجهر و الهمس عنده ، هو حال التحرك ، وليس حال السكون ، وهذا ما سنراه جلياً عند العلماء الـذين جاءوا بعده .

سبب تكرير الحرف مع الحركة عند سيبويه

كان من الممكن لسيبويه أن يكتفي بنطق الصوت مع الحركة مرة واحدة ، وتتحدَّد بذلك معالم الصَّوت ، لكنه كان مهتماً بجري النفس و انحباسه ، فكـان الأولى عنده لإثبات ذلك أن يكرِّر الحرف مع الحركة ، طويلة كانت أو قصـيرة كقولك : (زازازا أو زَزَزَ) ، ليطول زمان النطق بالصوت ، ويتبين المجهور مـن المهموس ، وذلك بأن يجري النَّفَس معه أو ينحبس.

وفي ذلك يقول الاستراباذيّ عن الحروف المجهورة : " و إنما كَرَّرت الحرف في الامتحان ، لأنك لو نطقت بواحد من المجهورة غير مكرَّر ، فعقيب فراغك منه يجري النَّفَس بلا فصل ، فيُظَنّ أن النَّفَس إنما خرج مع المجهورة لا بعـده ، فـإذا تكرَّر، وطال زمان الحرف ، و لم يخرج مع تلك الحروف المكررة نَفَس ؛ عرفت أن

---

[1] انظر حال الإسكان هو المعتبر في الشدة والرخاوة عند القدماء ص ١٣١ .

النُّطق بالحروف هو الحابس للنفس "[1] . فسبب تكرير الحرف في المجهور أن يتكيف الصوت كله بصوت جهريٍّ له ديمومة التذبذب .

وأما الصوت المهموس فرغم جريانه مع الحركات المجهورة إلاَّ أن الصوت يضعف بسبب جريان النَّفَس.

يقول الاستراباذيّ مقرراً ذلك : " و أما المهموسة فإنك إذا كرَّرتها مع إشباع الحركة أو بدونه ؛ فإن جوهرها لضعف الاعتماد على مخارجها لا يحبس النَّفَس ، فيخرج النَّفَس ويجري ، كما يجري الصوت بها "[2].

وهذا القول لا مزيد عليه من الوضوح ، فأنت إذا نطقت وقلت : (فَفَفَ أو فا فا فا) تجد أن تكرر صوت الفاء مع الحركة لا يحبس نَفَسها ، أما إذا كرَّرت الصوت المجهور كقولك : (زَزَزَ أو زازازا) ، فتجد أن هناك امتناعاً لجريان هواء النفس ، وهو ليس امتناعاً كلياً ، بل جزئياً بحسب ما سيقرر بعد[3].

تحقيق الجهر والهمس في السِّياق اللغوي عند سيبويه

ختم سيبويه كلامه عن الجهر والهمس في هذا الموضع بأن حروف المد و أبعاضها – أعني الحركات – هي الرابطة بين الحروف سواء جهرت فيها أي تذبذبت الأوتار الصوتية فيها أو لم تذبذب لأنها تستحيل في الأخيرة حينئذ إلى خَفَقَاتٍ نَفَسِيَّة .

قال : " فإذا أردت إجراء الحروف ، فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين و المد ، أو بما فيها منها ، و إن شئت أخفيت "[4] .

---

[1] الاستراباذي (شرح الشافية) ٣ / ٢٥٩ .

[2] المرجع السابق ٣ / ٢٥٩ .

[3] انظر الجهر والهمس عند القدماء بعد سيبويه ص ١١٢.

[4] سيبويه (الكتاب) ٤ / ٤٣٤ .

وبهذا الأخير يتحقق معنى الهمس والجهر في السياق اللغوي حيث إن هَمْس الكلام هو إخفاؤه ، والكلام بدون الحركات التي تربط بين السواكن محال .
لذلك أرى أن سيبويه يملك حساً لغوياً أصيلاً ، حيث بدأ بتعريف الجهر والهمس ، ثم بيَّن كيفية اختبار المجهور والمهموس، ثم ختم كلامه بكيفية تحققهما في الواقع اللغوي الذي تتكلم به العرب.

كيفية تحقق الجهر والهمس حال إسكان الصوت عند سيبويه

بعد أن انتهينا من الجهر والهمس حال التَّحرك نأتي إلى موضع آخر من المواضع المهمة ، وهو كيفية تحقق الجهر و الهمس حال الوقف وحال سكون الحرف .
و لم يبحث سيبويه وضع السكون بحثاً خاصاً في باب " الإدغام "[1] ، بل بحثه في" باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيُحرَّك لكراهيتهم التقاء الساكنين"[2].
و قد تعجب من سبب تحدُّث سيبويه في هذا الباب عن الحروف العربية ، و ما يلحقها أثناء سكونها ، و لا تجد رابطاً بين حديثه عن هذه الحروف ، و الباب المعقود لها .
ولكن يبدو- و الله أعلم - أنه بعد أن انتهى في الباب الأول من كيفية الوقف على الأسماء المنوَّنة في الوصل ، كقولك : (عليماً حكيماً) ، والتاءات مثل : (فاطمة) ، وغير ذلك ؛ بدأ بالباب الثاني ، فتحدث عن الوقف ، وكيف يكون ، فذكر أربع حالات : السُّكون ، والرَّوْم ، والإشمام ، والتضعيف .
ثم تحدث في الباب الثالث عن تحريك ما قبل الساكن الأخير خشية التقاء الساكنين مثل: هذه بكُر ، ومن بكِرْ .

---

[1] سيبويه (الكتاب) ٤ / ٤٣٣ .
[2] المرجع السابق ٤ / ١٧٣ .

وبعد أن انتهى من هذا كلّه ؛ تحدث عن الحروف الصِّحاح عموماً ، و كيفية الوقف عليها ، بدليل أنه تحدث بعد ذلك عن الوقف على حروف المدّ ، ثم الوقف على الهمز .

وسأُلخص حديث سيبويه عن الجهر والهمس في هذا الموضع في عدة نقاط :

١. لكي نفهم وجهة نظر سيبويه في هذا الباب يلزمنا أن نستحضر حَالَي التحرك والسُّكون، و أن نعلم أنَّ حال السكون في الجهر و الهمس حالٌ عارضة ، و أن الأصل هو التحرك ، ويمكن أن نستأنس بذلك من الأبواب التي عَقَدها .

أنظر إلى قوله قبل بابين : " هذا باب الوقف في أواخر الكلم **المتحركة في الوصل** "[١] ، ثم الباب الذي يليه عَنْوَنه بقوله : هذا باب الوقف في آخر الكلم **المتحركة في الوصل** التي لا تلحقها زيادة في الوقف "[٢] .

٢. تحدث سيبويه في هذا الباب عن حال الحروف حين الوقف عليها سواء أكانت في وسط الكلمة أم في آخرها ، مع مراعاة أن حال السكون في آخر الكلمة أتم صوتاً من حاله في وسط الكلمة .

٣. قسَّم سيبويه الحروف في هذا الباب هكذا :

- شديدة مجهورة : و هي أصوات القلقة.
- رخوة مجهورة : و هي الضاد ، والظاء ، والزاي ، والذال.
- شديدة مهموسة ، ورخوة مهموسة : حروف (فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَت).
- بينية أو متوسطة مجهورة : اللام ، والميم ، والنون ، والراء.
- شديد مجهور : الهمزة ، وبينيّ مجهور : العين ، ورخو مجهور : الغين.

---

[١] سيبويه (الكتاب) ٤ / ١٦٦ .

[٢] المرجع السابق ٤ / ١٦٨ .

٤. تحدث سيبويه في هذا الباب بإيجاز وبلاغة رائعة عن النَّفخ والقلقلة. وهذان يختصان بالوقف فقط . وفي ذلك يقول ابن الطَّحَّان :" و النفخ أيضاً لا يكون إلاَّ في الوقف ، فكل الصِّفات موجودة في متقلَّبات الحرف ، إلاَّ القلقلة و النفخ، فإنهما خصيصتان بالوقف "[١] .

٥. اختار سيبويه للأصوات المجهورة مصطلح " الحروف المشرَبة "، فما سبب هذا الاختيار ؟

يمكن لنا أن نعرف ذلك إذا رجعنا إلى تعريف الهمس عند الخليل المتقدم في أول المبحث: (حِسُّ الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر ...)[٢]. فلعلَّ سيبويه قد استعار مصطلح " الإشراب" من أستاذه الخليل . وهو يعني به أن هذه الحروف تتذبذب معها الأوتار الصوتية .

٦. قال سيبويه عن أصوات القلقة : " و اعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضُغطت من مواضعها ، **فإذا وقفتَ** خرج معها من الفم صُويتٌ ونبا اللسانُ عن موضعه ، وهي حروف القلقلة ... وذلك القاف ، و الجيم ، و الطاء ، و الدال، والباء .

و الدليل على ذلك أنك تقول : (الحِذْق) فلا تستطيع أن تقف إلاَّ مع الصُّويت لشدة ضغط الحرف . وبعض العرب أشد صوتاً ، كأنهم الذين يرومون الحركة"[٣].

يتَّضح لنا من هذا النَّص عدة أمور مهمة ، وهي :

- أن مصطلح الإشراب في هذه الحروف ، إنما يكون في حال التحرك، وهو ما ذكرناه من تكرير الحرف مع الحركة ؛ لقوله بعد ذلك : (فإذا وقفت) ، ومعلوم أن (إذا) هنا ظرف لما يُستقبل من

---

[١] ابن الطحان (مخارج الحروف و صفاتها) ، ص ١٣٥ – ١٣٦.

[٢] انظر تعريف الهمس عند الخليل ص ٩٢ .

[٣] سيبويه (الكتاب) ٤ / ١٧٤ .

الزمان، أي معنى ذلك : (واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة في حال الوصل ... فإذا وقفت) ، ويستأنس لذلك من الأبواب التي عَقَدها قبل هذا الباب .

- أن هذه الحروف ضُغطت و حَبست الصوت من مخرجها ، فلا يجري الصوت بها، فإذا وقفت ، فإنها تحبس الصَّوت ؛ فلا بد من انطلاق لها . وهذا الانطلاق من مشخِّصات أصوات القلقلة عند الوقف ، والدليل على ذلك : المثال الذي أورده، وهو كلمة (الحِذْق) ، فمهما حاولنا جاهدين أن نخرج صوت القاف ، فإننا لا نستطيع ذلك ؛ بل هو من المتعذر ، لأننا نقف فقط على مخرج القاف ، لكن بدون تصويت بالحرف . ولن نستطيع أن نخرج صوت القاف إلاَّ بفتح المخرج ، ليخرج صويت القلقلة .
- أن القلقلة في مفهوم القدماء هي التي أعطت الصَّوت صفته المميِّزة ، ومما يؤيد هذا قول المرعشي : " ويشترط عند الجمهور في إطلاق اسم القلقلة على ذلك الصوت الزائد كونه قوياً جهرياً ، بسبب أنه حاصل بِفَكِّ الَمخرج دَفْعةً بعد لَصْقِه لصقاً محكماً ، ولذا خصُّوا القلقلة بحروف اجتمع فيها الشدة والجهر .

فالشِّدة تحصر صوت الحرف لشدة ضغطه في المخرج ، **و الجهر يمنع جَرْيَ النَّفَس عند انفتاح المخرج** ، فيلتصق المخرج التصاقاً محكماً ، فيقوى الصوت الحادث عند انفتاح المخرج دفعة "[1].

والمتأمِّل في هذه الحروف يجد أنها في حال الوصل تأتي مع الحركة ، وفي حال السكون تنطق مع القلقلة التي هي شبيهة بالحركة ، والتي ليس لها أيّ دور في تغيير المعنى ، فهي في الحالين تتذبذب معها الأوتار الصوتية .

---

[1] المرعشي (جهد المقل) ص ٢٩ .

٧. قال سيبويه عن الحروف المهموسة : " و أما الحروف المهموسة ، فكلها تقف عندها مع نفخ ، لأنَّهن يخرجن مع التَّنفس لا صوت الصَّدْر ؛ وإنما تنسلُّ معه .

وبعض العرب أشد نفخاً ؛ كأنهم الذين يرومون الحركة ، فلا بدّ من النفخ؛ **لأن النفس تسمعه كالنفخ** "[١] .

يتضح لنا من هذا النص عدة أمور:

- أن اختيار سيبويه لمصطلح (النفخ) للحروف المهموسة دون مصطلح (الهمس)، مرجعه أنّ حال الوقف غير حال الوصل . وفي ذلك يقول ابن يعيش : " وذلك من قِبَل أن المبتدئ بالنطق مُسْتَجِمٌّ مستريح ؛ فيَعظم صوته، **والواقف تعِبٌ حَسيرٌ يقف للاستراحة** ، فيضعف صوته"[٢] .

فإذا كان الغرض من الوقف الاستراحة ،فما الذي يتناسب معه ؛ مصطلح الهمس أو النفخ ؟.

يبدو أن سيبويه قد آثر مصطلح "النفخ" ، لأنه هو الذي يناسب هذه الحال، وهو الذي تؤيده معاجم اللغة، وفي ذلك يقول ابن سيده : " نفخ بفمه ينفخ نفخاً،إذا أخرج منه الريح،يكون ذلك **في الاستراحة**،والمعالجة ونحوهما"[٣] ، وأيضاً لأن جريان النَّفَس مع الحرف المهموس في حال التحرك يكون بدفع الطَّبع وبلا تعمُّل، فلو قلتَ مثلاً (فَفَفَ) لوجدتَ نفَس الفاء جارياً. أما الوقف عليه فيكون بإعطائه دَفعةً زائدة من هواء النَّفَس تختلف عنها في حال التَّحرُّك، وهذه الدَّفعة الزَّائدة تخرج بتعمُّلٍ وإرادة. وهي التي يصحُّ أن يُطلق عليها نفخاً.

- يبدو أيضاً أن سيبويه في هذا النص يراوح بين حالي التحرك والسكون.

---

[١] سيبويه (الكتاب) ٤ / ١٧٥ .

[٢] ابن يعيش (شرح المفصل) ٣ / ٨٣ .

[٣] ابن سيده (المحكم و المحيط الأعظم) ٥ / ١٣٣ .

فقوله(فكلها تقف عندها مع نفخ)، إنما هو منصرفٌ إلى حال السكون. أي أن الحروف المهموسة يجري معها هواء النَّفَس[1] عند سكون الصَّوت.

وقوله: (لأنَّهن يخرجن مع التَّنفس لا صوت الصَّدر) إنما هو منصرفٌ إلى حال التحرك. أي أن هذه الحروف تجري بهواء النَّفَس حال مجيئها مع الحركة، وتنطلق في خفاء مع صوت الصّدر

(أثر الاهتزاز) المتمثِّل في الحركات ؛ ويؤيِّد هذا قوله بعد ذلك: (وإنما تنسلُّ معه). ومعنى الانسلال كما يقل ابن منظور: "المُضِيُّ والخروج من مضيقٍ أو زحام ... وانسلَّ، وتسلَّلَ؛ انطلق في استخفاء"[2] فانظر إلى سيبويه، وقد أعطى هذا التشبيه(الانسلال). ليدل على المعنى المقصود بإيجاز شديد.والله اعلم.

- أن **جريان النَّفَس** مع الصوت سواءٌ كان ساكناً، أو متحركاً هو الذي أعطاه صفته المميِّزة، و يبدو ذلك جلياً عند قوله : (**فلا بدَّ من النَّفْخ ؛ لأن النَّفَس تَسْمعُه كالنفخ**)، أي أنه يجب عليك أن تُتْبع هذه الحروف حال سكونها هواءَ النفس. وعلل سبب وجود النفخ قائلاً (لأن النَّفَس تسمعُه كالنَّفخ) .

معنى ذلك أن النَّفَس الذي يجري حال التحرك – الذي هو الأصل في الجهر و الهمس – مع الحروف المهموسة ، هو مماثل تماماً للنفخ الذي تسمعه حال السكون؛ لأن جريان النَّفَس عنده هو الذي يُحدِّد معالم الصوت المهموس . وهذا تَحْكُمه لك مشافهة القراء.

هذا شرح بسيط لكيفية تحقق الجهر والهمس حال الوقف عند سيبويه .

و بهذا نخلص من الجهر والهمس عند سيبويه بعدة نتائج أهمها :

أ- يشترط لتحقق الجهر والهمس عند سيبويه شرطان هما :

---

[1] Asprated

[2] ابن منظور (لسان العرب) ١١ / ٣٣٨ .

١) (صوت الصدر وصوت الفم) الاهتزاز وعدم الاهتزاز .

٢) جريان النَّفَس وعدم جريانه .

ب- المعوَّل عليه في الجهر والهمس عند سيبويه هو حال مجيء الصوت مع الحركة.

ج – لحال السكون عند سيبويه أحكامه و مصطلحاته الخاصّة .

الجهر والهمس عند القدماء بعد سيبويه

حمل العلماء بعد سيبويه فكرته عن المجهور والمهموس ، وأضافوا عليها إضافاتٍ جليلة أُحاول أن أُلَخِّصها في النقاط التالية :

- ركّزوا على جريان النَّفَس في المهموس ، و امتناع جريانه في المجهور ، وعدُّوهما من أهمِّ المُشخِّصات لهذه الحروف ، فلا يُعدُّ الصوت مهموساً عندهم حتى يتحقق فيه جريان النَّفَس الكثير ، ولا يُعد الصوت مجهوراً حتى يتحقق فيه انحباس النَّفَس الجزئي .
- علموا أن اشباع الاعتماد في المجهور هو المسبِّب لمنع جريان النفس ، وبالتالي إلى وضوح الصوت ، و أن ضعف الاعتماد هو المسبِّب لجريان النفس وبالتالي إلى خفاء الصوت . وفي ذلك يقول الاستراباذيّ: " فمن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصوت ، ومن ضعف الاعتماد يحصل الهمس و الإخفاء "[1] .
- عوَّلوا في الجهر والهمس على حال تكرير الحرف مع الحركة .

فمن ذلك قول أبي العلاء الهمذاني عن المهموس : " ألا ترى أنه يمكنك أن تكرر الحرف مع جري النفس نحو سَسَسَ شَشَشَ كَكَكَ "[1]، وقول

---

[1] الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٣ / ٢٥٨ .

(١)الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ٨٠ / ب و المخطوطة التي نَقَلتُ منها هذا النص مقروءةٌ على المصنِّف و الأمثلة مشكولة هكذا كما في النّص .

الاستراباذيّ: " و تَمتحن المجهورة بأن تُكرِّرها مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة، رَفعت صوتك بها أو أخفيته ؛ سواء أشبعت الحركات حتى تتولد الحروف نحو : (قا قا قا) ، و) قو قو قو) و (قي قي قي)، أو لم تشبعها نحو (قَقَقَ)[٢].

بل إن منهم من جعل تعريف المجهور والمهموس مبنيًّا على حال التحرك كابن الحاجب حيث يقول :"فالمجهورة ما ينحصر جَرْيُ النَّفَس **مع تحركه**... والمهموسة بخلافها "[٣].

- لم يزد العلماء شيئاً على كلام الخليل وسيبويه في صوت الصّدر والفم ، بل نقلوا عبارتهما كما هي ، و أوردوا في بعض كتبهم تلك الرواية التي ذكرها الأخفش عن سيبويه[٤].
- أدرك القدماء أن كميِّة النفس في المهموس أكثر منها في المجهور ، فمعنى انحباس النَّفَس في المجهور ، أي الانحبا س الجزئي .

يقول زكريا الأنصاري : " و الجهر لغة : الإعلانُ ، سُمِّيت حروفه مجهورة للجهر بها ولقوتها ومنع النَّفَس – أ ي الكثير – أن يجري معها"[٥]، وقال المرعشي :"وإن نَفَس الحرف المجهور قليل. ونَفَس الحرف المهموس كثير"[٦].

- أن الحروف المجهورة والمهموسة تتفاوت فيما بينها من حيث القوة والضعف، فمن ذلك قول مكي عن الحروف المجهورة :"وهي أقوى من المهموسة المذكورة، وبعضها أقوى من بعض على قدر ما فيها من الصفات

---

(٢)الاستراباذي (شرح الشافية) ٣ / ٢٥٩ .

(٣)المرجع السابق ٣ / ٢٥٧ .

(٤)الشنتمري (النكت في تفسير كتاب سيبويه) ٢ / ١٢٤٨ و الاستراباذيّ (شرح الشافية) ٣ / ٢٥٨ – ٢٥٩ وابن جني (سر الصناعة) ١ / ٦٣ .

(٥)زكريا الأنصاري (الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية) ص ٣٩ .

(٦) المرعشي (جهد المقل) ص ٢٧ .

القوية غير الجهر"[1] . و قال عن الحروف المهموسة : " و بعض هذه الحروف المهموسة أضعف من بعض ، فالصاد و الخاء أقوى من غيرهما ، لأن في الصاد إطباقاً واستعلاءً و صفيراً. وكل هذه الصفات من صفات القوة ، وفي الخاء استعلاءً "[2] .

ويبدو أن صفات القوة والضعف عند القدماء مرهونة بالتحركات التقطيعية التي تقوم بها أعضاء النطق لاعتراض الصوت ، فالطاء عندهم أقوى الحروف ؛ لما فيها من حبس الصوت في مخرجها ، وارتفاع أقصى اللسان ، وانطباقه على الحنك الأعلى ، وقوة الصوت لحظة انفتاح المخرج (القلقلة) .

ولا يزال مقياس القوة و الضعف عند القدماء بحاجة إلى تحقُّق واختبار ، وذلك بواسطة الأجهزة التحليليَّة و المعامل الصَّوتية الحديثة . وهذا ما لم يقم به أحد– فيما أعلم– إلى الآن.

- نستطيع أن ندرك من خلال تعريفاتهم أن الجهد العضلي الذي تبذله الرئتان و الحجاب الحاجز في المجهور أقوى منه في المهموس . و أن الضغط إنما يكون واقعاً من الحجاب الحاجز على مخرج الحرف، وهو رأي أحد المحدثين[3] في معنى إشباع الاعتماد ، وهو رأي صحيح . وأن هذا لا علاقة له بتقوية ضغط عضوي النطق على المخرج أو ضعفه . وخاصَّة أنهم عوَّلوا في الجهر والهمس على حال مجيء الصوت مع الحركة .

فمن ذلك تعريف مكي بن أبي طالب للمجهور ، قال : " و معنى الحرف المجهور أنه حرف قويٌّ يمنع النفس أن يجري معه عند النُّطق به لقوته ، و قوة الاعتماد في موضع خروجه .

---

[1] مكي بن أبي طالب (الرعاية) ١١٦ – ١١٧ .

[2] المرجع السابق، ص ١١٦ .

[3] تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها) ص ٦١ .

وإنما لُقِّب هذا المعنى بالجهر ،لأن الجهر الصوت الشديد القوي ، فلما كانت في خروجها كذلك، لُقِّبت به، لأن الصوت يُجْهر به لقوته"[1] ، وقال عن المهموس:" ومعنى الحرف المهموس: أنه حرف جرى مع النَّفَس عند النطق به لضعفه ، وضعف الاعتماد عليه عند خروجه، فهو أضعف من المجهور"[2] .

- ذكروا أن الحروف المجهورة أوضح في السمع من الحروف المهموسة ، وأن هذا سبب تسميتها، فمن ذلك ما قاله ابن الحاجب في شرح المفصل:" إنما سميت المجهورة مجهورة من قولهم: جهرت بالشيء إذا أعلنته ، وذلك لأنه لما امتنع النَّفَس أن يجري معها انحصر الصوت بها، فقوي التصويت بها ، وسمي قسيمها مهموسا أخذاً من الهمس الذي هو الإخفاء لأنه لما جَرى النَّفَس معها ؛ لم يقوَ الصوت بها قوته في المجهورة، فصار في التصويت بها نوع خفاء"[3].
- قدَّم بعض القدماء تعريفاً دقيقاً للمجهور والمهموس، وهو تعريف طاشكبري زاده حيث يقول بعد شرحه لخروج الصوت :" ثم إن النَّفَس الخارج الذي هو وظيفة حرف إن تَكَيَّف كلُّه بكيفيَّة الصوت ، حتى يَحصل صوت قوي؛ كان الحرف مجهوراً . و إن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان مهموسا "[4] ، وردَّد هذا التعريف ملا علي قاري[5] ، و كذلك المرعشي[1] ، ويبدو أن تعريف طاشبكري زاده شامل لحال السكون والحركة ، لكن تتضح دلالته إذا أخذته على حال التحرك ؛ ذلك لأنه إذا

---

[1] مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١١٧ .

[2] المرجع السابق ص ١١٦ .

[3] شرح الجاربردي " مجموعة الشافية من علميّ الصرف و الخط " ١ / ٣٤١ .

[4] على هامش شرح رسالة الدرّ اليتيم للرومي ٢٧ / أ .

[5] الملا علي القاري (المنح الفكرية) ص ١٦٠.

[1] المرعشي (جهد المقل) ص ٢٥ .

انضاف جهر الحرف إلى جهر الحركة أصبح الصوت كله متكيِّفاً بصوت جهريٍّ له ديمومة التذبذب ، أما إذا أُضعف الحرف بأن جرى معه هواء التَّنفس فيبقى عندئذ صوت الحركة فقط ، فيخرج الحرف ضعيفا بسبب جريان النَّفَس .

هذا ما جاء في كلام القدماء بعد سيبويه عند تناولهم للجهر والهمس ، وهو في غالبه مبنيٌّ على كلامه ، لكننا لا نستطيع إغفال الزيادات التي زادوها عليه .

ونستخلص مما سبق : أن **مصطلح الجهر** عند القدماء يعني أن يحتوي الحرف على صوت الصَّدر (أثر الذبذبة) ، وأن يتحقَّق فيه انحباس جزئيٌّ لهواء النفس.

ومصطلح الهمس عندهم يعني خُلوَّ الحرف من صوت الصَّدر مع شرط جريان النَّفَس الكثير معه.

ومصطلح الهمس بهذا المفهوم عند القدماء له أهمِّية كبيرة ، لأن الخلاف بين القدماء و المحدثين وقع فيه كما سنراه لاحقا .

ب- الجهر والهمس عند المحدثين

تعريف المحدثين للمجهور والمهموس:

عرَّف المحدثون **المجهور** بأنه الصوت الذي تتذبذب معه الأوتار الصوتية .

وعرفوا **المهموس** بأنه الصَّوت الذي لا تتذبذب معه الأوتار الصوتية[٢].

قال أحدهم شارحاً لآلية الجهر بقوله : " علَّة حدوث الجهر ، هي حركة تيّار الهواء الصادر من الرئتين ، بالإضافة إلى المرونة العضلية وديناميكية الهواء ، و من ثمَّ تسمى "نظرية المرونة العضليَّة وديناميكية الهواء " ... وتفسِّر هذه النظرية حدوث الاهتزاز ، بأنه بمجرد إطلاق دفعة من هواء الزفير خلال فراغ المزمار الضَّيق يَرتدُّ

---

[٢] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٢٠ وتمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١١٤ ومحمود السعران (علم اللغة) ص ١٤٢ و كمال بشر (الأصوات) ص ٨٧-٨٨

الوتران الصوتيان إلى وضع القَفل ... وحيئذ يقوم ضغط الهـــواء بِحَلـــهما علـــى الانفصال مرة أخرى ، ثم تنطلق دفعة جديدة من الهواء، فيرتدُّ الوتران إلى وضـــع القَفل وهكذا .

ويتم أداء هذه الحركات الاهتزازية بِتردُّدٍ مُعيَّنٍ يُحدِّده أساساً مدى تَوتُّر الوترين الصوتيين ، كما يُحَدِّدُ تردُّدهما بالتالي تردُّد دفعات الهواء التي هي المصدر الرئيسي للصوت "[1] .

وشرح آخر آلية الهمس بقوله : " أما الأوتار الصوتية ، فإنها حين تتباعد مـــع مرور الهواء بينها تسمح بحدوث ما يسمى بالتنفس العادي غير المصحوب باحتكاك الهواء بهذه الأوتار . فإذا تقاربت لدرجة تحتم احتكاك الهواء بها حدث ما نســـميه الهمس "[2] ، وهذا التناول للجهر والهمس يقودنا إلى عدَّة أمور :

- أوضاع الطيَّات الصوتية .
- هل تصلح بعض هذه الأوضاع معياراً منضبطاً للهمس ؟
- ماذا يعني عدم اهتزاز الأوتار الصوتيَّة عند المحدثين ؟
- هل دلالة مصطلح الهمس عند المحدثين مغايرة لدلالته عند القدماء.

أوضاع الطَّيات الصوتية عند المحدثين

نصَّت بعض كتب المحدثين على أنَّ الأوضاع التي تتخذها الطيَّات الصـــوتيَّة أربعة[1] وبعضها نصَّ على أنها ستة، وفي ذلك يقول أحدهم: " تأخذ فتحة المزمار أوضاعاً ستَّة على النَّحو التالي:

---

[1] سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص ١٣٤ .

[2] تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ٧٠ .

[1] محمود السعران (علم اللغة) ص ١٣٦ – ١٣٨ وبشر (الأصوات) ص ٦٨ .

١- فقد تأخذ وضع الانفتاح، وهو وضع التنفس العادي.

٢-وحين يتم إنتاج الصوت، وهي في حالة انفتاح يسمى الصوت مهموساً Voiceless أو Unvoiced أوBreathed ويطلق عليه كذلك Spirital وAspriate وmute وSurd.

٣-وقد تأخذ وضع التذبذبات Vibration وهو وضع الجهر. في هذا الوضع تُجذب الحبال الصوتية في وضع تلامس ،ثم يباعِد بينهما بقوة من الأسفل إلى الأعلى التيارُ الرئوي الهوائي المتدفق خلال فتحة المزمار. وتتكرر عملية الملامسة والتفريق مكونة ذبذبة. هذا الغلق والفتح المتكرر أو ذبذبة الأوتار الصوتية يشكل العملية المسماة (تصويت)Phocation وينتج ما يسمى فنّياً بالجهر Voiceويسمى الصَّوت حينئذ مجهوراً Voiced

٤-وضعها في حالة تضييق، ولكن ليس بدرجة متقاربة تسمح بالذبذبة، وهي الحالة التي تصاحب الوشوشة Whisper والصوت الذي ينطق بهذه الطريقة إن كان مهموساً يظل مهموساً، ولكن إذا كان مجهوراً، فإنه يبدل به آخريسمى موشوشاً Whispered وهذا الوضع للأوتار الصوتية لم يفهم جيداً حتى الآن كما يقول روبنس .

٥- وقد يوضع الوتران في حالة غلق تام مُحكم يمنع تيار الهواء من تفريقهما، وهو وضع ينتج أصواتاً كثيرة غير لغوية ، كما أنه وضع إنتاج الوقفة الحنجرية (الهمزة) The giottalstope... ولا توجد أعضاء نطق مستعملة في إنتاج هذا الصوت، ولكن الأوتار الصوتية تقوم بدور هذه الأعضاء لتنتج غلقاً كاملاً، وإن كان قصيراً في مجرى تيار الهواء...

٦-ويذكر بعضهم حالة أخرى للأوتار ، وهي حالة نصف انفتاح (موقف وسط بين الغلق والفتح) توجد مع الصوت (h) في Heart أو Have وهو وضع يؤدي إلى أن يحدث الهواء احتكاكاً خفيفاً أثناء مروره بين

الأوتار نصف المفتوحة...ويطلق بعضهم على اسم هذا الاحتكاك ، احتكاك التجويف Cavity Friction "[1].

ومن المحدثين من أضاف إلى هذه الأوضاع وضعين آخرين ؛ أحدهما خاص بوضع الحروف الشديدة التي لا تهتز الأوتار الصوتيَّة معها لحظة الحبس (كالطاء والقاف)، في حال لم تُتبع بهواء النَّفَس ، والثاني خاص بلغة الهنود .

وفي ذلك يقول أحدهم : " وقد كشف الملاحظات عن أنه في اللغات التي تميز صوتياً بين السواكن الانحباسية...في حالة التنفسية وعدمها ، تكون فتحة المزمار أكثر اتساعاً عند وجود صفة التنفسية ... أما بالنسبة للسواكن الانحباسية غير التنفسية فإن فتحة المزمار تكاد تكون مغلقة عند الانطلاق ، وإن كان يلاحظ وجود قدر صغير من فتحة الحنجرة عند قفل الممر الفموي . وفي لغة الهندي لوحظ غلق فتحة المزمار أثناء قفل الممر الفموي ، وعند فتح هذا الممر يأخذ المزمار في الانفتاح" [2] .

بتأمل هذه الأوضاع والنُّصوص التي ذكرت نجد أنها غير متفقة ، فبعضهم نصَّ على أن الأوضاع أربعة ، وبعضهم نصَّ على أنها ستة ،وثالث جعلها ثمانية .

وذكر آخر عدة مصطلحات للهمس باللغة الانجليزية ولا أرى أن هناك تقارباً فيما بينهما ، فالمصطلحان الأولان (Voiceless-Unvoiced) [1] يعنيان أن هذا الصوت غير مجهور عموماً ، فهما مصطلحان عامَّان شاملان لأوضاع كثيرة تتَّخذها الطيات الصوتية غير وضع الجهر كوضع همزة القطع ، ووضع الطاء والقاف والتاء والكاف لحظه حبس الصَّوت ...الخ.

---

[1] أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ١٢٧ – ١٣٠ .

[2] عبدالرحمن أيوب (الكلام إنتاجه وتحليله) ص ١٦٣ .

[1] انظر Voiceless في المغني الأكبر ص ١٥٩١ و Unvoiced ص ١٥٥٧ .

والمصطلحات الثلاثة (Aspriate – Spirital – Breathed) [٢] تختص بالصَّوت الذي يخرج مع هواء النَّفَس . كالفاء والسين .

والمصطلحان الأخيران (surd – mute) يعنيان عدم وجود أي طاقة صوتية كالطاء والقاف والتاء و الكاف لحظة حبس الصَّوت فيها ، فليست هي مصطلحات مترادفة إلا إذا اعتبرنا المصطلحات الأخيرة وهي (Surd – Mute – Aspriate – Spirital – Breathed) أبدال أجزاء من المصطلحين الأوَّلَيْن (Voiceless–Unvoiced) ، وهما يشملان كل ما لا تهتز معه الأوتار الصوتية.

و السؤال الآن :

هل تصلح بعض هذه الأوضاع معياراً منضبطاً للهمس؟

يبدو أنها لا تصلح معياراً لذلك، **فالهاء** مثلاً رغم تدفُّق الهواء فيها إلاَّ أن الأوتار الصوتية قد تتذبذب كالهاء التي ينطقها القراء ؛ إذ هي مخالفةٌ للوضع الذي تتَّخذه كلُّ الحروف المجهورة، ومخالفةً أيضاً لوضع الحروف المشابهة لها في جريان هواء النَّفَس.

وهمزة القطع تأخذ وضعية خاصة غير التي تأخذها الحروف الأخرى المشابهة لها ، وتأمل الأمثلة التالية(يقْرأ)،(يطْمع)،(يكْتب)،(يتْبع)،(يأْتي)، فهل تجد اختلافاً صوتياً بينها لحظة القفل؟ ومع هذا فقد اختلف وضع الهمزة عن باقي هذه الحروف.

والسواكن الانحباسية غير المتذبذبة لحظة حبس المخرج في حال لم تُتبع بشيء كالقاف والطاء تأخذ وضعاً خاصاً أيضاً .

---

[٢] انظر Breathed في المغني الأكبر ص ١٥٦ و Aspriate ص ٧٩ و لم أجد معنى Spirital حتى في المعاجم الخاصّة بعلم اللغة .

فلا يُمكن أن يُعد شكل الأوتار الصوتية في همزة القطع أوالحروف الشديدة غير المتذبذبة لحظة حبس الصَّوت في المخرج كالقاف والطاء ،أو لغة الهندي، وكذلك الهاء معياراً منضبطاً للحكم على الصَّوت بأنه مهموساً وعلينا أن نستعمل مقياساً آخر أو يعاد تصنيف هذه الحروف .

ماذا يعني عدم اهتزاز الأوتار الصوتيَّة؟

بحسب تعريف المحدثين فإن الذبذبة عامل حاسم للفصل بين المجهور والمهموس، وفي ذلك يقول أحدهم :"وقد يُعترض مجرى الهواء في الوترين الصوتيين، فيحدث عن ذلك ما أشرنا إليه من تذبذب الوترين أو عدم تذبذبهما، وعلى هذا الأساس تصنف الحروف إلى مجهورة ومهموسة"[1] .

هناك ملاحظة نستخلصها من هذا النَّصِّ ويجب التَّنبه لها ، وهي أن مرحلة عدم الذبذبة تشمل مرحلة عدم وجود أي طاقة صوتيَّة(كالطاء والتاء لحظة حبس الصَّوت في المخرج)، وتشمل أيضاً مرحلة جريان النَّفَس(كالسين والشين) ، فهل عنى المحدثون الأمرين معاً ؟

إذا صحَّ فهمي لمصلحاتهم فهم قد عنَوْهما فعلاً، وعلى ذلك، فمصطلح الهمس عندهم يعني شيئين:

١- الحروف ذات النَّفَس الوفير (الفاء والحاء والثاء والهاء والشين والخاء والصاد والسين).

٢- مرحلة انعدام الطاقة الصَّوتية (الهمزة والطاء والقاف والكاف والتاء أثناء حبس الصوت في المخرج).

---

[1] محمود السعران (علم اللغة) ص ١٤٢ .

ومما أكَّد هذا أن بعض علماء الأصوات الغربيين يُقسِّمون مصطلح **غير مجهور**(Unvoiced) إلى غير مجهورذي طاقة صوتيَّة(Noise)وغير مجهورخالٍ من أي طاقة صوتيَّة(SiIence)[1] .

دلالة مصطلح الهمس عند المحدثين مغايرة لدلالتها عند القدماء

بناءً على ما تقدَّم في النقطة السابقة فإنَّ دلالة مصطلح الهمس عند القدماء مغايرةٌ لدلالته عند المحدثين ؛ إذ إننا نرى أنَّ المحدثين قد غيَّروا دلالة مصطلح الهمس المتعارف عليه في كتب التُّراث الخاصِّ بالصَّوت الذي يتحقَّق فيه جريان النَّفَس، والخالي من ذبذبة الأوتار الصَّوتيَّة كالفاء والسين، وجعلوه شاملاً لكلِّ مالا تهتز معه الأوتارالصَّوتية، وهو ما يوحي به المصطلحان الانجليزيَّان(Unvoiced)و(VoicIess)المستخدمان في علم الأصوات الغربيّ. وهو تغييرٌ خطيرٌ أدَّى بهم إلى نتائج خطيرة مبنيَّة على مقدِّمات خاطئة كما سنراه لاحقاً.

ولو اكتفى المحدثون بترجمة المصطلحين السابقين إلى المصطلح (غير مجهور) لكان ذلك حسناً، ولأُمِن ذلك اللَّبس .

وخلاصة ما تقدَّم من اختلاف الدلالة يُمكن شرحه على النحو التالي:

مصطلح الهمس عند المتقدمين من أهل العربية والتجويد يعني مرحلة النَّفَس فقط، أما حبس الصوت في المخرج فلا يعني عندهم إلا الشِّدَّة فقط. فهما مرحلتان

---

[1] انظر كتاب (Speech Analysis) ص ١٩٨ لعالِمَي الهندسة الكهربائيَّة John d.marke& Ronald w.schafer .

أساسيتان تُشكِّلان مجمل الصَّوت. وكذلك الشأن في حروف القلقلة الـــتي تُعـــدّ القلقلة فيها مرحلة أساسية مع حبس الصَّوت في المخرج.

مصطلح الهمس عند المحدثين يعني هذه المرحلة فقط لعدم وجود أي اهتزاز للأوتار الصَّوتية فيها، أما مرحلة الإطلاق(النَّفَس الذي يتبع الكاف) فهي مرحلـــة ثانوية يُمكن أن يوصف الصَّوت فيها هنا بأنه نَفَسيّ فقط. وكـــذلك الشـــأن في حروف القلقلة التي تُعدُّ القلقلة فيها مرحلةً ثانوية.

من خلال السابق يتضح لنا اختلاف دلالة مصطلح الهمس بين المتقدّمين من أهل العربية و التجويد و بين المحدَثين ، ونتيجةً لاختلاف هذه الدلالة حَكَم بعضُ المحدثين على بعض الحروف بالتغيُّر ظنًّا منهم أن دلالة مصطلح الهمس متفقةٌ بينهم وبين المتقدّمين من أهل العربية والتجويد .

منهج المحدثين في تناولهم للجهر والهمس

وأُلَخِّص ما ذكره المحدثون في النقاط التالية ، فقد ذكروا :

- أن الجهد العضلي الذي تبذله عضلات الرئة في حالة المجهور أشد منـــه في حالة المهموس.
- أن كمِّية النَّفَس في المهموس أكثر منها في المجهور.

و في ذلك يقول أحدهم : " و مما هو جـــدير بالملاحظـــة أن الصـــوامت المهموسة يحتاج نطقها إلى قوة من إخراج النَّفَس (= الزفير) أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة . ويمكن أن نلمس هذا الفـــارق في قـــوة النَّفَس إذا بسطنا الكف أمام الفم و نحن ننطق صامتاً مهموساً متلواً بنظيره

المجهور مثل ث ، ذ / ت ، د/ س ، ذ .. الخ[1] ، وقال آخر : " يتحكم مقدار فتحة المزمار في كمية الهواء الخارج من الممر الصوتي السفلي إلى الممر العلوي. وعند النطق بالأصوات المهموسة يتحتم مرور كمية كبرى من هواء التنفس تزيد بكثير عن تلك التي تمر عند ما يكون الصوت نفسه مجهوراً" [2] وعلى هذين النَّصَّين اعتراضٌ كبير سيأتي ذكره فيما بعد[3] .

- أن نسبة الوضوح السَّمعي في المجهور أقوى منها في المهموس ، وذكروا دور الوترين الصَّوتيَّين في هذا الوضوح .

و في ذلك يقول أحدهم في معرض حديثه عن النَّبر : " إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطاً كبيراً ، كما تقوى حركات الوترين الصوتين ، ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرّب أقل مقدار من الهواء ، فتعظم لذلك سعة الذبذبات . ويترتب عليه أن يصبح الصوت عالياً واضحاً في السمع . هذا في حالة الأصوات المجهورة ، أما مع الأصوات المهموسة ، فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما مع الصوت المهموس غير المنبور ، وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء"[4] .

أما ما تميز به المحدثون عن القدماء في هذه القضية فهو حديثهم :

١- عن ذبذبة الأوتار الصوتية (النغمة الأساسية) . والذبذبات التي تستجيب لهذه النغمة الأساسية بالذبذبة (النغمات التوافقية) في الحلق والفم و الشفتين والخيشوم (غرف الرنين).

وفي ذلك يقول أحدهم : " إن اهتزاز الوترين الصوتيين في وضع الجهر ليس إلاَّ اهتزازاً حراً ينتج نغمة ذات تكوين توافقي غنيّ ، يمثل التردد الطبيعي...

---

[1] محمود السعران (علم اللغة) ١٥١ – ١٥٢ .

[2] عبد الرحمن أيوب (الكلام إنتاجه وتحليله) ص ٦٤ .

[3] انظر كيفية تحقيق الجهر والهمس في الشدة والرخاوة عند المحدثين ص ١٩٦ .

[4] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ١٦٩ .

للوترين الصوتيين . وهذا الغِنى التوافقي الذي تتمتع به نغمة الحنجرة يعطي نطاقاً كبيراً من الترددات يُمَكِّنُ لفراغات البلعوم والأنف والفم ما يوافق تردُّدها الطبيعي. وبهذا تتحول هذه الفراغات بعضُها أوكلُّها إلى غرف رنين تستجيب للاهتزاز الاضطراري عندما يتوافق التردُّد الطبيعية للنَّغمة مع التردُّد الرنيني للفراغات... ولا ينبغي أن ننسى ونحن نتكلم عن قدرة هذه الفراغات على التشكيل والتنوع أن ذلك إنما ينصرف أساساً إلى فراغي البلعوم والفم، أما فراغا الأنف فيقومان بدور غرفة رنين متعددة ، ولكنها غير قادرة على تغيير شكلها وحجمها ، وذلك نظراً لطبيعة تكوينها "[1] .

وقال آخر: " فالتجويف الصدري، والحلق ، وتجويف الفم كلِّه، حجرات رنين من أنواع ممتازة ، ولهذا كان الجهاز الصوتي الإنسانيّ أكثر الآلات الصوتية كمالاً، وإيفاءً للغرض[2] .

٢- عن سبب سماع الحروف المهموسة رغم أنها خالية من اهتزاز الأوتار الصوتيَّة وقد بيَّن ذلك أحدهم بقوله :"فالصوت المهموس هو الذي لا يهتزّ معه الوتران الصوتيَّان، ولا يُسمع لهما رنين حين النُّطق به. وليس معنى هذا أن ليس للنَّفَس معه ذبذبات مطلقاً ، وإلاَّ لم تُدركه الأذن ، ولكن المراد بهمس الصوت هو صمت الوترين الصوتيين معه، رغم أن الهواء في أثناء اندفاعه من الحلق أو الفم يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسَّة السمع ، فيدركها المرء من أجل هذا "[3] .

٣- عن الجوانب التشريحيَّة لأعضاء النطق ، وآليَّة عملها وكذلك حديثهم عن الجوانب الفيزيائيَّة للصوت. وهذا سببه اشتراك علوم أخرى مساعدة كعِلْمَي التشريح والفيزياء في علم الأصوات ، مع ملاحظة أنهم يستخدمون في هذا

---

[1] سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

[2] تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ٧١ .

[3] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٢٠ – ٢١ .

الأجهزة التحليليَّة والمختبرات الصوتيَّة ، ممَّا لم يتوفر للقدماء وذلك ساعد على فهم آليَّة الجهر والهمس .

طريقة اختبار المجهور من المهموس عند المحدثين

كما دلَّنا القدماء على طريقة لاختبار الصوت المجهور من المهموس ، وذلك بتكرير الصوت مع الحركة ، دلَّنا المحدثون على طريقة أخرى لاختبار المجهور من المهموس. وفي ذلك يقول أحدهم: "ولاختبار جهر الصَّوت يمكن أن تُجرى إحدى التجارب الآتية:

١- حين نضع الإصبع فوق تفاحة آدم ، ثم ننطق بصوت من الأصوات وحده مستقلاً عن غيره من الأصوات ولا يتأتى ذلك إلاّ بأن نُشكِّل الصَّوت موضع التجربة بذلك الرمز الذي يسمى السُّكون مثل:(بْ)... فإذا نطقنا بالصَّوت وحده، وكان من المجهورات نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعوراً لا يحتمل الشك .

٢- وكذلك حين نضع أصابعنا في آذاننا، ثم ننطق بنفس الصوت وهو وحده مستقلاً عن غيره نُحسُّ برنَّة الصَّوت في رؤوسنا.

٣- والتجربة الثالثة هي أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثنا نطقه بالصوت موضع الاختبار ، فيحسُّ برنين الصوت وذلك الرنين هو صدى ذبذبة الوترين الصَّوتيين[1] .

وحذَّر المحدثون من أن يجيء مع الصوت حركةٌ سابقة أو لاحقة وذلك باستخدام طريقة القدماء. وفي ذلك يقول أيضاً :"ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات ، لأن الصوت

---

[1] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٢٠ .

حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة[1]. وقد بيَّنت سبب التزام القدماء بهذه الطريقة، وهو المحافظة على ما تتكلَّم به العرب. ثمَّ إن هذه الطريقة نستطيع تطبيقها لمعرفة الحروف الرِّخوة كالفاء والسين والزاي ، أما في بعض الحروف الشّديدة كالقاف والطاء والتاء والكاف والهمزة، فإنَّه يتعذَّر تطبيقها على هذه الأحرف إلاّ إذا أتبعتها بهواء النَّفَس أو بقلقلة أو بحركة من الحركات (التي لها تأثير في المعنى) ، وعلى هذا فلا يتحقَّق في الصَّوت الشَّديد (أمثال الأحرف السابقة) الاستقلال التَّام الذي يتحدَّث عنه المتحدَّثون.

الحروف المجهورة والمهموسة عند القدماء والمحدثين

القدماء

لعلَّ كتاب سيبويه هو أول كتاب ترد فيه ذكر هذه الأصوات محصورةً حيث يقول: " فأما المجهورة ،فالهمزة، والألف ،والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء،والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال،والباء،والميم،والواو.فذلك تسعة عشر حرفاً "[2]. "وأما المهموسة فالهاء،والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء. فذلك عشرة أحرف"[3] .

وقد جمع العلماء بعد سيبويه هذه الحروف المهموسة في عبارة هي:"فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَت"أو" سَتَشْحَثُكَ خَصَفَه"[1] .

---

[1] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٢٠ .

[2] سيبويه (الكتاب) ٤ / ٤٣٤ .

[3] المرجع السابق ٤ / ٤٣٤ .

[1] مكي بن أبي طالب " الرعاية " ١١٦ وابن الطحان " مخارج الحروف وصفاتها " ص ١٢٥ وابن يعيش في شرح المفصل ١٠ / ١٢٩ .

و لم يخالف أحد من القدماء – فيما أعلم- في تحديد هذه الحروف غير السَّكَّاكي حيث اختلط عليه مفهوم الجهر والهمس بالشدة والرخاوة[٢] ، وما لبث أن ردَّ عليه علماء عصره أمثال ابن الحاجب والاستراباذيّ[٣].

المحدثون

عدَّد أحدهم الحروف المجهورة، فقال:"والأصوات الساكنة... المجهورة في اللغة العربية كما تبرهن عليه التجارب الحديثة ثلاثة عشر :ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م، يضاف إليها كل أصوات اللين... بما فيها الواو والياء[٤] ، وتابع أغلب المحدثين هذا التقسيم[٥] إلاّ أن أحدهم قد عدَّ (الهاء) من جملة المجهورات[٦] .

وأما الحروف المهموسة فهي اثنا عشر عدَّدها أيضاً فقال:"في حين أن الأصوات المهموسة هي اثنا عشر:ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك هـ"[٧] وتابعه بعض المحدثين على ذلك[٨] وعدُّوا الهمزة صوتاً لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس ، بينما أدخلها بعضٌ آخر[١] من جملة الحروف المهموسة. وسيتم مناقشة الهمزة في مبحث خاص[٢] .

---

[٢] الإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، المتوفى سنة ٦٢٦هـ (مفتاح العلوم) ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه عدنان زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ط٢ / ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، ص١١.

[٣] الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٣ / ٢٥٧.

[٤] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٢١ .

[٥] كمال بشر " الأصوات " ص ٨٨ و أحمد مختار عمر " دراسة الصوت اللغوي " ص ٣٢٤ و جان كانتينو (دروس في علم أصوات العربية) ص ٢٥ .

[٦] تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١٣١.

[٧] إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٢١ .

[٨] أحمد مختار عمر " دراسة الصوت اللغوي " ص ٣٢٤ وكمال بشر "الأصوات" ص ٨٨ .

[١] تمام حسان " مناهج البحث في اللغة " ص ١٢٥ ورمضان عبد التواب " المدخل إلى علم اللغة " ص ٥٦ وجان كانتينو " دروس في علم الأصوات العربية " ص ٢٥ .

[٢] انظر قضية الهمزة ص ٢٠١ .

ج- نقاط الاتفاق والاختلاف في الجهر و الهمس بين القدماء والمحدثين

- اتفقوا على أن الجهد العضليَّ في حالة المجهور أشد منه في حالة المهموس.
- اتفقوا على أن كمِّية النَّفَس في المهموس أكثر منها في المجهور.
- اتفقوا على قوة الوضوح السمعيّ في المجهور دون المهموس.
- اتفقوا على الذبذبة وعدم الذبذبة(صوت الصَّدر وصوت الفم).
- اختلفوا في مصطلح الهمس حيث لم يُرِد القدماء منه إلى معنى جريان النَّفَس(Aspirate) مع الحرف مع عدم وجود أي اهتزاز للأوتار الصَّوتية(صوت الصَّدر) بخلاف المحدثين الذي جعلوه شاملاً لكل ما لا تهتز معه الأوتار الصَّوتيَّة، وهو ما يتناسب مع المصطلح الانجليزي (Unvoiced) وهذا الخلاف في المصطلح أدَّاهم إلى الاختلاف في تقرير الحكم في بعض الحروف من حيث الجهر والهمس.
- اختلفوا في الحروف المهموسة حيث عدَّها القدماء عشرة ، مجموعة في قولك : (فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَت) ، على حين أضاف إليها المحدثون القاف،والطاء، والهمزة . على خلاف في الأخير[٣] . وستتضح وجهة نظر كل منهما عند الحديث عن كيفية تحقق الجهر والهمس في الشدة والرخاوة .

[٣] بعضهم عدها مهموسة ، وبعضهم عدها لا مجهورة ولا مهموسة . واتفقوا فيما عداها . وانظر ص ٢٠٢.

نتائج البحث في قضية الجهر والهمس

وبناءً على هذه التجارب القائمة على الأداء القرآنيّ يصل البحث في هذه القضية إلى النتائج التالية :

ـ أن القرآن الكريم ما زال محفوظا على صورته الأدائية الأولى التي نزل بها. و لم يُصِب حروفه تغيُّر أو تطوُّر أو تبديل أو تحريف.

ـ أن منهج القدماء فيه كثير من الدقة، وهو مبني على الواقع اللغوي الذي كانت تتكلم العرب به أثناء نزول القرآن، وموافق للأداء القرآني الحالي، ومؤيَّد بالتجارب المعملية التي أُجريت على نطق القراء.

ـ أن أغلب النتائج في هذه القضية معتمدة على طريقة النطق.

ـ أن الحروف المهموسة هي المتمثلة في عبارة (فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَت)، والمجهورة هي ماعدا ذلك من الحروف.

ـ أن بعض ما قاله المحدثون يحتاج إلى أن يعاد النظر فيه؛ لأن القضية ليست محل اجتهاد، وإنما هي متعلقة بالقرآن الكريم وتواتره، والذي تكفل الله بحفظه.

المطلب الثاني: الشدة والرخاوة والبينيّة عند القدماء والمحدثين

الصوت يتخذ عادةً ثلاثة أحوال عند مروره في المخرج :

- إما أن ينحبس انحباساً كلياً (كالباء والطاء).
- أو يكون انحباسه جزئياً يسمح بمرور الصوت (كالسين والزاي).
- ألا يتم للصوت كمال الانحباس ولا كمال الجري إما بأن يجد له مكاناً ينفذ منه غير مخرجه كالميم والنون. اللذين يخرجان من الخيشوم، وإما بأن يكون جريانه ناقصاً لانحصاره في مخرجه كالعين.

أولاً : الشدة:

أ– الشدة عند القدماء

حديثي عن الشدة عند القدماء يتناول أربع نقاط :

- حال الإسكان هو المعتبر في الشدة والرخاوة عند القدماء .
- التعريف.
- سبب التلقيب.
- الحروف الشديدة.

حال الإسكان هو المعتبر في الشدة والرخاوة عند القدماء

اهتمَّ القدماء عند حديثهم عن الشدة والرخاوة بجريان الصوت وانحباسه ، لأنهما متعلقان باختلاف ضغط عضوي النطق على مخرج الحرف ، بخلاف الجهر والهمس المتعلِّقين بضغط الحجاب الحاجز والرئتين على مخرج الحرف .

لذلك وجد القدماء أن الذي يناسب الشدة والرخاوة هو حال إسكان الصوت ، وليس حال التحرك كما في الجهر والهمس .

ومما يؤيد كلامي هذا :

١- الأمثلة التي ذُكرت للجهر والهمس من جهة ، وللشدة والرخاوة من جهة أخرى ، فقد رأينا أنهم لم يُمثِّلوا في الجهر والهمس إلا بحال تكرير الحرف مع الحركة نحو : سَسَس وشَشَش، وكذلك هنا لم يُمثِّلوا في الشدة والرخاوة إلا حال إسكان الصوت نحو : (الحقْ) و (الشَّطْ) و (الحجْ) .

٢- النصوص التي جاءت موضحة ذلك ، فمنها :

قول الاستراباذي: " وإنما اعتُبر في امتحان الشديدة والرخاوة إسكان الحروف، لأنك لو حرّكتها، والحركات أبعاض الواو والألف والياء، وفيها رخاوة ما[١] لَجَرَّت الحركات لشدة اتصالها بالحروف الشديدة إلى شيء من الرخاوة، فلم تتبين شدتها"[٢] وقول ابن غازي[٣] الذي كان صريحاً في ذلك مع ضربه للأمثلة ، قال:"وإنما اعتبر الإسكان في الشدة، والتحرك في الجهر؛ بناء على أنها في حالة الإسكان أبين منها في حالة التحرك، والجهر بالعكس. ومن ثم مثَّلوا للمجهورة بـ(قَقَقَ) بتحريك القافات،لأنك تجد الصوت مع التحريك أظهر، وللشديدة بالجيم مع (الحج) مثلاً موقوفاً عليه، لأنك تجد انحصار الصوت في صوتك مع الإسكان أظهر، ومصداق انحصار الصوت في الشديدة أنك لو رمت مدّ صوتك لم يمكنك ذلك بخلاف الرخاوة "[٤] .

---

(١) الاستراباذي من النحويين الذين جعلوا أصوات المد والحركات من البينية.

(٢) الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٣/٢٦٠.

(٣) ابن غازي : منصور بن عيسى بن غازي الأنصاري المصري ، زكي الدين ، الشهير بالسمنودي ، قارئ لـ(تحفة الطالبين في تجويد كلام رب العالمين) ، توفي بعد ١٠٨٤هـ. الأعلام ٧/٣٠١.

(٤) ابن غازي (الدرر المنظمة البهية في حل ألفاظ الجزرية) الدرر المنظمة البهية في حلّ ألفاظ الجزرية ، زكي الدين منصور بن عيسى بن غازي الأنصاري الشافعي ، نسخة مصورة عن المكتبة الأزهرية رقم عام ٣٧٦١٥/رقم خاص ١٢٠٤ قراءات ٨٤/أ.

وقول الرومي:" وقُدِّرت سواكن ليتبين احتباس الصوت في مخرجه، أو جريه فيه، أو كونه بينهما؛ بخلاف ماتقدم في المجهورة والمهموسة، فإن احتباس النَّفَس وجريه في المتحرك أبين "[1] .

تعريف الشدة عند القدماء

يرجع أقدم تعريف وصلنا عن الشدة تعريف سيبويه حيث يقول :" ومن الحروف (الشديد) وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"[2].ومن التعاريف التي جاءت عن علماء التجويد قولُ مكيّ:" ومعنى الحرف الشديد: أنه حرف اشتد لزومه لموضعه، وقَوِيَ فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به"[3].

وقول الاستراباذي:" ونعني بالشديدة ما إذا أسكنته ونطقت به لم يجر الصوت"[4].

وقول الرومي الذي وضَّح فيه أن صفة الشدة من الصفات الذاتية التي تتسم بها الحروف فقال: " الشدة هي صفة من الصفات اللازمة لذوات الحروف في تمام احتباس جري الصوت مع إسكانه أي إسكان حروفها في مخرجها"[5].

يتضح لنا من خلال التعاريف السابقة عدة أمور :

١ــ كل هذه التعاريف متفقة في أن انحباس الصوت عند المخرج وعدم قبوله للجري، هو المسمّى بالشدة.

٢ــ التركيز على حال الإسكان في الشدة.

---

(١) الرومي (شرح رسالة الدر اليتيم) ٣٢/ب.

(٢) سيبويه (الكتاب) ٤٣٤/٤.

(٣) مكي (الرعاية) ص١١٧.

(٤) الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٢٦٠/٣.

(٥) الرومي (شرح رسالة الدر اليتيم) ٣١/ب-٣٢/أ.

٣ــ أن مصطلح الشدة لا يشمل صوت انفتاح المخرج، كما ظن بعض المحدثين[١] ومما يؤكد هذا الأخير قول الرومي :" والشدة في اللغة القوة، وحروف الشدة لمنعها الصوت أن يجري معها قويت في موقعها **وبهذا الاعتبار سميت حروفها شديدة**[٢]".

سبب تلقيب هذه الحروف بالشديدة عند القدماء

قال الجاربردي:" وسُميت الشديدة شديدة مأخوذة من الشدة التي هي القوة، لأن الصوت لما انحصر في مخرجه، فلم يجر اشتد أي امتنع قبوله للتليين، لأن الصوت إذا جرى في مخرجه أشبه حروف اللين، ومثلوا لها بالحج ، فإنك لو وقفت على قولك:الحج وجدت صوتك راكداً محصوراً حتى لو رمت مد صوتك لم يمكنك ذلك "[٣].

يتضح لنا من خلال نص الجاربردي :

١ــ أن مصطلح الشدة مأخوذ من كتب المعاجم، واستعير للتعبير عن هذه الصفة ، وهو أمر بدهيّ، لكني ذكرته لبيان أن هذا المصطلح جيء به من صميم اللغة، وليس خارجاً عنها كما نراه في المصطلحات المحدثة اليوم.

٢-التعبير بانحصار الصوت في المخرج.

التمثيل بكلمة (الحج) ساكناً موقوفاً عليها،وهذا دليل على أن المقصود بشدة الجيم ؛ مرحلة الانحباس فقط.

---

(١) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ١٢٦.

(٢) الرومي (شرح رسالة الدر اليتيم) ٣٢/أ.

(٣) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٣٤١/١ – ٣٤٢ .

الحروف الشديدة عند القدماء

عدَّد سيبويه الحروف الشديدة فقال "الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء"[1]، ولم يخالفه أحد من الذين جاءوا بعده – فيما أعلم– سوى ما ورد عن السكاكي.[2]

وجمع العلماء الحروف الشديدة في عبارة:أَجِدُكَ قَطَّبْتَ.[3]

ب– الشدة عند المحدثين

سيكون الحديث عنها متركزاً في ثلاث نقاط:

– التعريف .

– الحروف الشديدة عند المحدثين.

– نقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين.

تعريف الشدة عند المحدثين

لم يخرج كلام المحدثين عن كلام القدماء في تصور طبيعة هذا الحروف ، وفي ذلك يقول أحدهم :" تتكون الأصوات الانفجارية بقطع النظر عن اللغة المعيَّنة– بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع . وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يُضغط الهواء ، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع مع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً فهذه الأصوات باعتبار الحبس أو الوقف يمكن تسميتها (بالوقفات) ... ولكنها باعتبار الانفجار تسمى الأصوات الانفجارية ... والأول هو ما جرى عليه الأمريكان ، أما الثاني فهو وجهه نظر

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٤.

(٢) انظر الحروف المجهورة والمهموسة عند القدماء والمحدثين ص ١٢٨.

(٣) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١١٧.

الانجليز " [1]، وقال أحدهم :"ويسمى الصامت احتباسياً أو وقفياً إذا نتج عن التقاء العضوين الناطِقَين التقاءً تاماً توقف تيار الهواء في الفم عند نقطة التدخل " [2]

الملاحظ من خلال هذين التعريفين عدة أمور:

١- أن بعض المحدثين قد غيَّر مصطلح الشدة المتعارف عليه في كتب التراث واستبدل به مصطلحي الوقفيات والاحتباسيات ، بينما حافظ على المصطلح بعضٌ آخر[3].

٢- أن أحدهم جعل مصطلحي الانفجار والوقفيات مصطلحين مترادفين ذاكراً وجهة نظر الانجليز والأمريكان .

والذي أراه أنه من الأفضل التمييز بينهما، وهو ما لاحظه أحدهم فقال:" تستخدم المصطلحات وقفي... وانفجاري... في كثير من المصنَّفات العربية والأجنبية كمترادفين، والأَوْلى التمييز بينهما "[4] ؛ لأنه قد يوجد أصوات شديدة (وقفية) ينتفي فيها صوت انفتاح المخرج . فلا تسمى حينئذ انفجارية بل وقفية فقط، كالهمزة المحققة في قراءة قراء القرآن في مثل كلمة : (الذئب).

٣- أن مصطلحي (الانفجار – الوقفة)، إنما هما ترجمتان حرفيتان للكلمتين الانجليزتين (plosive و stop) .

٤– أن الحروف الشديدة عند المحدثين تتكون من عدة عناصر :

- اتصال عضوين لسدِّ المجرى .
- انحباس الهواء خلف نقطة تلاقيهما.
- انفصال العضوين فجأة وتسريح الهواء[5].

---

(١) كمال بشر (الأصوات) ص١٠٠.

(٢) سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص٢٠٢.

(٣) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٢٢ وتمام حسان (مناهج البحث اللغوي) ص١١٢ .

(٤) سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص٢٠٢.

(٥) تمام حسان (مناهج البحث اللغوي) ص١١٢

الحروف الشديدة عند المحدثين

ذكَر أحدهم الحروف الشديدة، فقال: "والمواضع التي يقف فيها مجرى الهواء وقفاً تاماً عند إحداث الأصوات الانفجارية في اللغة العربية الفصحى، كما ينطقها مجيدو القراءات هي:

١- الشفتان، وذلك بأن تنطبقا انطباقاً تاماً كما في حالة الباء .

٢- أصول الثنايا العليا ومقدمة اللثة ، وذلك بأن يلتقي بها طرف اللسان وذلك في حالة التاء والدال و**الضاد** والطاء .

٣- أقصى الحنك الأعلى ،بأن يلتقي به أقصى اللسان كما في حالة الكاف **والجيم القاهرية** كذلك.

٤- أدنى الحلق بما في ذلك اللهاة ،بأن يلتقي به أقصى اللسان وذلك في القاف .

٥- الحنجرة وذلك في همزة القطع"[١].

الملاحظ على هذا النص :

١- أنَّ الدكتور قد ذكر أنّ هذه المواضع هي كما ينطقها مجيدو القراءات ، فإن كان كذلك ، فهو يثير تساؤلات عدة منها:

- هل يقرأ مجيدو القراءات عند قراءتهم للقرآن الجيم القاهرية ؟!
- هل يقرأ مجيدو القراءات الضاد شديدة ؟!
- ما هو المقياس الذي اعتمده الدكتور للتفريق بين مجيدي القراءات وغير المجيدين ؟!

وعلى الرغم من أن النَّص منقولٌ من بعض كتب علم اللغة[٢]، و لم ترد فيه كلمة (مجيدو القراءات) ، مما يدل على أنها قد قُصدت قصداً ؛ إذ حدّد النص الأصليّ الذي نقل عنه الدكتور – و لم يُشِر إليه – المستوى وهو (العربية الفصحى كما

---

(١) كمال بشر (الأصوات) ١٠٠-١٠١.

(٢) محمود السعران (علم اللغة) ص١٥٣ – ١٥٤ .

تنطق في مصر) ، بل ذكر أن هذه الجيم هي الجيم القاهرية، فلديَّ هناك احتمال بعيد أقدِّمه للاعتذار عنه – إذ يعرف كلّ من له أدنى دراية أن قـــراء القـــرآن لا يقرؤون الجيم جيماً قاهريَّة– وهو أن يكون الدكتور غير عارفٍ بما يقرؤه القـــراء اليوم.

وأما ما قدّمه من أن القراء يقرؤون الضاد شديدة ، فيمكن أن يؤخذ له العـــذر في هذا إذا أخذنا بعض ما يقرؤه القراء غير المجيدين في الإذاعة اليوم[1] ممن وهبهم الله حسن الصَّوت فقط دون صِحَّة الأداء .

٢- أن الحروف الشَّديدة عند المحدثين – باستثناء الجيم القاهرِّية – هي نفسها عند القدماء مزيداً عليها الضاد.

ج– نقاط الاتفاق والاختلاف في الشدة بين القدماء والمحدثين

- اتفق القدماء والمحدثون على مرحلة حبس الصوت عند المخرج.
- اشترط المحدثون مرحلة انفتاح المخرج لنعت هذه الحروف بالشديدة،بخلاف القدماء الذين لا يعني لهم مصطلح الشدة إلا مرحلة الانحبـــاس فقـــط ، فلـــم يتحدثوا عن مرحلة انفتاح المخرج إلا في معرض تناولهم للقلقلة والنفخ (الهمس عند سكون الحرف).
- اتفق القدماء والمحدثون في الحروف الشديدة إلا (الضَّاد)، فقد عدَّها القدماء من الحروف الرخوة، على حين عدَّها المحدثون من الحروف الشديدة.
- لا يذكر هنا ما قيل عن صوت (الجيم)، لأن مرحلة حبس الصوت فيه مُتَّفـــق عليها بين القدماء والمحدثين.

---

(١) سيأتي حديث مفصل عن الضاد ص (١٥٤).

- **قضية الجيم :**

شَغَلت الجيم الفصيحة أذهان بعض المحدثين الصوتيين من العرب ، وأخذت حيزاً من الدراسات اللغوية المعاصرة ما كان لها أن تأخذه، وأساس هذه القضيَّة إن جُعلت كذلك إنما هو الخلاف في معنى مصطلح الشدة بين القدماء والمحدثين، ونظراً لأن هذه القضيَّة قد أثارها المحدثون ،فآثرت عرضها عندهم أولاً ، ثم مناقشتها على ما جاء في كتب اللغة والتجويد وسيتمُّ الحديث عن الجيم في أربع نقاط :

- أقوال المحدثين عن الجيم ، (عرض القضيَّة).
- طبيعة الصوت المركَّب.
- أقوال القدماء.

أقوال المحدثين عن الجيم ، (عرض القضيَّة).

قال أحدهم :" تلك هي الجيم التي تباين فيها نطق أبناء العرب الآن. ووَصْف القدماء في كتبهم لهذا الحرف فيه بعض الغموض ، **فلا نكاد ندري من كيف كان يُنطق في عهد النبي صلى الله عليه وسلم** ، غير أنَّا حين نستعين بموسيقى الفواصل القرآنية في سورة البروج نستطيع أن نُرجِّح أن النطق القديم بهذا الحرف كان أقرب إلى نطق الدال وألصق بها من أي حرف آخر أي قليل التعطيش جداً. فاستمع إلى هذه الفواصل في هذه السورة﴿والسَّماءِ ذاتِ البُرُوج، واليومِ الموعود، وشاهدٍ ومشهودٍ، قُتِلَ أصحابُ الأُخدودِ﴾ (البروج ١-٣)، نلحظ أن الفاصلة الأولى اختتمت بحرف الجيم، ثم جاء بعدها ثماني فواصل كلها مختتمة بحرف الدال ، مما يرجِّح أن القراءة التي تُبرز موسيقى الفواصل **تُحتِّم** أن ينطق بالجيم نطقاً أقرب شبهاً بالدال، وأوثق اتصالاً بها.وعلى أساس من هذه الملاحظة

نستطيع أن نُحدد كيف كان ينطق بالجيم أيام نزل القرآن الكريم[١]، وقال :" وفي رأيي أن الانسجام الموسيقي بين فواصل كثير من الآيات القرآنية يهدينا إلى النطق الأصلي لبعض أصوات اللغة وقت نزول القرآن"[٢].

من الملاحظ على هذين النصين أمران :

١- أن الدكتور شاكٌّ في الجيم الفصيحة رغم أنه صرَّح في موطن آخر قائلاً:"ويظهر أن الجيم التي نسمعها الآن من مجيدي القراءة القرآنية، هي أقرب الجميع إلى الجيم الأصلية إن لم تكن هي نفسها"[٣].

ويبدو أن سبب شكِّ الدكتور في الجيم الفصيحة يرجع إلى التوهم في أن ما ذكره أهل العربية مخالفٌ لما ذكره أهل التجويد. وهذا التوهُّم بعيد عن الواقع ؛لأن القدماء إنما هم واصفون للغة التي نزل القرآن بها، وبها قرئ ،ولو ذهبت تُطَبِّق ما قاله سيبويه على القراءة القرآنية لوجدت ذلك مطابقاً ، وناهيك أيضاً بقول الداني المتقدم الذكر[٤]: (وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة إذ هو الصحيح المعوَّل عليه إن شاء الله تعالى). والدانيّ من أكابر محققي القراءات، وهو الذي ترجم له ابن الجزري بقوله: (أستاذ الأستاذِين، وشيخ مشايخ المقرئين)[٥]، فإذا كان ذلك كذلك علمت أنه لا فرق بين القراءة القرآنية وبين ما وصف في القديم سواء في اللغة أو التجويد[٦].

٢- يثير كلام الدكتور التساؤل التالي :هل الانسجام الموسيقي بين الفواصل القرآنية مِعيارٌ منضَبطٌ حتى يؤتى به للتعرف على النطق الأصلي، أم هو يُذكر

---

(١) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٨٢.

(٢) المرجع السابق ص ٥٥.

(٣) المرجع السابق ص ٧٧.

(٤) انظر أقوال القدماء عن الجيم ص ١٤٧، هامش٣ .

(٥) ابن الجزري (غاية النهاية في طبقات القراء) ٥٠٣/١.

(٦) انظر علم التجويد أهميته ومنهجه صفحة (ع).

لغرض الاستئناس به،ولبيان بلاغة القرآن؟. وهل يترك ذلك لاجتهادات البشر حتى يتعرفوا على الحروف من خلاله ،بِغَضِّ النظر عن صحة كلام الدكتور أو خطئه؟ ثم إن السورة قد خُتمت آياتها بقوله تعالى:﴿ بلِ الّذينَ كفروا في تكـــذيب * والله من ورائهمْ محيط*بل هو قرآنٌ مجيدٌ* في لوحٍ محفوظ﴾ (البروج ١٩-٢٢) فلماذا لا نجعل الطاء أقرب صوتياً إلى الباء؟!، والدال أقرب إلى الطـــاء؟!،والظـــاء أقرب إلى الدال؟! وهكذا... طالما أن مجال الاجتهاد متسع لمن أراد ذلك!!

وذكر آخر أنَّ الجيم التي وُصفت في القديم هي أقرب ما تكون إلى الجـــيم القاهرية، فقال :"وبالرغم من أن وصف علماء العربية للجيم ينطبق أكثر ما ينطبق على الجيم القَصِيَّة الانفجارية(جيم القاهرة) نلاحظ أنهم نسبوها إلى منطقة أخرى، هي تلك المنطقة التي تخرج منها الشين والياء. وهي (وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى).

وهذه المنطقة هي في الحقيقة منطقـــة الجـــيم القرشـــية [dj] ؟! لا الجـــيم القاهرية.ويكون معنى هذا أن هؤلاء العلماء اختلط عليهم الأمر، فنسبوا خـــواصّ الصوتين(الجيم القاهرية والجيم القرشية)إلى صوت واحد، هو مـــا تكلمـــوا عنـــه ووصفوه بهذه الطريقة غير الدقيقة. على أنه إذا كان المقصود هو الجيم القرشـــية حقيقة، فيكون نسبتهم لها إلى هذه المنطقة سليماً ومقبولاً؛ إذ الجيم القرشية والشين لِثويتان حنكيتان ، أو هما من وسط الحنك فعلاً كما يرى بعض الدارسين، ومـــن ثم ضمُّوا الياء إليهما، وهي من وسط الحنك بدون شكّ"[1].

والذي يبدو للدارس المدقق من خلال هذا النص أن الرجل غير عارفٍ بمعنى الشدة عند القدماء، والتي تعني مرحلة انحباس الصـــوت في مخرجـــه ،لا مرحلـــة

(١) كمال بشر (الأصوات) ص١٢٨-١٢٩.

الإطلاق، إذ لا فرق في مرحلة (الغَلْق) بين الجيم القرشية (الفصيحة)، والجيم القاهرية العامية، وإنما الاختلاف بينهما في مكان الغَلق.

ولعل الذي سبَّب هذا الخلط عنده توهمه بأن الشدة عند القدماء تعني كل مراحل الصوت الشديد(الحبس والإطلاق) عند المحدثين.

ويُقدِّم بعض المحدثين دليلاً من لام المعرفة التي تدغم في حروف طرف اللسان والضاد والشين على أن الجيم التي نسمعها من القراء اليوم هي غير الجيم التي وصفها المتقدمون. وحجَّته في ذلك أن حروف طرف اللسان والضاد والشين فقط (الحروف الشمسية)[1] هي التي تُدغم اللام فيها، ولما كانت الجيم قمرية أي تظهر لام التعريف فيها ، ولا تُشبه في ذلك الضاد والشين، فينبغي على ذلك أن تكون من مخرج أعمق منهما، وتكون مشبهةً في ذلك الجيم القاهرية أو القاف المغيَّنة التي ينطقها أهل السودان[2].

ولمناقشة هذا الرأي فإنني أقول ابتداءً: إذا كان بعض المحدثين يتحدث عن جيم غير تلك التي نسمعها من أفواه القراء المتقنين، فلا حاجة على مناقشته؛ لأن هذا يدخل ضمن دائرة اللهجات، والتي هي خارجة عن دائرة بحثنا، أما إذا كان يعني الجيم التي نسمعها من القراء المتقنين اليوم، فإن السبب الذي سوَّغ للضاد والشين أن تُدغم اللام فيهما كونهما رِخْوين يخالطان حروف طرف اللسان، وهذا قد قرره المتقدمون،قال سيبويه: "وهذه الحروف : أحد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان، فلما اجتمع فيها هذه، وكثرتُها في الكلام لم يجُز إلا الإدغام... والأحد عشر حرفاً: النون والراء، والدال والتاء

---

(١) الحروف الشمسية هي: الطاء والدال والتاء، والصاد والسين والزاي، والظاء والذال والثاء،والنون والراء، والضاد والشين.

(٢) أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية- تونس١٣-١٩ ديسمبر ١٩٧٨بحث مقدم من الدكتور إدور يوحنا من الجامعة المستنصرية ببغداد بعنوان: (المكانة الشمسية أو القمرية للجيم"دراسة وصفية") ص٨٣.

والصاد، والطاء والزاي والسين، والظاء والثاء والذال. واللذان خالطاها: الضاد والشين؛ لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام ، والشين كذلك اتصلت بمخرج الطاء"[1].

فالذي سوَّغ للجيم أن لا تُدغم لا التعريف فيها كونها شديدة ينقطع الصوت في مخرجها الذي هو وسط اللسان، ولو أُعطيت الجيم رخاوة كما نسمعها من لهجة أهل الشام، لأصبح مستساغاً إدغام اللام فيها، فهم يقولون في (الجمل): اجَّمل ،وهي بهذا النطق تخالط حروف طرف اللسان بتفشي صوتها، وتشبه في ذلك الضاد والشين.

طبيعة الصوت المركَّب في الجيم :

الصوت المركَّب هو الذي يجمع بين الشِّدة والرخاوة. وفي ذلك يقول أحدهم: "وتسمى الحروف التي هي وسَط بين الحروف الشديدة وبين الحروف الرخوة حروفاً شديدة – رخوة ... أي أن الجزء الأول منها شديد والجزء الأخير رخو **مع لزومها نفس المخرج**. ومن هذه الحروف"تش"(č) و"دج" (ğ) و"تس"(ť) وهي حروف نجدها في بعض اللهجات العربية"[2] وهذا النص يدلنا على عدة أمور مهمة، هي :

١- أن تكون الجيم المركبة مكونة من جزأين ، وهما مرحلة غلق ، أو حبس للصوت، وهذا ما يحدث فعلاً في كل الحروف الشديدة: (أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ)، ثم مرحلة تسريح للهواء[3].

٢- أن هذا التسريح يجب أن يتمَّ في نفس المخرج،فلا ينفتح المخرج دفعة،وهو ما يؤيده كلام بعضهم حيث يقول:"ومعنى التركيب هنا أن نطق هذا الصوت يستلزم

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٥٧.

(٢) كانتينو (دروس في علم أصوات العربية) ص٢٤.

(٣) الهمزة المحققة لا تحتوي على مرحلة تسريح للهواء في قراءة قراء القرآن، ولها أحكامها الخاصة.

طريقتين من طرق النطق، أولاهما: الشدة أو الانفجار، والثانية: الرخاوة أو الاحتكاك"[1].

فهل ينطبق هذان على الجيم الفصيحة التي تُسمع من القراء؟

هذا ما يقول به المحدثون العرب، حيث يقول أحدهم :" أما صوت الجيم **كما نسمعها الآن من مجيدي القراء**، فإنها صوت مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة، وهو ما سبق أن سميناه بالصوت المزدوج.

ويتم نطقه بأن يرتفع مُقَدم اللسان[2] في اتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة، كما في الحروف الشديدة، وإنما يتم انفصال العضوين ببطء، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين، احتكاكاً شبيهاً بالاحتكاك الذي نسمع صوته مع الشين المجهورة (ج)، وعلى ذلك تعد هذه الجيم في الحقيقة: صوت دال مغوَّر، يعقبه صوت شين مجهور"[3]، وجرى المحدثون على أن الجيم مركبة[4].

والنص السابق يُخرج الجيم عما وُصفت به، لأنه يجعل الجزء الأول من الجيم صوت دال يخرج من وسط الحنك، ومن المعلوم أن صوت الدال يشترك في إخراجه طرف اللسان، أما الجيم فالذي يشترك فيها حسبما وُصفت به وسط اللسان، فأين الطرف من الوسط؟!

وحاول بعض المحدثين أن يُوفق بين وصف القدماء ووصف المحدثين ، حيث يقول :"جميع الآراء التي طُرحت بالنسبة لشكل الجيم الفصحى القديمة، على فَرَض

---

(١) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ١٣١.

(٢) معناه عند المحدثين وسط اللسان.

(٣) رمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ص٥١.

(٤)تمام حسان" مناهج البحث في اللغة" ص١٣١ وسعد مصلوح" دراسة السمع والكلام" ص٢٠٤ وأحمد مختار عمر"دراسة الصوت اللغوي"ص٢٨٧-٢٨٨ .

أنها انفجارية، حَصَرت مخرجها إما في مخرج الدال، أو في مخرج الكاف. ولكن هناك احتمالاً قوياً لطريقة نطق هذه الجيم، يحل جميع الإشكالات، ويجمع بين كل أوصاف القدماء لهذه الجيم، وهو احتمال لا يكاد يوجد أي اعتراض عليه. إن الجيم عند القدماء تنتج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك بتعبير بعضهم، أو من شجْر الفم بتعبير بعض آخر، وهو يرادف تعبير المحدثين: الغار أو الطبق الصلب أو الحنك الصلب.

وهي عندهم تشترك مع الشين في المخرج أو في نقطة الإنتاج، ثم هي أخيراً انفجارية ومجهورة. فببساطة حين نريد أن نتصور نطق صوت كهذا، سنتصوره المقابل الانفجاري المجهور لصوت الشين.

وأنت إذا حاولت أن تنتج صوتاً انفجارياً من منطقة الغار سواء كان مهموساً أو مجهوراً، ستسمع صويتاً آخر يَسبقه مما يجعلك تسمع الصوت مركباً، والتركيب هنا ليس مقصوداً، وإنما ينتج بصورة آلية حين يحاول المرء قفل المجرى بإحكام في هذه المنطقة، ثم تفجيره...فالقدماء حين نظروا إلى قفل المجرى عدُّوا الصوت انفجارياً، والمحدثون حين نظروا إلى الصويت الذي يسبق النطق عَدُّوا الصوت مركباً"[1].

وعلى الرغم من أن هذا النص قد أصاب موضع الخلاف، وحاول توجيهه بشكل واف للغرض تماماً، فإن عليه بعض الملاحظات :

١- قوله: (فالقدماء حين نظروا إلى قفل المجرى عدُّوا الصوت **انفجارياً**).

كان من المُحبَّذ لو أنه أبقى على مصطلح القدماء، فيصبح النص هكذا: (فالقدماء حين نظروا إلى قفل المجرى عدُّوا الصوت **شديداً**)، وذلك لكي يتوافق

(١) أحمد مختار عمر(دراسة الصوت اللغوي) ص٣٣٩-٣٤٠.

هذا مع معنى الشدة عند القدماء، وحتى لا يُتوهَّم أن مرحلة الإطلاق داخلة في هذا التوجيه.

٢- يبدو أن الدكتور يستخدم طريقة المحدثين في نطق الحروف(بدون همزة الوصل)؛ لأن هذا الصويت (لعله صوت حبسة الجيم) الذي ذكره - مع غموض دلالته-، أي الذي يسبق النطق لا يظهر تماماً باستخدام طريقة القدماء.(مع همزة الوصل). هذا إذا صحَّ فهمي طبعاً لطبيعة هذا الصُّويت.

بعد كل هذه المناقشات عن طبيعة الصوت المركب الذي بدأناه بنص جان كانتينو يظهر اتجاه آخر لدى علماء الأصوات الأوربيين تنفي طبيعة الصوت المركب.

قال ماريو باي:"ولعل من المهم هنا أن نشير إلى أن عدداً من علماء الأصوات يرفضون الاعتراف بالطبيعة المركبة للأصوات المرموز إليها في الانكليزية بـ sh وs أوj ويفضلون أن ينظروا إليها باعتبار المقابل الانفجاري للغاري الاحتكاكي المركوز إليه في الانكليزية بـ sh و s في measure"[1] . أي معنى ذلك؛ حتى وإن كان الصوت يتكون من جزأين، فإنه يُفضَّل اعتبارهما جزءاً واحداً.

أقوال القدماء عن الجيم :

كل الحروف الشديدة ما عدا الهمزة[2] تتكون من جزأين: الجزء الأول تشترك فيه جميع الحروف الشديدة، وهو عنصر قفل المخرج بواسطة عُضوي النطق، وهو معنى الشدة عند القدماء أما الجزء الثاني فمختلف ،فحروف (قُطْبُ جَدٍ) تُتبع بقلقلة،و(الكاف والتاء) تُتبعان بهواء النَّفَس.

---

(١) غانم قدوري حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ٢٨٤.

(٢) لها أحكامها الخاصة.

تحدث القدماء عن عنصر الشدة في هذه الحروف، ومن حسن الحظ أن(الجيم) كان أحد الأمثلة التي مثلوا بها، ليستدلوا على عنصر قفل المخرج، أو حبس الصوت فيها. قال سيبويه بعد أن عرَّف معنى الشدة:" وذلك أنك لو قلت: (الحجّ) ثم مددت صوتك لم يَجْرِ ذلك"[1]. وقال الداني:"ومعنى الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه حتى منع الصوت أن يجري معه، نحو (أج والحجّ)، فليس يجري في الجيم الصوت"[2] ، وقال الجاربردي في معرض حديثه عن الحروف الشديدة: "ومثَّلوا لها (بالحج)، فإنك لو وقفت على قولك: (الحجّ) وجدت صوتك راكداً محصوراً، حتى لو رُمت مدَّ صوتك لم يمكنك ذلك"[3].

يتَّضح لنا من خلال النصوص السابقة أن المقصود بشدة الجيم هو انحباس الصوت فقط دون مرحلة الإطلاق، وعلى هذا فإن العنصر الأول من صوت الجيم متفق عليه بين القدماء والمحدثين.

أما الجزء الثاني من صوت الجيم فهو الذي جعل المحدثين يَعُدُّون هذا الصوت مركباً، وعند التأمل في حديث القدماء عن القلقلة نجد أن لا خلاف في الحقيقة بين الفريقين؛ لأنهم ذكروا أن حروف القلقلة تتفاوت فيما بينها، فليست هي على درجة واحدة، في فتح المخرج وفي ذلك يقول مكي بن أبي طالب من أن أصل القلقلة للقاف، وحُمِلت أخواتها عليها، معللاً لذلك أيضاً، قال: "وقيل: أصل هذه الصفة للقاف، لأنه حرف ضغط عن موضعه فلا يقدر على الوقف عليه إلا مع صوت زائد لشدة ضغطه واستعلائه، ويشبهه في ذلك أخواته المذكورات معه. وقد قال الخليل: القلقلة:شدة الصياح، وقال اللقلقة: شدة الصوت، فكأن الصوت يشتد عند الوقف على القاف، فسميَّت بذلك لهذا المعنى، وأضيف إليها أخواتها لما فيهن

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٤.

(٢) أبوعمرو الداني (التحديد في الاتقان والتجويد) ص١٠٧-١٠٨.

(٣) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ١/٣٤٢.

من ذلك الصوت الزائد عند الوقف عليهن، والقاف أبينها صوتاً في الوقف لقربها من الحلق، وقوتها في الاستعلاء"[1].

وعلَّق المرعشيُّ على قول مكي: (لشدة ضغطه واستعلائه)، فقال:"وجه التعليل هنا أن القلقلة هي الصوت الزائد ... إلى آخره، وكلما قَوِي ضغط المخرج قَوِي صوت فتحه دفعة، ثم إن عُلُوَّ الصوت على قدر استعلاء الحرف"[2].

فالقدماء كما يتبين من خلال نصوصهم مدركون لأمرين هامين هما :

١- أن أصوات القلقلة تتفاوت فيما بينها.

٢- أنه كلما قَوِي ضغط المخرج قَوِي صوت فتحه دفعة.

ولما كان إخراج صوت شديد من منطقة وسط الحنك فيه تكلُّف، بخلاف الطاء والدال والتاء والباء لسهولة التحكم بطرف اللسان والشفتين، وبخلاف القاف التي لها الحرية لاشتراك العضلات الرافعة لأقصى اللسان، فإنه من المتوقع أن يختلف صوت انفتاح مخرج الجيم عن غيره من أصوات القلقلة، وهو ما أشار إليه القدماء إشارة عامة، ونبه عليه المحدثون بأقوالهم التي تقدمت في ذلك. وعلى هذا فالخلاف ساقط في الحقيقة بين الفريقين.

وإن افتراض أصل قديم للجيم الفصيحة التي نسمعها من مجيدي القراءة اليوم، والاحتجاج له لا يثبت عند النظر؛ لأن القدماء لم يتحدثوا بشكل خاص عن مرحلة انفتاح مخرج الجيم، بل ذكروا تفاوت حروف القلقلة فيما بينها . وهم لما أرادوا أن يعرفوا مخرج الجيم أدخلوه همزة وصل من قبله، ونظروا إلى مرحلة الغلق فقط دون مرحلة صويت القلقلة وكذلك عند استخدامهم لمصطلح الشدة الذي لا يعني عندهم سوى مرحلة الانحباس فقط.

---

(١) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص١٢٤-١٢٥.

(٢) المرعشي (بيان جهد المقلّ) ص٣٠.

ثانياً: الرخاوة:

أ- الرخاوة عند القدماء

سيكون الحديث عنها في ثلاث نقاط:

- التعريف.
- سبب تلقيبها بالرخاوة.
- الحروف الرخوة

تعريف الرخاوة عند القدماء

أقدم من تحدث عن الرخاوة فيما وصلنا سيبويه، لكنه لم يقدِّم لنا تعريفاً للرخاوة، وإنما ذكر آليَّتها فقط، فقال:" ومنها الرخوة ... وذلك إذا قلت: الطسّ وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت "[1].

وهناك من التعاريف التي قدَّمها العلماء بعد سيبويه للرخاوة ما يُوضِّح المقصود منها تماماً فمن ذلك قول الشنتمري: " والرخو ضد الشديدة، والفرق بينهما أن الحرف الشديد إذا وقفت عليه انحصر الصوت عليه، والرخو إذا وقفت عليه لم ينحصر الصوت. تقول:(اِق) فتجد الصوت مع القاف منحصراً.وتقول:(اِش) و(اِخ) فتجده جارياً "[2] ، وقول أبي العلاء الهمذانيّ وهو من أهل التجويد: "والرخو مالم يلزم مخرجه لزوم الشديد، فيمكن مدُّ الصوت به . ألا ترى إنك إذا قلت: الهزّ والمسّ والرشّ، ونحو ذلك امتد به صوتك جارياً مع الزاي والسين والشين"[3]. وقول الجاربردي وهو من أهل العربية :"والحروف الرخوة بخلاف

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٥ .

(٢) الشنتمري (النكت على تفسير كتاب سيبويه) ٢/ ١٢٤٧.

(٣) أبو العلاء الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ٨١/ أ.

الحروف الشَّديدة فهي حروف لا يَنْحصر جَرْي صوتها عند إسكانها في مخرجها"[1].

ويلاحظ على هذه النصوص عدة أمور :

١- أن معنى الرخاوة هي قبول الصوت للجري عند مروره في المخرج بأن لا يعترضه تعويق يمنع امتداده.

٢- الأمثلة التي قُدَّمت كلّها جاءت في حال السكون.

٣- نَصَّ الجاربرديّ على حال السكون في هذه الحروف.

٤- قدَّم الشنتمري الفرق بين الشديدة والرخوة موضِّحاً ذلك من خلال الأمثلة.

سبب تلقيب هذه الحروف بالرخاوة عند القدماء

ذكر ذلك الجاربردي فقال:" والرخوة مأخوذة من الرخاوة التي هي اللين لقبوله التطويل جَرَى الصوت في مخرجه عند النطق ؛ فإنك لو وقفت على قولك: الطَّش وهو المطر الضعيف، وجدت صوت الشين جارياً تمده إن شئت"[2].

ويلاحظ على هذا النص :

- أن القدماء قد استعاروا مصطلح (الرخاوة) من المعنى المعجميّ لها للتعبير عن هذه الحروف.

- التأكيد على أن جريان الصوت متعلِّق بالمخرج.

---

(١) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ١/٣٤١ – ٣٤٢ .

(٢) المرجع نفسه ١/٣٤٢.

الحروف الرخوة

عدّدها سيبويه فقال : " وهي الهاء ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والثاء ، والذال ، والفـــاء "[1] . وقد جمعها العلماء في عبارة ليسهل حفظها ، وفي ذلك يقول أبو العلاء الهمذانيّ: " وهي ثلاثة عشر حرفاً يجمعها قولك: حِسٌّ شَخْصٍ هَزُّ فَظٍّ غَضٌّ شَذٍّ "[2] وهناك خلاف بين القدماء في الواو والياء ، وسيأتي بيانه عند الحديث عن الحروف البينيَّة.

ب- الرخاوة عن المحدثين

سيكون حديثي عنها في ثلاث نقاط :

- التعريف .
- الحروف الرخوة .
- نقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين .

تعريف الرخاوة عند المحدثين

عرَّف أحدهم هذه الحروف فقال : " أما الأصوات الرخوة فعند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباساً محكماً ، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضـــيقاً جداً ، ويترتب على ضيق المجرى أن النَّفَس في أثناء مروره بمخرج الصوت يُحدث نوعاً من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المخرج "[3] ، وقال آخر:

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٤.

(٢) أبو العلاء الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ٨١ / أ .

(٣) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٢٤ .

" تتكون الصوامت الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في مخرجه احتكاكاً مسموعاً "[1] .

ويتضح لنا من خلال التعريفين السابقين :

١- أن بعض المحدثين قد غيّر مصطلح (الرخاوة) عند القدماء ، واستبدله بمصطلح (الاحتكاكيات)[2] كما نراه عند الدكتور السعران . وهذا المصطلح ترجمة حرفيّة للمصطلح الانجليزي (**Fricatives**) .

٢- تفاوت الحروف الرخوة فيما بينها تبعاً لضيق المخرج .

الحروف الرخوة عند المحدثين

عدّدها أحدهم ، فقال : " فإذا وجد الهواء مجراه مضيَّقاً غير مسدود مرَّ في هذا المجرى محتكاً بالعضوين اللذين سبَّبا تضييقه . والأصوات التي يصحبها هذا النوع من طريقة النُّطق تسمى الأصوات الرخوة ، وذلك مثل أصوات الثاء ، والحاء، والخاء ، والذال ، والسين ، والشين ، والصاد ، والظاء ، والعين ، والغين ، والفاء "[3] . وقال آخر : " والأصوات الرخوة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هي ...: س ز ص ش ذ ث ظ ف هـ ح خ ع "[4]

ويلاحظ على النصَّين السابقين أن الأول قد أسقط الهاء من جملة الأصوات الرخوة ، لكن عبارته (مثل أصوات) تشير إلى أنَّه لم يحصرها كلُّها . وأن الآخر

---

(١) محمود السعران (علم اللغة) ص ١٧٢.

(٢) هناك من الدارسين كالدكتور سعد مصلوح من استخدم مصطلح (الانطلاقيات) دراسة السمع والكلام ص٢٠٦ ، والسعران (علم اللغة) ص ١٧٢ ، وعبدالرحمن أيوب (الكلام إنتاجه وتحليله) ص ٣٠٤ .

(٣) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١١٣.

(٤) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٢٥ .

قد نسي وضع الغين من جملتها ، ولعله سهو مطبعي. وجرى المحدثون على ترتيب الثاني مع ذكرهم صوت (الغين) بالطَّبع .

ج- نقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين

- يتفق القدماء والمحدثون في طبيعة هذه الحروف ، ويمكن التأكد من ذلك بمراجعة التعاريف التي وردت عن كلٍّ منهما .
- تعبير المحدثين باحتكاك الهواء المسموع يقابل عند القدماء جريان الصوت ، لأنه قد تقدّم عن القدماء أن حقيقة الصوت هو النَّفس المسموع[1].
- خالف المحدثون القدماء في صوت (العين)، حيث عدُّوه من الحروف الرخوة ، على حين عدّه القدماء من الحروف البينيَّة.
- خالف المحدثون القدماء في حرف (الضاد)، حيث عدُّوه من الحروف الشَّديدة، على حين عدّه القدماء من الحروف الرِّخوة.

(١) انظر الصوت ص (٢٦) .

- **قضية الضاد :**

قضية الضاد قضية قديمة دار حولها كثير من المناقشات، وأُلِّفت من أجلها مؤلفات. و لم تختلف الكتب العربية حول حرف من الحروف قدر اختلافها في الضاد، ويبدو أن أنسب ما يمكن عمله لمناقشة هذه القضية، هو بحثها تاريخياً، كما سنقوم ببحثها لغوياً وتجويدياً.

قضية الضاد عند اللغويين :

عرفنا في باب مخارج الحروف أن الضاد كما وصفها سيبويه تخرج من حافة اللسان اليمنى أو اليسرى، أو هما معاً مع ما يليها من الأضراس العليا[١]، وقد وصف سيبويه بالإضافة إلى هذه الضاد الفصيحة ضاداً أخرى، سماها الضاد الضعيفة، وجعلها من الحروف الفرعية غير المستحسنة، فقال : " الضاد الضعيفة تُتَكلَّف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلَّفتها من الجانب الأيسر، وهو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت في الضاد تكلُّف الإطباق مع إزالته عن موضعه[٢].

وقدَّم العلماء بعد سيبويه تفسيرات عدة لمعنى هذه الضاد، فقال الشنتمري: "والضاد الضعيفة من لغة قوم ليس في أصل حروفهم ضاد، فإذا احتاجوا للتكلم بها في العربية اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها ظاء، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما تكلفوا إخراجها من مخرج الضاد، فلم يتأتَّ لهم فخرجت بين الضاد والظاء[٣].

وقال الجاربردي :" والضاد الضعيفة أي التي لم تقوَ قوة الضاد المخرجة من مخرجها، و لم تضعف ضعف الظاء المُخرجة من مخرجها، فكأنها بينهما"[٤]، وعلق

---

(١) انظر حافة اللسان (الضاد واللام) ص(٥٧).

(٢) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٢.

(٣) الشنتمري (النكت في تفسير كتاب سيبويه) ٢/١٢٤٥.

(٤) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ١/٣٤٠.

ابن جماعة في حاشيته على نص الجاربردي فقال:" قال أبو علي[1] : "الضاد الضعيفة إذا قلت ضرب و لم يسمع مخرجها ولا اعتمدت عليه، ولكن يخفف ويختلس فيضعف إطباقها"[2].

فكل هذه النصوص تبيِّن نطقين للضاد الضعيفة التي وصفها سيبويه :

١- أن تلفظ ظاء.

٢- أن تخرج بين الضاد والظاء بأن لا تعتمد على مخرج، وذلك لأن مجرى الصوت غير مضيَّق عليه، ولعل هذا ما قصده سيبويه بقوله:"لأنك جمعت في الضاد تكلُّف الإطباق مع إزالته عن موضعه".

وذكر سيبويه أيضاً حالة للضاد تبدل فيها لاماً في بعض لغات العرب خشية أن يلتقي حرفان مطبقان كالضاد والطاء. وهذا ليس بمطَّرد؛ يفعله بعض العرب فقط لأجل التخفيف. قال في (باب ما كان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد):"ومثل ذلك قول بعض العرب الطجع في اضطجع، أبدل اللام مكان الضاد كراهية التقاء المطبقين، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف"[3].

ويدل هذا النص على أن اللام تشبه الضاد من ناحيتين :

١- الاشتراك في المخرج، وهو حافة اللسان. وفي ذلك يقول الرماني:"ولحافة اللسان مخرجان، فمن أقصى حافة اللسان، وما يليها من الأضراس الضاد، ومن أدناها إلى أطراف الثنايا مخرج اللام"[4].

---

(١) لعله أبو علي الفارسي.

(٢) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ١/٣٤٠.

(٣) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٨٣.

(٤) الرماني (شرح كتاب سيبويه) ١٩١/أ.

٢- صفة الانحراف حيث يجد الصوت منفذاً من جانبي اللسان عند النطق باللام، كما أن الضاد تجد المنفذ بين الأضراس[١]، فتخرج جانبية أيضاً. لكنه لم يعد الضاد من الحروف البينية التي هي شديدة في الأصل كما عدَّ اللام، لأنها وجدت المنفذ من نفس مخرجها، فعُدَّت من الحروف الرِّخوة، أما اللام فوجدت المنفذ من غير موضع انحباسها، فعُدَّت من البينية.

وهذه النصوص التي وردت لنا عن سيبويه توضِّح لنا أنه مع وجود الضاد الفصيحة، فهناك مستويات أخرى أقل منها فصاحة تسير إلى جَنبها، ويبدو أن الضاد الفصيحة كانت عسيرة النطق على غير العرب[٢]، وكان تحقيقها من الصعوبة بمكان، فلذلك بدأ ينالها اللحن على الألسنة، فاهتم العلماء لذلك، و بدأوا يؤلفون فيها المؤلفات[٣].

وليس من طبيعة بحثي هذا أن يلاحق التغيرات الحاصلة على ألسنة الناس تاريخياً، لأن هذا سيستغرق صفحاتٍ القارئ في غنىً عنها، وهي مبثوثة في كتب اللغة التي أُلِّفت من أجل هذه القضية، وحسبي أن أذكر أن الضاد التي وصفها سيبويه اختفت من النطق الحديث سواء بالفصحى أو العامية، وهذا مشاهد ملموس، ولا يحتاج إلى تدليل، ويبدو أن هذا التغيُّر قد حصل من القديم[٤]، وذلك لصعوبة نطق هذه الضاد على من لم يتدرَّب عليها.

والذي يعنيني هنا هو ملاحقة نطق الضاد على ألسنة القراء، والذين يُعدّ نطقهم الأنموذج المثالي لأصوات اللغة.

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/١٧٤.

(٢) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٤٩.

(٣) انظر في ذلك ما كتبه الدكتور رمضان عبد التواب في مقدمة تحقيقه لكتاب (زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء) لأبي البركات ابن الأنباري ص٢٣ عن أشهر من ألَّف في موضوع الضاد والظاء.

(٤) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٦٠.

الضاد عند علماء التجويد :

غاية علم التجويد تصحيح النطق بكتاب الله، ومن هذا المنطلق رَصَد القراء للأخطاء التي تقع للناس أثناء تلاوتهم للقرآن الكريم، ويبدو أن صعوبة نطق الضاد جعلت الناس يتفاوتون في نطقها، فأفرد لها أهل التجويد أيضاً مصنفات خاصة نظماً وتأليفاً[١]، نبَّهوا فيها على اللحن الذي يجدونه عند الناس، وعند بعض القراء.

وقدَّم القراء في مصنفاتهم أشكالاً عدة لكيفية نطق الناس بالضاد، فقال ابن الجزري: "واعلم أن هذا الحرف ليس من الحروف حرف يَعْسُر على اللسان غيره، والناس يتفاضلون في النطق به، فمنهم من يجعله ظاءً مطلقاً، لأنه يشارك الظاء في صفاتها كلها، ويزيد عليها بالاستطالة، فلولا الاستطالة، واختلاف المخرجين لكانت ظاءً، وهم أكثر الشاميين، وبعض أهل الشرق"[٢].

وقال:" ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها، بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا يقدرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين، وبعض أهل المغرب. ومنهم من يخرجها لاماً مفخَّمة، وهم الزَّيالع ومن ضاهاهم"[٣].

ويقول ابن غازي : " اختلفت ألسنة الناس في النطق بها، فمنهم من يخرجها من غير مخرجها، فيبدلها طاء، ومنهم من يبدلها لاما مفخمة، ومنهم من يخرجها ظاء مطلقاً، لأنها تشاركها في الصفات وتزيد عليها بالاستطالة، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء، ولهذا حذر الناظم[٤] من إخراجها ظاء فقط، فإنه الغالب، ولهذا لو أبدل ضاداً بظاء في الفاتحة لم تصح قراءته لتلك الكلمة. ومنهم

---

(١) انظر في ذلك مقالة للشيخ علي محمد الضباع في مجلة الإسلام عدد٣٢/٣٤ ، سنة ١٣٥٧هـ، وفيها يتحدث عن أشهر كتب القراءات والتجويد التي ناقشت هذه القضية.

(٢) ابن الجزري (التمهيد في علم التجويد) ص ١٣٠.

(٣) المرجع السابق ص ١٣١.

(٤) أي ابن الجزري لأنه يشرح مقدمته.

من يمزجه بالدال، ومنهم من يشمه الزاي، ومنهم من يشوبها بالظـــاء المعجمـــة، وادَّعى أن هذا هو مخرجها، وأنه صواب. وهو خطأ منه محض لا يجوز أن يؤخـــذ به، وقد غفل عن مخرجها، والاستطالة التي فيها. وقد شاهدنا من يخرجهـــا نونـــاً مفخمة. وكان هذا لم يكن موجوداً في زمن الناظم، وكل ذلك لا يجوز"[1].

يتضح لنا من النصوص السابقة عدة أمور:

١- صعوبة النطق بالضاد على الألسنة غير المدرَّبة.

٢- الأشكال المختلفة للضاد التي كان يقرأ بها في عهد ابن الجزري وابن غازي هي: ظاء-طاء- لام مفخمة – ضاد دالية- ضاد مُشَمَّة صوت الزاي- ضاد ظائية – نون مفخمة.

٣- كل قارئ ينبِّه على أخطاء عصره، ويؤكد هذا قول ابن غازي (وكان هذا لم يكن موجوداً في زمن الناظم).

٤- تدل هذه النصوص على حرص القراء الشديد على بقاء المستوى الفصـــيح الذي تلقَّوه بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كانت صعوبة النطق بالضاد على بعض الألسنة، وكثرة اللحن فيها قد حثَّت علماء التجويد أن ينبهوا عليها في أكثر كتبهم، وهذه بعض نصوصهم تدل علـــى ذلك مرتبة ترتيباً تاريخياً :

قال مكي :" ولا بد له من التحفُّظ بلفظ الضاد حيث وقعت، فهـــو أمـــر يقصِّر فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة، لصعوبته على من لم يدْرَب فيـــه"[2]. أي اعتاده دَرَباً ودَربة.

وقال:"والضَّاد أصعب الحروف تكلفاً في المخرج وأشدُّها صـــعوبة علـــى اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغـــير لفظهـــا، وأخـــلَّ

---

(١) ابن غازي (الدرر المنظمة البهية في حل ألفاظ الجزرية) ١٣٠/أ.

(٢) مكي (الرعاية) ص ١٨٤.

بقراءته. ومن تكلَّف ذلك، وتمادى عليه، صار له التجويد بلفظها عادة وطبعاً وسجية"[1].

وقال أبو عمرو الداني : "وهو حرف مستطيل، مجهور،مطبق، مستعل، فينبغي للقراء أن يخلِّصوا لفظه، وينعموا بيانه"[2].

وقال منبهاً على تخليص الضاد من لفظه الظاء:"من آكد ما على القراء أن يخلصوه من حرف الظاء بإخراجه من موضعه وإيفائه حقَّه من الاستطالة، ولاسيما فيما يفترق معناه من الكلام. فينبغي أن يُنْعَم بيانه ليتميز بذلك في نحو﴿ ولا الضَّالين﴾ [الفاتحة:٧]و﴿ الظَّانين﴾ [الفتح:٦]و﴿ضلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾ [الإسراء:٦٧]و﴿ ظَلَّ وجهُهُ﴾ [النحل:٥٨]و﴿وغِيضَ الماء ﴾ [هود:٤٤]و﴿وما تَغيضُ الأرحام﴾ [الرعد:٨]و ﴿ والكاظِمينَ الغَيْظ﴾ [آل عمران:١٣٤] و﴿ كَيْدُهُ ما يَغيظ﴾ [الحج:١٥]و﴿ أضْلَلْنَ كثيراً﴾ [إبراهيم:٣٦]و﴿ فَيَظْلَلْنَ رَواكدَ على ظَهْره﴾ [الشورى:٣٣]و﴿ ولا يَحُضُّ على طَعامِ المِسْكين﴾ [الحاقة:٣٤]و﴿ مِثْلُ حظِّ الأُنثَيَيْنْ﴾ [النساء:١١]و﴿ طَلْعُها هضيم﴾ [الشعراء:١٤٨]و﴿ فَهُوَ كَظيم﴾ [يوسف:٨٤] و﴿ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضر﴾ [القمر:٢٨] و﴿ كَهشيمِ المُحْتَظِر﴾ [القمر:٣١]و﴿نَاضِرة إلى رَبِّها نَاظِرة﴾ [القيامة:٢٣] وما أشبهه.

ألا ترى أنه متى لم يُستعمل ذلك اشتبه لفظ الجميع، وتغير المعنى، وفسد المراد[3].

وقال الإمام السَّخاوي مبيِّناً صعوبة الضاد على من لم يَدْرب فيها :

---

(١) مكي (الرعاية) ص ١٨٥.

(٢) أبو عمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص ١٦٣.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٤- ١٦٥.

والضادُ عالٍ[1] مستطيلٌ مطـــبقٌ جـــهرٌ يكلُّ لـــديه كلُّ لسان
حاشا لسانٍ بالفصاحة قيِّـــم ذَرِبٍ لأحكام الحروف مُعاني
كم رامَه قومٌ فما أبدَوْا سِوَى لامٍ مفـــخـــمةٍ بِلا تِبْيـــان"[2]

وقال الصفاقسيّ : "فمن لم يعتني ببيانها، فإما أن يبدلها أو يدغمها وهـــو لا يشعر، فيجب على القارئ أن يُرَوِّض لسانه على النطق بها على وجه الصـــواب، حتى يصير له سجيَّة لا يحتاج إلى كلفة، ويراعي وقت النطق بها جميع صفاتها.

ومن لم يتكلف ذلك حتى يصير له طبعاً أتى بها على غير وجهها، ودخـــل الخلل في قراءته. والله الموفق "[3].

يتضح لنا من النصوص السابقة أمور عدة :

١- التقصير في نطق الضاد على ألسنة بعض القراء واقع منذ زمن مكي ابن أبي طالب.

٢- كلام أهل التجويد عن تقصير بعض القراء لا يمنع وجود مستوى آخر من قراء القرآن يحقِّق الضاد الفصيحة.

٣- الضاد الفصيحة صعبةٌ تحتاج إلى كثرة تدريب عليها، وترويض اللسان بها.

ومن الطُّرف التي يذكرها أهل التجويد عن الضاد والظاء ما حدَّث به أبـــو العلاء الهمذاني عن المدائني قال:" قرأ إمام بقوم سورة الحمد، فقرأ ولا الظَّـــالين)

---

(١) من حروف الاستعلاء.

(٢) السخاوي (قصيدتان في تجويد القرآن) ص ٦٣-٦٤.

(٣) الصفاقسي (تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين) ص٨٨.

بالظاء، فرفسه رجل من خلفه، فقال الإمام: أوّه ضهري. فقال له الرجل: يا كذا وكذا، خذ الضاد من ضهرك، واجعلها في الظَّالين، وأنت في عافية"[1].

الدعوات التي نادت بتغير الضاد :

كان الاتجاه الغالب إذاً عبر القرون هو الضاد الفصيحة، مع وجود التقصير من بعض القراء، لكن ظهر في القرون المتأخرة، وبالتحديد في أواخر القرن العاشر اتجاه آخر يزعم أن الضاد قد حُرِّفت على كل مستوى حتى في قراءة قراء القرآن الكريم، وأن الضاد الفصيحة التي وصفها سيبويه قد اختفت وتلاشت تماماً، وأنها أقرب ما تكون إلى الظاء.

وكان أول من بدأ هذا الدعوة علي بن محمد المعروف بابن غانم المقدسي حيث ألَّف رسالة سماها (بغية المرتاد لتصحيح النطق بالضاد)، أورد فيها بعض الأدلة، التي استشهد فيها أن الضاد الفصيحة التي وصفت قد تغيَّر نطقها، وآلت في عصره إلى ضاد ممزوجة بالدال المفخمة، والطاء المهملة. قال في مقدمة رسالته مبيناً ذلك: "وقبل الخوض في المرام لا بد من تقرير الكلام وتحرير المقام، فليُعلم أن أصل هذه المسألة أنهم ينطقون بالضاد ممزوجة بالدال المفخمة والطاء المهملة، وينكرون على من ينطقون بها قريبة من الظاء المعجمة بحيث يتوهم بعضهم أنها هي،وليس كما توهمه"[2].

ولما أخذ الشيخ علي بن غانم المقدسي ينشر رسالته " قام في وجهه العلامة الشيخ شحاذة اليمني ، وناقشه بحضور قراء وقته، فاعتذر بأنه لا يقول بامتزاج

---

(١) أبو العلاء الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ٧٦/ب.

(٢) غانم قدوري حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص ٢٧١.

الحرفين، وإنما يقول باختلاس الضاد ليضعف إطباقها، وتخفَّ قوتها،ثم تاب ورجع، وكان شيخاً للإقراء بمدرسة (صرغتمش) بمصر"[1].

وهكذا انطفأت هذه الدعوة حوالي مائة سنة، حتى أذكاها من جديد محمد المرعشي المعروف بساجقلي زاده – عبقري الأصوات من المتأخرين من أهل التجويد– ونادى بأن الضاد التي يقرؤها القراء في عصره هي ضاد شديدة كالطاء ، وأن الأصل فيها أن تكون شبيهة بالظاء[2].

"قال في هداية الطلاب: ابتدع علي المقدسي بدعة ضل بها، فأراد إضلال الغير، فما سمعوا قوله وما ضلوا ... إلا قليل ممن اتبع هواه، ثم ظهر ساجقلي زاده، وكان أشهر منه في العقليات، وكان ممن يُرحل إليه للاستئذان في العلوم العقليات ، فأُعجب بنفسه! ، فألف رسالة... فاقتدى أثر ذلك المبتدع ، فضلَّ وأضلَّ كثيراً من تلاميذه "[3] .

وافتتن الناس بدعوة المرعشيّ، وذلك لقوة حججه العقلية حتى إنه غيَّر شيخه عما تلقَّاه عن مشايخه. يقول الإزميري: " وإن قيل: إن لهذه الطائفة سنداً. أقول: لا نسلِّم وجود السند المنتهي إلى نبينا صلى الله عليه وسلم، بل سندُهم ينتهي إلى ساجقلي زاده ؛ فينقطع كما اعترفه كثير من الظائيين حيث قالوا : إن ساجقلي زاده طَالَع كتب التجويد، فأحدث تلك الدعوى، وكذلك سمعت من العلماء... ومن جملتهم المرحوم الشيخ أحمد أفندي المرعشلي الشهير بباشا يكاني. قال المرحوم متحيراً:"إن حروف القرآن لا بد أن تكون متواترة ، وضاد المرعشيين مخالف للتواتر.فقلت: كيف هذا؟ قال المرحوم:" قد كنت متحيراً في هذا الأمر، فسألت حسن أفندي المرعشي القلعوي– هو شيخ ساجقلي زاده وسائر أهالي

---

(١) أشرف طلعت (إعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء) ص٢١.

(٢) انظر رسالة المرعشي في الضاد ص ٢٦.

(٣) أشرف طلعت (إعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء) ص ٢٤.

مرعش- عن هذه الضاد، وقلت: هل أخذت عن مشايخك هذه الضاد الشبيهة بالظاء في السمع؟ قال: لا، ولكن حوَّلني ساجقلي زاده بأن قال: يقتضي ماكتبوا أن تكون شبيهة بالظاء في السمع، فعلِّم الناس كذا، فعلَّمت ونشرت "[1].

و لم يقف علماء القراءة من هذه الدعوة موقف المتفرِّج، بل أُلِّفت في الرد عليها رسائل عدة منها :

- ردُّ الإلحاد في النطق بالضاد للعلامة علي المنصوري.
- الاقتصاد في النطق بالضاد للشيخ عبد الغني النابلسي(أستاذ المرعشيّ)[2].
- رسالتان للشيخ المدعو بالحاج/محمود، وهما هداية الطلاب في النطق بالضاد على سبيل الصواب ، ورسالة ضاد.
- رسالة الإمام الشيخ محمد الإزميري.
- رسالة الضاد وأحكامها للحافظ إسماعيل محمد القونوي .
- رسالة للشيخ يوسف أفندي زاده.
- رسالة لأحد تلاميذ الشيخ يوسف أفندي زاده[3].

وعلى الرغم من كثرة هذه الرسائل، يبدو أن دعوة المرعشي كان لها عمل السِّحر، فبدأت تنتشر في بلاد تركيا بعد وفاته. فخشي العلماء من استفحالها، فأرسلوا واحداً من العلماء هو الشيخ محمد رضا الدمشقي: " أما بعد فإني حسَب المأمورية ؛ وُجِدت في البلاد المرعشية ، ورأيتها كثيرة الحفاظ خالية من القراء المتقنين"[4] ، ثم قال بعد أن ذكر دعاوى المرعشي في هذه المسألة: " وإني حرَّرت رسائل تتضمَّن ما تقدم إلى سيدي العلامة الجليل شيخ الجامع الأزهر الأستاذ الهمام

---

(١) رسالة في الضاد رداً على ساجقلي زادة ص ١٧-١٨.

(٢) انظر مقدمة كتاب(ترتيب العلوم) للمرعشي تحقيق الأستاذ محمد بن إسماعيل ص ٥٢.

(٣) أشرف طلعت: (إعلام السادة النجباء) ص٢٧.

(٤) رسالة الإزميري في الضاد رداً على ساجقلي زادة ص٣١.

الشيخ عبد الرحمن الشربيني ، وإلى حضرة السيد السند الجليل العلامة المفضال مفتي مكة المكرمة، وإلى أُولي الفضل في المدينة المنورة. فالمرجو أن يعتنوا بهذا الأمر المهم، ويرشدونا إلى الحق الحقيق بالبحث الدقيق المشتمل على التحقيق والتـــدقيق والله حسبنا إنه ولي التوفيق"[1].

و لم تنطفئ دعوة المرعشي إلا قليلاً حتى بدأت تظهر دعوات جديدة أخرى، تحدث الشيخ علي الضباع شيخ المقارئ المصرية عنها، فقال: "وفي أواخر شـــعبان سنة ١٢٨١هـــ خرج جماعة من أهل العلم بالأزهر، وأخذوا يخطِّئـــون جماعـــة المسلمين من أهل مصر في النطق بالضاد زاعمين أنه لا فرق بينها وبـــين الظـــاء، وشككوا العبادة على الناس، فاستفتي عن ذلك مولى الأنام (الشيخ محمد علـــيش) شيخ السادة المالكية، فأتى بأدلة شافية تحسم ألسنة أمثال هذه الفرقة الباغية، وأفتى بضربهم وحبسهم حتى يتوبوا ، فاستحضرهم العلامة الشيخ خليفة الفَشْني، وكان وقتئذ شيخاً للقراء والمقارئ وأحد وكلاء شيخ الجامع الأزهر، واستتابهم فتـــابوا ورجعوا إلى الصواب. وفي أواخر سنة ١٢٩٣هـــ قام المدعو محمد علي الأسيوطي بمثل ذلك، فرفع أمره العلامة شمس الدين المُتَوَلِّي إلى الأستاذ الأكبر الشيخ محمـــد المهدي العباسي، فاستحضره واستتابه، فلم يتب، فحكم بنفيه ورفـــع أمـــره إلى الحاكم.

وفي سنة ١٣١٧هـــ دعا المرحوم الشيخ محمد بيومي المنياوي إلى مثل ذلك، فقام في وجهه القراء، ورفعوا أمره إلى الأستاذ الأكبر الشيخ حسونة النواوي رحمه الله تعالى، فاستحضره وعقد مجلساً لذلك كان من نتيجته رجوعه إلى مـــا عليـــه الجماعة"[2].

---

(١) رسالة في الضاد رداً على ساجقلي زادة ص ٣٩.

(٢) مقالة في مجلة الإسلام عدد٣٤/٣٣ سنة ١٣٥٧هـــ ومن أراد أن يتوسع في موضوع الدعوات التي نادت بتغير الضاد، فليرجع إلى كتاب (إعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء) د. أشرف طلعت.

ثم أخذت هذه الدعوات بعد ذلك الطابع العصري الحديث على أيدي المستشرقين والمحدثين من العرب الذين سنناقش آراءهم في فقرة قادمة إن شاء الله.

والملاحظ على ما سبق عدة أمور :

١- شدة عناية الأمة بالرد على كل دعوى تخالف التواتر، وهذا من أسباب الحفظ.

٢- أن اللحن في الضاد بدأ يدبُّ إلى الألسنة بكثرة مع وجود المستوى الفصيح كما نفهم من قول ابن غانم المقدسي ، والمرعشي.

٣- أن كلَّ هذه الدعوات تنادي أن الضاد الفصيحة التي وُصفت في القديم شبيهة بالظاء في السمع.

٤- أن الضاد الفصيحة ما زالت موجودة بين القراء، بالإضافة إلى أشكالها الأخرى.

قضية الضاد عند المحدثين :

تكلم المحدثون عن الضاد التي يسمعونها اليوم ، ووصفوها بأنها ضاد شديدة، قال أحدهم : "وهذا صوت أسناني، لثوي، شديد ، مجهور، مفخم، **كما ينطق به قراء القرآن في مصر في وقتنا الحاضر**.وهو بهذا القيد ينطق بوضع طرف اللسان. بحيث يلتصق بالأسنان العليا، ومقدمه بحيث يتصل بأصول الثنايا التي تسمى اللثة، ثم إلصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلق، ليسد المجرى الأنفي، ويتم كل ذلك مع وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية. وإذ تنطق الضاد يرتفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق، وتلك ظاهرة عضلية تسمى الإطباق، ينتج عنها تغير شكل حجرة الرنين تغيراً يؤدي إلى خلق أثر صوتي معين يسمى التفخيم."[1]

---

(١) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١٢٠.

الملاحظ على نص السابق أنه عمم حكمه، فجعله شاملاً لكل قراء مصر في جعلهم الضاد شديدة تخرج من مخرج الدال، وهذا ما تنقضه تماماً التسجيلات التي سجِّلت لبعض قراء مصر المتقنين، وكذلك التجارب المعملية القائمة على نطق القراء.

وأورد بعضهم أقوال المستشرقين في الضاد الفصيحة فقال:" يقول المستشرق (شاده) عن سيبويه أنه عدَّ من الرخوة حرفاً خرج منها بعده، في كثير من اللهجات العربية وهو الضاد، فإنها ليست الآن من الرخاوة، إلا في لفظ من قال: ضرب مثلاً، بضاد جانبية للمخرج، وأما في النطق المعتاد في مصر، يعني بضاد مقدمة المخرج، فقد لحقت فيه الشديدة.

ويقول المستشرق(برجستراسر): أما الضاد فهي الآن شديدة عند أكثر أهل المدن، وهي رخوة عند القدماء كما هي الآن عند أكثر البدو، ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق، لأن مخرج الضاد (عند القدماء) من حافة اللسان .

ومن القدماء من يقول : من جانبه الأيسر. ومنهم من يقول: من الأيمن، ومنهم من يقول : من كليهما، فمخرجهما قريب من مخرج اللام من بعض الوجوه. والفرق بينهما هو أن الضاد من الحروف المطبقة كالصاد، وأنها من ذوات الدويّ(الاحتكاك) واللام غير مطبقة، صوتية محضة، فالضاد العتيقة حرف غريب جداً، غير موجود – حسبما أعرف – في لغة من اللغات إلا العربية، ولذلك كانوا يكنُّون عن العرب بالناطقين بالضاد. ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد، لا يوجد الآن عند أحد من العرب. غير أن للضاد نطقاً قريباً منه جداً عند أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة... ويرى (كانتينو) أن النطق القديم كان (ظْ لْ) أي ظاء ذات زائدة انحرافية ، أي بتقريب طرف اللسان من الثنايا كما في النطق بالظاء، وبأن يجري النَّفَس لا من طرف اللسان فقط بل من جانبيه أيضاً.

كما يقول المستشرق هنري فليش:" ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد، وهو عبارة عن صوت مفخم ، يحتمل أنه كان ظاء جانبية أي أنه كان يجمع الظاء واللام في ظاهرة واحدة، وقد اختفى هذا الصوت،فلم يعد يسمع في العالم العربي، وأصبح بصفة عامة إما صوتاً انفجارياً، هو مطبق الدال، وإما صوتاً أسنانياً هو الظاء"[1].

وكلام المستشرقين كله صحيح إذا أدرناه على اللغة الفصحى الدراجة اليوم، أو لهجات الخطاب ، أما على القراءة القرآنية فغير وارد.

وقد اعتمد الدكتور كمال بشر على نصٍّ مصحَّف حينما قدم احتمالاً أن يكون العرب قد (وصفوا الضاد المولدة وليس الفصيحة). وردَّ قوله الدكتور رمضان عبد التواب، فقال:" وأما ما ذهب إليه الدكتور كمال بشر، من احتمال أن يكون القدماء قد وصفوا الضاد المولَّدة، لا الضاد العربية الأصلية، وترجيحه هذا الاحتمال بقوله : (ربما لكثرة استعمال هذا الصوت المولَّد، وشيوعه على الألسنة عند قيام حركة التأليف اللغوي)، فقد بنى مذهبه هذا على نصٍّ مصحَّف، في ترجمة المرحوم النجار لكتاب (العربية) للمستشرق (يوهان فك)، وهو: (كما يتعلق بهذا أيضاً تغيير حرف الضاد. وهذا الصوت الذي هو في أصله، الحرف المطبق القسيم للدال، خاص بالعربية).

هذا النص بهذه الصورة، يفهم منه أن الضاد في الأصل ، هي النظير المفخم للدال، أي أنها حينئذ كما يقول الدكتور بشر (كانت تشبه ضادنا الحالية، أو هي هي)، غير أن ترجمة النجار بها تصحيف في هذا الموضع للأسف ، وصوابه كما في الأصل الألماني: (الحرف المطبق القسيم للذال). وقد حدث مثل هذا التصحيف مرة

---

(١) رمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ٦٤.

أخرى في تلك الترجمة : (كالدال المفخمة) وصوابه كما في الأصل الألماني : (كالذال المفخمة)"[1].

وقد استدل بعضهم بقراءة ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ [التكوير:٢٤] مرةً بالضاد ومرةً بالظاء على أن قلَّة من العرب كانوا ينطقون الضاد ظاء، واستشهد بكلام الطبري على ذلك. قال:" وإذا أخذنا برأي ابن قتيبة وغيره من الربط بين كثير من القراءات القرآنية ولهجات العرب القدماء نجد أن القراءة المروية في قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ قرئ أيضاً (بظنين)، يمكن تفسيرها على أساس أن قلة من العرب كانوا ينطقون الضاد ظاء . ونشعر من كلام ابن جرير الطبري في تفسيره أنه يميل إلى هذا فهو يقول بعد ذكر هذه القراءة ما نصه:"وأَوْلى القراءتين في ذلك عندي بالصواب ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة ، وإن اختلفت قراءتهم به، وذلك (بضنين) بالضاد، لأن ذلك كله في خطوطها، فإن كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأوله: (وما محمد على ما علَّمه الله من وحيه وتتريله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس) فالمصاحف كلها تتفق في رسم الكلمة بالضاد، وفي رأي الطبري ترجيح معنى واحد للآية حتى مع القراءتين"[2].

هنا يستوقفنا المتحدث بالنص السابق أنّ ما شَعَره من كلام الطبري أنه يميل إلى أن قلة من العرب كانوا يقرؤون الضاد ظاء مع اتحاد المعنيين، وقد رجعت إلى كلام الطبري فلم أشعر بهذا الشعور، بل إن الطبري ذكر القراءتين، وذكر معنى القراءة بالضاد ومعنى القراءة بالظاء ثم رجَّح إحدى القراءتين الموافقة لرسم

(١) رمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ص ٦٧-٦٨.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٥٥-٥٦.

مصاحف المسلمين وهي بالضاد – والقراءتان متواترتان إلى زمننا هذا[1] – قال الإمام الطبري: " اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (بضنين) بالضاد، **بمعنى أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علمه الله، وأنزل إليه من كتابه**. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين(بظنين) بالظاء، **بمعنى أنه غير مُتَّهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء**"[2].

فهل اتحد المعنيان مع اختلاف القراءتين؟

إن ما نلمحه من كلام الطبري أن المعنيين مختلفان فهو كمثل (عصى وعسى) و(محذوراً ومحظوراً).

وقد بين أبو محمد البطَلْيوسي الفرق بين الظَّنين والضَّنين والذَّنين فقال: "الظنين – بالظاء- : المتهم في صدقه، أو في دينه، أو في نسَبه أو نحو ذلك من أموره.

والضنين – بالضاد – : البخيل.

والذنين – بالذال – : ما سال من الأنف...

وقياس هذا الباب: أن ما كان معناه راجعاً إلى التهمة، أو الشك، أو العلم فهو بالظاء. وما كان معناه راجعاً إلى البخل والشح فهو بالضاد. وما كان معناه راجعاً إلى السيلان فهو بالذال".

فاستشهاده بالطبري لا يدل على شيء.

وافترض المحدثون للنطق القديم عدة أشكال:

---

(١) قرأ بالظاء ابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، ورُويس راوي الإمام يعقوب البصري، والكسائي. وقرأ بالضاد نافع المدني، وابن عامر الشامي، وحمزة وعاصم الكوفيان، وأبو جعفر، ورَوْح الراوي الثاني للإمام يعقوب، وخلف العاشر. انظر: (البدور الزاهرة) للشيخ عبد الفتاح القاضي ص٣٣٨.

(٢) أبي جعفر الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) دار الفكر ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م – ٨١/١٥ .

١- نطق قريب من الدال المفخمة ذو زائدة لامية، أو نطق قريب من الزاي المفخمة ذو زائدة انحرافية (كانتينو)[١].

٢- كاللام المطبقة (برجستراسر)[٢].

٣- أوله ضاد آخره ظاء (إبراهيم أنيس)[٣].

مناقشة الضاد وسبب صعوبته :

بعد بحث هذه القضية تاريخياً، لنا أن نتساءل ما وجه صعوبة الضاد؟ ولماذا نسمعها من بعض القراء غير المتقنين دالاً شديدة مفخمة؟

إن سبب الصعوبة يرجع إلى صفة الرخاوة التي فيها، والتي سبَّبها استطالة الضاد، ومما يؤيد كلامي هذا قول الشيخ علي المنصوري :" أما الضاد الصحيحة القوية، فإنها صعبة على الطائفة الرومية كما شاهدناه في بلدة بلغراد وما والاها من البلاد. فإنه يتعسر عليهم النطق بالضاد، فتجرَّد عن الرخاوة. وهذا يجب الاحتراز عنه في التلاوة. **بل يجب النطق بها خفيفة رخوة بحيث تقبل التلليين عند التسكين.وهذا هو وجه صعوبة الضاد عند النقاد**"[٤].

فما معنى استطالة الضاد؟

هناك رأيان في معنى الاستطالة:

١- الاستطالة هي اتصال اللسان من موضع الضاد إلى موضع الإطباق أي **باتجاه خلفيّ**.

---

(١) أحمد مختار عمر(دراسة الصوت اللغوي) ص ٣٤٩.

(٢) براجستراسر(التطور النحوي للغة العربية) ص١٩.

(٣) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٤٩.

(٤) الشيخ علي المنصوري (رسالتان في حرف الضاد) م/٢٣و.

وفي ذلك يقول أبو العلاء الهمذاني: "والمستطيل الضاد سمى بذلك لاتصاله من موضعه بالإطباق"[1].

وذكر أحدهم هذا المعنى ، فقال: "وهي نتيجة طبيعية لامتداد اللسان من الأسنان إلى ما يداني الجدار الخلفي للحلق، ويسمى التحليق...وهو يوجد في الضاد المصرية الحديثة، وفي كل الأصوات الطبقية، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء"[2]

٢- استطالة مخرج الضاد حتى يتصل بمخرج اللام أي **باتجاه أمامي**.

وهذا الذي تذكره أغلب كتب اللغة والتجويد، وقد شرح مكي بن أبي طالب استطالة الضاد،فقال:" الحرف المستطيل، وهو (الضاد) سمِّيت بذلك، لأنها استطالت على الفم عند النطق بها،حتى اتصلت بمخرج اللام، وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر، والإطباق،والاستعلاء، فقويت بذلك، واستطالت في الخروج من مخرجها حتى اتصلت باللام لقرب مخرج اللام من مخرجها"[3].

فمعنى الاستطالة أن تمتد حافة اللسان اليمنى أو اليسرى أو معهما معاً ضاغطة على الأضراس العليا حتى تتصل بالضاحك، وهو أول مخرج اللام، وينشأ عن احتكاك الحافة بالأضراس تلك الرخاوة التي في الضاد، فتستطيل الضاد حتى تتصل بمخرج اللام، ويصير مخرجها عندئذ مخرج اللام، لكن حافة اللسان لا تتصل باللثة كما هو في مخرج اللام، بل تتصل بأصول الثنايا العليا، غير أن اتصالها ليس كما في الطاء والدال والتاء التي تخرج من التقاء طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وذلك لأن الضاد من حافة اللسان؛ إذ هي جانبية. وهي مع كل هذه التحركات السابقة تحافظ على إطباقها.

---

(١) أبو العلاء الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ٨١ /ب.

(٢) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١٢٠.

(٣) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص١٣٤.

انظر إلى سيبويه وقد شرح ذلك ببلاغة تجِلُّ عن الوصف:" وقد تدغم الطاء والتاء والدال في الضاد ،لأنها اتصلت بمُخرج اللام، وتَطَأْطَأَت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان، و لم تقع من الثَّنِيَّة موضع الطاء لانحرافها، لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين، وهي مع ذا مطبقة"[1].

وأُضيف هنا أن منظار الحنجرة قد أظهر أن الغلصمة ترتدُّ في حركة ظاهرة إلى الخلف عند الاستطالة أي معنى ذلك أن اللسان يتحرك حركة أمامية، والغلصمة تتحرك حركة خلفية عند استطالة الضاد.ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى تأثر الغلصمة بتحركات اللسان لاتصالها به.

وقد فرَّق العلماء بين المستطيل (الضاد)، والممدود (حروف المد)، والمتفشي (الشين)، فالضاد استطال بمخرجه، والشين وحروف المد انتشرا بصوتيهما، لكن مع ملاحظة انضغاط وسط اللسان على وسط الحنك في الشين، وحرية مرور الهواء في حروف المد.

وفي ذلك نقل الشيخ محمد مكي نصر عن الجعبري في الفرق بين المستطيل والممدود، "بأن المستطيل جرى في مخرجه، والممدود جرى في نفْسه بسكون الفاء بمعنى الذات، وتوضيح هذا الفرق أن للمستطيل مخرجاً له طول في جهة جريان الصوت، فجرى في مخرجه بقدر طوله، و لم يتجاوزه؛ لِما عرفت أن الحرف لا يتجاوز مخرجه المحقق، وليس للمدود مخرج، فلم يجر إلا في ذاته، إذ المخرج المقدَّر ليس بمخرج حقيقة، فلا ينقطع إلا بانقطاع الهواء"[2]، ونقل الشيخ علي المنصوري عنه أيضاً في الفرق بين الضاد والشين قوله: "والتحقيق أن الضاد انتشر بمخرجه، وذاك أي الشين بصوته. انتهى"[3]، ولذلك جعل سيبويه إدغام حروف طرف

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٦٥.

(٢) محمد مكي نصر (نهاية القول المفيد في علم التجويد) ص٥٨.

(٣) الشيخ علي المنصوري (رسالتان في حرف الضاد) م/١٥.

اللسان في الضاد أقوى منها في الشين.قال: "وتدغم الطاء والدال والتاء في الشين؛ لاستطالتها حين اتصلت بمخرجها، وذلك قولك: اِضْبِشَّبَثاً، وانْعَشَّبَثاً، وانْقُشَّبَثاً[1].

والإدغام في الضاد أقوى، لأنها قد خالطت باستطالتها الثنية، وهي مع ذا مطبقة، و لم تجاف عن الموضع الذي قربت فيه من الطاء تجافيها"[2]، فعند سيبويه الضاد والشين يستطيلان، لكن الضاد يستطيل بصوته ومخرجه، والشين يستطيل بصوته فقط.

وقد شرح الاستراباذي نص سيبويه السابق فقال:"وإدغام هذه الحروف[3] في الضاد أقوى من إدغامها في الشين، لأن الضاد قريب من الثنية باستطالتها، وهذه الحروف من الثنايا، بخلاف الشين، وأيضاً الضاد مطبقة،والإطباق فضيلة تُقصد أكثر مما يقصد التفشي، وأيضاً لم تتجاف الضاد عن الموضع الذي قربت فيه من الظاء[4] تجافي الشين، بل لزمت ذلك الموضع"[5]، فبسبب هذه الاستطالة التي تنتشر فيها الحافَة حتى يصل رأسها إلى مخرج الطاء أخرجها بعض القراء دالاً مفخمة، فنطقوا الضاد باعتبار نهاية صوتها، وليس باعتبار المبدأ، ولذلك قال الشيخ علي المنصوري: "عند انطلاق اللسان من موضع الضاد إلى الحنك الأعلى يجري الصوت في ابتداء الوضع، وعند تمام الوضع ينحصر الصوت"[6]، وذلك نظراً لأن الضاد له حيِّز معين لا يتجاوزه.

---

(١) أصلها: اضبِطْ شَبَثاً، وانْعَتْ شَبَثاً، وانقُد شَبَثاً.

(٢) سيبويه (الكتاب) ٤٦٦/٤ والضمير في (تجافيها) عائد على الشين.

(٣) وهي الطاء والدال والتاء،والظاء،والثاء، والذال، والصاد، والسين، والزاي. الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٢٨٢/٣.

(٤) لعلها الطاء، وذلك لنص سيبويه.

(٥) الجاربردي (شرح شافية ابن الحاجب) ٢٨٢/٣-٢٨٣.

(٦) الشيخ علي المنصوري (رسالتان في حرف الضاد) م/٢٠.

فإن قيل: فإن من مميزات الحروف الرخوة أنك تمدُّ فيها الصوت إن شئت، فلماذا لا تمد الضاد كباقي الأصوات الرخوة؟

قلت: تَمُدُّه بقدر ما يسمح لك بذلك، وانظر إلى الهاء هل تستطيع أن تمدَّها كالزاي والسين وغيرها من الحروف الرخوة، إلا بمقدار ما يسعفك النفَس بذلك، فبان الفرق إن شاء الله.

وهذا كله الذي تقدم عن الاستطالة يكتمل فهمه بمشافهة القراء.

فقول المحدثين عن الضاد التي فقدت رخاوتها وأصبحت شديدة قول صحيح إذا أخذنا بعض القراء غير المتقنين الذين يقرؤونها كذلك، وأما القراء المتقنون أصحاب الأسانيد، فالضاد عندهم رخوة مطابقة للوصف القديم.

ولا يخفى أن الضاد تكتمل رخاوتها في حال الإسكان أكثر من حال التحرك كما هو المعتبر في الشِّدة والرَّخاوة.

وقد استخدمت التحليل الطيفي في قياس زمن استطالة الضاد الفصيحة الرخوة وقارنتها بزمن الضاد الشديدة،فظهرت النتائج كما يلي :

زمن الضاد الشديدة = ٢٢١ ر.ث

زمن الضاد الرخوة = ٤٠٥ ر.ث

ونظراً لأن هذا الاختبار في معزلٍ عن حال السياق، وهو بصوت شخصٍ واحد؛ لذلك قمت بعملية تحليل لبعض أصوات القراء المتقنين المسلسلين إلى النبي صلى الله عليه وسلم. واخترت الضاد ساكنة في كلمات قرآنية ليظهر زمن استطالتها بوضوح. وتعمَّدت اختيار الضاد في أربع كلمات هي: ﴿الأرض﴾ (البقرة ٢٥٥) ﴿ولا الضَّالّين﴾ (الفاتحة٧)، ﴿ ذلك من فضل الله﴾ (يوسف:٣٨)، ﴿ فمن اضْطُرّ﴾ (البقرة:١٧٣). وإضافة إلى ذلك فقد سجَّلت – بفضل الله

تعالى- لبعض القراء[1] المشهورين نطقهم للضاد، وكيفية تحقق الاستطالة فيها حتى لا يُظن أنها قد تغيرت عن الوصف القديم.

ونلاحظ أن الضاد أكثر زمناً من باقي الحروف الأخرى المجاورة لها.

وما عُمِلت هذه التجارب إلا لتفتح آفاقاً أوسع، فعسى الله أن ييسر لباحث آخر إجراء تجارب أوسع من هذه، ويقوم بعمل مقارنة بين الأداء القرآني كما يقرؤه القراء المتقنون اليوم، وبين أي أداء آخر حتى يتميز الفرق تماماً مع الاستعانة بأهل الخبرة في ذلك. والله من وراء القصد.

ومع هذا الاعتذار، فإنني أدعو استئناساً إلى تأمل كلمة﴿فمن اضْطُرّ﴾؛ إذ إن غالب الناس ينطقون الضاد طاء خالصة دون تفريق لصوت الضاد عن الطاء (في لهجة من كان ينطق الضاد شديدة)، لكننا نرى من خلال الجدول أن القراء قد سجلوا لها زمناً. وهو أمر يدعو إلى التأمل والنظر. وكذلك فإن التسجيلات التي سُجِّلت للقراء المشهورين تجعلنا نستأنس لرخاوة الضاد سمعياً لا معملياً.

(١) أستاذ أستاذي الشيخ محمد سكر، وأستاذي الشيخ أيمن سويد(الدمشقيان)، الشيخ الحصري، والشيخ الشحات محمد أنور (المصريان).

ثالثاً: البينية:

أ- البينّية عند القدماء

- التعريف.
- الخلاف في حروفها .
- طبيعة الحروف البينّية .

- تعريف البينية عند القدماء

كان سيبويه هو أول من ذكر طبيعة هذه الحروف بعد تصنيفه للأصوات الشديدة والرخوة ، لكن الملاحظ في تصنيفه أنه لم يصرّح بمصطلح البينيًة إلا في صوت العين[١].

" وسار علماء العربية على نهج سيبويه في تصنيف الحروف إلى شديدة ورخوة، لكن عدُّوا كل ما عداها قسماً ثالثاً ، سمَّوه الحروف التي بين الشديدة والرخوة، وهو ما سُمي في وقت متأخر بالحروف البينية والمتوسطة "[٢]، وقدم أهل العربية كالزمخشري[٣] تعريفاً للبينية ، فقال " والكون بين الشدة والرخاوة أن لا يتم لصوته الانحصار ولا الجري "[٤]، ووضح بعض المتأخرين من أهل التجويد تعريف

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٥ .

(٢) غانم قدوري حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد " بتصرف ") ص ٢٥٧ .

(٣) الزمخشري : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد عام (٤٦٧هـ) وتوفى سنة (٥٣٨ هـ) ،أشهر كتبه : (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة) و (المفصل) و (المقامات) و (رؤوس المسائل).

(٤) الإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ، (المفصل في علم اللغة) ، قدم له وراجعه وعلق عليه الدكتور محمد عز الدين السعيدي ، دار إحياء العلوم – بيروت – لبنان ط١/ ١٤١٠-١٩٩٠م ، ص ٤٦٦ .

الزمخشري ، فمن ذلك قول المرعشي: "وأما التوسط بين الشدة والرخاوة فهو عدم كمال احتباس الصوت وعدم كمال جريه"[١].

- **الخلاف في حروفها عند القدماء :**

بعض كتب العربية[٢] ذكرت أن عدد الحروف البينيّة ثمانية يجمعها قولك : (لم يروعنا) ، وفي ذلك يقول ابن جني " والحروف التي بين الشديد والرخوة ثمانية أيضاً وهي : الألف ، والعين ، والياء ، واللام ، والنون ، والراء ، والميم ، والواو ، ويجمعها في اللفظ (لم يَروِ عنَّا) ، وإن شئت قلت : "(لم يُرَوِّعنا) ، وإن شئت قلت : (لم يَرعَوْنا) "[٣] ، وتابعت بعض كتب علم التجويد[٤] كتب العربية في عدِّ الحروف ثمانية .

ويبدو للدارس من خلال نص ابن جني عدة أمور :

١- أنه أدخل الألف من جملة هذه الحروف مع أنها أشد الحروف رخاوة وامتداداً للصوت نظراً لطبيعة مخرجها . واعترض بعض العلماء التجويد على إدخال الألف حيث يقول المرعشي: " لكن أقول : كيف يكون الألف المدية من (البينيّة) مع أن الظاهر أنها أكمل حروف الرخو رخاوة؛ إذ معنى الرخاوة : اللين وجريان الصوت؟! [٥].

٢- إن الأمثلة التي قدمها للواو والياء تحتمل أنه يقصد بهما حينما يكونان غير مديين . ومما جاء مؤيداً لهذا من كتب علم التجويد قول المرعشي : " والظاهر

---

(١) المرعشي (جهد المقل) ص ٢٦ .

(٢) ابن جني (سر الصناعة) ٦١/١ ، والاستراباذي (شرح الشافية) ٢٦٠/٣ ، وابن يعيش (شرح المفصل) ١٢٩/١٠ .

(٣) ابن جني (سر الصناعة) ٦١/١ .

(٤) مكي (الرعاية) ص ١١٩ وأبو العلاء الهمذاني (التمهيد في معرفة التجويد) ٨١/ أ .

(٥) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٢٦ .

أن المراد من الواو والياء ما ليسا بمدِّيَّين كما يشهد به وقوعهما في (لم يَـــروِ عنَّا) [1] .

وهذا ما جعل بعض كتب التجويد تقتصر على (الواو والياء) دون (الألف) وفي ذلك يقول ابن الطحان الأندلسي : " وهي : النون ، والواو ، واللام ، والياء ، والعين، والميم ، والراء ، يجمعها (نُولّي عُمر) ، فإنها بين الرخاء والشدة[2] .

٣- وعلى احتمال أن يكون ابن جني قد قصد إدخال حروف المد من جملتها، وهو الذي ذكرته بعض كتب العربية [3] ، فقد اعترض بعض أهل التجويد بشدة على من أدخل حروف المد من جملة هذه الحروف ، وفي ذلك يقول السخاويّ : " فإن قلت : فقد عدّوا حروف المد هذه مما بين الرخوة والشديدة ، وجمعوها فقالوا : (لم يرو عنا) و (ولينا عمر) ، قلت : الذي غرهم في ذلك أن سيبويه لم يعدّها حين عدّ الرخوة ، فظنوا أنها خارجة عنها. وقد صرح برخاوتها حين ذكرها فقال: " ومنها اللّينة ، وهي الواو ، والياء؛ لأن مخرجها اتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ، كقولك : (وَ وَ وْ)، فإن شئت أجريت الصوت ومددت) ، ثم قال[4] (ومنها الهاوي، وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو ، لأنك قد تضم شفتيك في الواو ، وترفع في الياء لسانك قِبَل الحنك ، وهي الألف) "[5] ، ثم

---

(١) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٢٦ .

(٢) ابن الطحان (مخارج الحروف وصفاتها) ص ١٢٦.

(٣) الاستراباذي (شرح الشافية) ٣/٢٦٠ .

(٤) أي سيبويه .

(٥) السخاوي (فتح الوصيد شرح القصيد) ٢/٤٠٤ .

تساءل السخاوي متعجباً :" فكيف تكون بين الرخوة والشديدة ، ولكون بينهما هو أن لا يتم للصوت الانحصار ولا الجري؟"[1]

ثم نقل عن أبي الحسن الرماني قوله عن حروف المد: " (ومعنى المد واللين : أنه يمكن أن يمد بها الصوت دون غيرها كقولك : (زيدو) و (زيدي) (وزيدا) ، والاعتماد لها ليِّن ، وإنما يجري الصوت فيها للمد الممكن بها من أجل جنسها إذا كان ما قبلها منها)"[2]، وبنى على كلام الرماني نتيجته النهائية بأن قال :" فهذا كله تصريح بأنها رخوة"[3] .

فيتحصل لدينا من خلال النقاط السابقة، اتفاق القدماء على خمسة أصوات، المجموعة في قولك (لِنْ عُمَر) .

- طبيعة الحروف البينية :

طبيعة هذه الحروف عدا صوت العين قائم في أن الصوت ينحبس في مخرجها، لكنه يجد له منفذاً يخرج منه من غير مخرجها .

ويبدو أن هذا التصور هو الذي قام في ذهن العلماء قديماً أمثال سيبويه ، والرماني ، ومكي، لكنه توسع ليشمل كل صوت لا يتم له كمال الاحتباس ، ولا كمال الجري ، وفي ذلك يقول الزمخشري :" والكون بين الشدة والرخاوة أن لا يتم لصوته الانحصار ولا الجري " [4] .

---

(١) السخاوي (فتح الوصيد شرح القصيد) ٢/٤٠٤- ٤٠٥ .

(٢) المرجع السابق ٢/٤٠٥

(٣) المرجع السابق ٢/٤٠٥

(٤) الزمخشري (المفصل) ٤٦٦ .

قدم سيبويه وصفاً كاملاً لطبيعة هذه الحروف ، وتحدّث عنها في موضعين ؛ أحدهما في باب " الإدغام "[1]. وثانيهما في " باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرّك لكراهيتهم التقاء الساكنين" [2] .

وسأجعل كلام سيبويه في الموضعين مُتضمناً كلام من جاء بعده من العلماء انطلاقةً لفهم طبيعة هذه الحروف ، ملخِّصاً ذلك في عدة نقاط :

- عند استعراض حديث سيبويه عن الحروف التي بين الشديدة والرخوة في باب " الإدغام " نجد أنه قد عدّ منها أربعة أحرف هي شديدة في الأصل ، لكنها تجد لها منفذاً تخرج منه ، أما العين فقال عنها :" وأما العين فبين الرخوة والشديدة ، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء "[3]، فقد جعلها قسماً مستقلاً برأسه ، ورددها بين الشدة والرخاوة بدليل أنه بعد أن عدَّ الحروف الشديدة والرخوة، قال : (وأما العين ....)، ثم أكمل كلامه : (ومنها المنحرف ...). وكذلك فعل الرماني عند شرحه كلام سيبويه ، قال :" (أجدُك قطّبت) ، هذه الشديدة ، وما عداها رخو، إلا أن منه مالا يجري الصوت فيه كجريانه في الرخوة لأنه بين الرخو و الشديد ، وهو العين [4] ، ثم قال عن الحروف الأربعة الأخرى : " من الشديد ما يجري فيه الصوت ولا يخرج من موضعه .... "[5]، وذكر الأربعة الأخرى. ففرق بينهما وبين العين .

وعدها بعض العلماء التجويد كمكي بن أبي طالب من الحروف الرخوة المحتوية على بعض الشدة بمعناها اللغوي أعني القوة ، قال : " العين تخرج من أول

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٥ .

(٢) المرجع السابق ٤ / ١٧٣ .

(٣) المرجع السابق ٤/٤٣٥ .

(٤) السخاوي (فتح الوصيد) ٢/٤٠٥ .

(٥) المرجع السابق ٢/٤٠٥ .

المخرج الثاني من مخارج الحلق الثلاثة مما يلي الفم ، وقد ذكرنا أنها من الحروف المجهورة والرخوة . ويقال إن فيها بعض الشدة ، فهي حرف قوي ". [1]

- تحدث سيبويه في باب " الساكن الذي يكون قبل الأخير فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين " عن (اللام ، والنون ، والميم ، والراء) ، في أنها لم تجد منفذاً من مخرجها ، ووجدت المنفذ من مكان آخر ، ولم يتحدث عن (العين) إلا في أنها لا يستطاع النفخ بها هي ، والهمزة ، والغين . فلم يذكر مشابهتها لباقي الحروف البينية .
- علل سيبويه سبب عدم وجود المنفذ في (**اللام** ، **والنون**) فقال : " لأنهما ارتفعتا عن الثنايا ، فلم تجدا منفذا "[2] ، أي أنهما لم يخرجا من بين السنان، كالحروف الصفيرية ، واللثوية [3]، بل ارتفعتا عن الثنايا إلى الحنك . فاللام تخرج من التقاء طرف اللسان مع اللثة ، وكذلك النون ، ولذلك لم يجد منفذاً، فاتخذ الصوت مساراً آخر ، فاللام تجد المنفذ من جانبي اللسان ، قال: " وليس يخرج الصوت من موضع اللام ، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك [4] ، والنون تجد المنفذ من الخيشوم ، قال : " ومنها حرف شديد ، يجري معه الصوت ، لأن ذلك الصوت غنة من الأنف ، فإنما تخرجه من أنفك، واللسان لازم لموضع

---

(١) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص١٦٢ .

(٢) سيبويه (الكتاب) ١٧٥/٤ .

(٣)حروف الصفير هي الصاد والسين والزاي ، واللثوية هي الظاء والذال والثاء .

(٤)سيبويه (الكتاب) ٤٣٥/٤ .

الحرف" [1] ، **أما الميم** فلا تجد المنفذ بسبب إطباق الشفتين ، قال: " وكذلك الميم ، لأنك تضم شفتيك ولا تجافيهما [2]، ولكنها تجد المنفذ من الخيشوم كالنون تماماً [3]، **والراء** تجد المنفذ بسبب التكرير الذي فيها ، قال : " وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لتكريره ، وانحرافه إلى اللام ، فتجافى للصوت كالرخوة ، ولو لم يُكرَّر لم يجر الصوت فيه " [4]، ومعنى (انحرافه إلى اللام) ما تقدم[5] من اشتراك ظهر اللسان في مخرجه ، فشارك مخرج اللام .

ولم يزد أحد – فيما اطلعت عليه – شيئاً على فكرة سيبويه في (اللام والنون والراء والميم) سوى زيادة إيضاح ، أو شرح لفكرته ، وإنما زيادات العلماء جاءت في تصور طبيعة صوت (العين) ، وسبب جعلهم إياه من الحروف البينية ، وهو ما سأوضحه في النقطة التالية .

- طبيعة صوت **العين** عند العلماء قائم على معنى عدم كمال الاحتباس ، كما في الحروف الشديدة ، وعدم كمال الجري ، كما في الحروف الرخوة ، ومما جاء مؤيداً لذلك : قول الزمخشري: "والكون بين الشدة والرخاوة أن لا يتم لصوته الانحصار ولا الجري ، كوقفك على (العين) ، وإحساسك في صوتها تشبه الانسلال من مخرجها إلى مخرج الحاء [6].

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٥ .

(٢) المرجع السابق ٤/١٧٥ .

(٣) المرجع السابق ٤/٤٣٥ .

(٤) المرجع السابق ٤/ ٤٣٥ .

(٥) انظر طرف اللسان (النون والراء) ص ٦٢.

(٦) الزمخشري (المفصل في علم اللغة) ص ٤٦٦ .

وقول الاستراباذي : "أما (العين) ، فينحصر الصوت عند مخرجه ، لكن لقربه من الحاء التي هي مهموسة ينسل صوته شيئاً قليلاً ، فكأنك وقفت على الحاء"[١].

وقول علي المنصوري أما (العين) ينحصر الصوت عند مخرجه ، لكن لقربه من الحاء التي هي مهموسة ينسل صوته شيئاً قليلاً فكأنك وقفت على الحاء[٢].

فالنصوص السابقة تدل على أن (العين) ينحصر في مخرجه لكنها تميل إلى مخرج (الحاء) الجزئي المشارك لها في المخرج الكلي ، أعني به وسط الحلق .

وبقليل من التأمل يمكن أن أشرح التعريفات السابقة بعبارة حديثه فأقول :

عرفنا في باب المخارج ، أن (العين والحاء) تخرجان بتضييق الغلصمة على الجدار الخلفي للحلق ، وهي عبارة عن غضروف شبيه بغضروف الأذن الخارجية[٣] ، ومرونتها ليست كمرونة اللسان الذي هو جزء عضلي كما هو معروف . ولما كان (العين)بالإضافة إلى تضييق غضروف الغلصمة [٤] ، تصاحب العملية العضوية المطلوبة لإصدار الصوت المجهور، فإن الناطق يحس بصعوبة (العين) إذا أحكم نطقها ، وأقول ذلك ، لأنه لو لم يحكم التلفظ بها لاتسع مخرجها ، وأصبحت أشبه ما تكون بصوت الألف [٥]. بخلاف (الحاء) الذي يشترك فيها تضييق الغلصمة فقط ، ونشعر فيها بصعوبة ، لكن أقل بكثير من صعوبة (العين) ، لكون الأخير أضيف إليه اهتزاز الأوتار الصوتية ، ومن

---

(١) الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٣/٢٦٠- ٢٦١ .

(٢) محمد رضا الدمشقي (رسالتان في حرف الضاد) م / ٢١ .

(٣) هذا التشبيه من الدكتور أحمد العياط أستاذ طب التشريح في جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

(٤) لسان المزمار epiglottis .

(٥) هذا تحكمه مشافهة القراء .

هنا قال سيبويه : " ومع هذا فان التقاء (الحائين) أخف في الكلام من التقاء (العينين)... **والمهموس أخف من المجهور** .[1]

وهناك طريقة بسيطة نستطيع تطبيقها لاختبار كلام القدماء ، وذلك بإتباع الخطوات التالية :

أ- انطق (العين) مفردة مطَبِّقاً طريقة القدماء بإدخال همزة الوصل ، أو طريقة المحدثين بأن تلفظ بـ(العين) وحدها .

ب- ثم أسكت برهة قصيرة جداً ؛ جاعلاً عضوي النطق على نفس موضع (العين).

ت- ثم تلفظ بها ساكنة مراعياً أن لا تسبقها حركة ... فقط بـ(العين) وحدها هكذا : (اِعْ ... عْ) ستجد أن ذلك من الصعوبة بمكان ، بل يكاد يتعذّر نطقك بـ(العين) مرة أخرى . وسبب هذا كما تبين من خلال منظار الحنجرة أن الطيات الصوتية قد اتخذت وضع الهمزة عند نهاية صوت العين حيث أقفلت فتحة المزمار تماماً ، فلذلك انحصر الصوت في نهاية صوتها .

ث- كرر التجربة بأن تلفظ (العين) ثم بدلاً من لفظك بها مرة أخرى ، الفظ بـ(الحاء) هكذا : " (اِعْ ... حْ) تجد أنك تستطيع ذلك بسبب الهمس المسبب لجريان نفس الحاء ، وبسبب ضعف الحجاب الحاجز على مخرج الحاء.

ولعل هذا هو تحقيق الفرق عند القدماء في قولهم (فكأنك وقفت على الحاء).

ج- حاول أن تكرر هذه التجربة البسيطة المبنية على الملاحظة الذاتية على أي صوت آخر ، فلا تجد للعين شبيهاً بها في هذا ، والسبب في ذلك من وجهة نظري هو غضروف الغلصمة مع اهتزاز الأوتار الصوتية .

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/ ٤٥٠ .

فالنتيجة التي نصل إليها من صوت العين أنه صوت رخو فيه بعض الشـــدة ، وأن المتقدمين من أهل العربية والتجويد قصدوا ببينته أنه صوت رخو فيه بعض الشدة، وأن المتقدمين من أهل العربية والتجويد قصدوا ببنيته أنه يبدأ رخواً ثم ينحصر صوته في آخر خروجه ، فهو على هذا مخالف لباقي الحروف البينيـــة (اللام والنون والميم والراء) ، لأنها حروفٌ شديدة في الأصل ينقطع الصوت في من خرجها ، لكنها تجد منفذاً لصوتها من غير مخارجها .

ب- البينية عند المحدثين

سيكون حديثي عنها في ثلاث نقاط :

- قبول أو رفض المحدثين لتقسيم القدماء .
- طبيعة هذه الحروف
- نقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين

قبول أو رفض المحدثين لتقسيم القدماء

أقر المستشرقون الذين درسوا الحروف العربية التقسيم الذي قسّمه القدماء ، ووافقوهم على هذه الحروف فيما عدا صوت العين .

وهذه نصوصهم تدل على ذلك :

قال برجستراسر : " والحروف المتوسطة كلها مجهورة عندهم ، وهي (ع ، ل، ن، ر، م) فنقول : إنه وإن كانت هذه الحروف إلا العين متمادّة ، بدون شك ، فلهم مع ذلك حق في تميزها عن الحروف الرخوة المجهورة [1].

(١) براجستراسر (التطور النحوي للغة العربية) ص ١٤ .

وقال أ.شادة : " وأصاب سيبويه أيضاً في أنه هناك حروف هي شديدة من جهة ورخوة من جهة أخرى . وعدّ من هذا النوع المشترك : العين واللام والنون والميم والراء "[٢].

وقال كانتينو: " فلا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب إلا فيما يتعلق بحرف العين . وما عدا ذلك فإن الترتيب مطابق لترتيب علماء الأصوات العصريين [٣].

وأقر دارسو العرب [٤] المستشرقين في صحة تقسيم القدماء إلاّ أنّ واحداً من المحدثين لم يعجبه هذا التقسيم ، واعترض على القدماء في تسميتهم ، وتحكم في المصطلح ، وأراد أن يجعله منصرفاً فقط إلى التوسط بين الحركات والصحاح .

قال : " ومهما يكن من أمر ، **فالواجب** تفسير المصطلح (أصوات متوسطة) بأن المقصود أنها أصوات متوسطة بين الصامتة بعامة والحركات ، لا بين الأصوات الشديدة والإحتكاكية ، ويبدو أن من سماها كذلك من العرب قد خانه التوفيق في التعبير "[٥] .

ولا أحد ينكر الميزة التي تتميز بها هذه الأصوات في الوضوح السمعي ، لكن هذا لا يجعلنا أن نلغي مصطلح القدماء ونظرتهم لهذه الأربعة ونحملها على مراده.

وقد اعترض الدكتور غانم قدوري حمد على مقولته ، فقال : " ونحن لا ننكر أن هناك شبهاً بين الحروف المتوسطة وبين الحركات .... وذلك من حيث كيفية مرور الهواء في مخارجها ، وعلماء التجويد أنفسهم يصرحون بذلك الشبه، قال عبد الوهاب القرطبي: "وأيضاً فإن المد الذي في الواو بمثابة الغنة التي في الميم ". وقال: " أما النون الخفيفة ، فإنها النون الساكنة التي مخرجها من الخيشوم، نحو النون

---

(٢) غانم قدروي حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص ٢٦١ .

(٣) كانتينو (دروس في علم الأصوات العربية) ص ٣٦ .

(٤) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٢٤ ، وتمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١١٣ .

(٥) كمال بشر " الأصوات " ص ١٣٢ .

في (منك وعنك ومن زيد) وهي صوت يجري في الخيشوم جريان حروف المد واللين في مواضعها ، وقال ناصر الدين الطبلاوي:" إن النون الساكنة والتنوين حرفا غنة ، ولا بد لهما من شَبَه مدٍّ ، فشاركا الواو والياء في المد في الجملة " ، ولكن لا يعني وجود شبه بين الحروف المتوسطة وبين الحروف الذائبة [1]، وهو مصطلح استخدمه أهل التجويد أننا يجب أن نلغي تقسيم علماء التجويد المبني على مفهوم واضح ، وهو أن هذه الأصوات لا تتحقق في إنتاجها صفة الأصوات الرخوة بشكل كامل ، فهي تبدأ بحبس للنفس يشبه ما يحصل في الحروف الشديدة، ولكنَّ النَّفَس يجد له موضعاً من غير موضع ذلك الاحتباس ، فيجري جريانه في الحروف الرخوة، وهذه هي صفة هذه الأصوات بشكل عام . وحين نمعن النظر في كلام هذا المعترض نجد أنه لا يعدوا أن يكون جدلاً لفظياً ، وإلا ماذا يكون أن يقول الباحث المدقق عن مثل قوله: (وهي في رأيهم متوسطة بين الشدة والرخاوة (بين الانفجار والاحتكاك) وهذا في نظرنا تقدير غير دقيق ، إلا إذا قصد بها أنها ليست انفجارية ، ولا احتكاكية ، وإنما هي نوع مستقل . وكان الأَوْلَى بهؤلاء القوم أن يحكموا عليها بأنها متوسطة بين الأصوات الصامتة والحركات (لا بين الانفجارية والاحتكاكية) ، فهي كما رأيت تتسم بخواص الأصوات الصامتة ، ولكنها في الوقت نفسه تبدي شَبَهاً معيَّناً بالحركات ، ومن ثم أطلقنا عليها نحن أشباه الحركات)... إننا لا نجد في مذهب علماء العربية وعلماء التجويد في تقسيم الحروف إلى شديدة ورخوة ومتوسطة ما يحمل على القول بأن عملهم هذا غير دقيق ، لا سميا أن علماء الأصوات المحدثين يقرون ذلك التقسيم ويعدونه صحيحاً. وما كان يمنع هذا المعترض من قبول هذا التقسيم على اعتبار أن المتوسطة قسم ثالث يخالف الشديدة ويخالف الرخوة ... ومن غير المقبول أن نعمد إلى

---

(١) يعني به حروف المد .

مصطلح (المتوسطة) الذي صارت له دلالة محددة في تراث العـــرب الصـــوتي ، ونجرده من تلك الدلالة ، لنستخدمه في الدلالة على ما يسمى بأشباه الحركات [1].

- طبيعة الحروف البينية عند المحدثين :

كلام المحدثين على الحروف البينية غير العين يشابه كلام القدماء .

وقد لخص أحدهم آلية الحروف البينية بقوله: (ومن الممكن أن يمر الهواء بمجراه دون انحباس واحتكاك من أي نوع ، إمّا لأنّ مجراه في الفم خال من المعوقات، كما في صوتي الواو والياء. وإمّا لأنّ مجراه في الفم يتجنب المرور بنقطة السد أو التضييق كما في صوت اللام . وإمّا لأنّ هذا التضييق غير ذي استقرار علـــى حاله ، كما في صوت الراء ، أو لأن الهواء لا يمر بالفم ، وإنما يمرُّ بـــالأنف ، كما في صوتي الميم والنون ، وكل هذه الطائفة من الأصوات تسمى الأصوات المتوسطة ، لأنها ليست شديدة ولا رخوة[2] .

وقال آخر : " يتسع مصطلح الوقفيات عند بعض المحدثين ليشمل الأصـــوات الأنفية ، مثل الميم والنون ، والجانبية نصف الرنانة [3].

والجامع بين الاحتباس الفموية ، وهذه المجموعة من الأصوات وجود القفل التام في كل وهو ما عرفناه بالالتقاء التام بين العنصرين الناطقين) غير أن التكـــوين

---

(١) غانم قدوري حمد (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص٢٦٢- ٢٦٣ .

(٢) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ١١٣ .

(٣) الأصوات الرنانة ؛ هي الحركات ، ونصف الرنانة التي تبدي شَبَهاً بها كمثل المذكورات مثل اللام ، واللمسية نصف الرنانة مثل الراء المتحركة ، حيث يتم التقاء العضوين الناطقين بالقفل التام ، ولكنه التقاء لمسي لا يتيح للهواء أن يحتبس خلف نقطة القفل ، انظر سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص ٢٠٤ .

الأكوستيكي[1] يختلف بين المجموعتين اختلافا كبيراً ومن ثم نؤثر معالجة المجموعة الأخيرة باعتبارها صوامت انطلاقية نصف رنانة "[2].

ويلاحظ على النصين السابقين عدة أمور :

١- أن الأول قد أدخل الواو والياء من جملة هذه الحروف بناءً على مشابهتها للحركات، وأما شرحه لطبيعة الحروف الباقية ، فلم يختلف في شيء عن كلام القدماء .

٢- وأن الثاني قد أعاد كلام سيبويه في عدِّه (اللام والنون والميم والراء) من الحروف الشديدة ، ولكن بعبارة حديثة .

٣- استخدم الثاني مصطلح (الوقفيات) مرادفاً لـ (الشديدة) ، ومصطلح (الانطلاقيات) مرادفاً لـ(الرخوة) .

٤- لم يعدّ الثاني هذه الحروف متوسطة ، بل عدها رخوة شبية بالحركات .

- **مميزات هذه الحروف عند المحدثين :**

من المميزات التي ذكرها المحدثون لهذه الحروف أنها أوضح الحروف في السمع بعد الحركات وحروف المد ، ومما جاء في ذلك قول أحدهم: " ومن النتائج التي حققها المحدثون أن اللام ، والميم ، والنون ، أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً ، وأقر بها الى طبيعة أصوات اللين . ولذا يميل بعضهم الى تسميتها (أشباه أصوات اللين) ، ومن الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين ، ففيها من صفات الأولى أن مجرى النفس معها تعترضه بعض الحوائل ، وفيها من صفات أصوات اللين أنها لا يكاد يسمع لها أي نوع من الحفيف ، وأنها أكثر وضوحاً في السمع[3].

---

(١) معناه التكوين الفيزيائي للصوت (انظر معجم علم اللغة النظري للدكتور محمد علي الخولي) ص ٣ .

(٢) سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص ٢٠٤ .

(٣) إبرهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٢٧ .

وقد ورد في ثنايا كلام القدماء مشابهة الميم ، والنون ، واللام لحروف المد ، قال ابن يعيش: " وأما الميم فمشابهه للواو ، لأنهما من مخرج واحد ، وهو الشفة ، وفيها غنة تمتد إلى الخيشوم ، فناسب بغنتها لين حروف المد ، وأما النون ففيها أيضاً غنة ، ومخرجها إذا كانت ساكنة من الخيشوم ، بدليل أن الماسك إذا أمسك أنفه لا يمكنه النطق بها ، وليس لها فيه مخرج معين ، بل تمتد في الخيشوم امتداد الألف في الحلق ... وأما اللام فإنه وإن كان مجهوراً فهو يشبه النون وقريب منه في المخرج .[1]

ج- نقاط الاتفاق والاختلاف في البينية بين القدماء والمحدثين :

* مصطلح البينية عند القدماء أن لا يتم للصوت كمال الانحباس ولا كمال الجري، على حين ينصرف عند المحدثين إلى التوسط بين الحركات والصحاح بعامة .

* يتفق القدماء والمحدثون في طبيعة أصوات اللام والميم والنون ، والراء .

* عدّ القدماء صوت العين من جملة هذه الحروف بخلاف المحدثين الذين أخرجوها منها .

(١) ابن يعيش (شرح المفصل) ١٤١/٩ – ١٤٢-١٤٣ .

كيفية تحقق الجهر والهمس في الحروف الشديدة والرخوة

- القدماء .
- المحدثون .
- نقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين .
- قضية الهمزة .
- قضية القاف .
- قضية الطاء .

كيفية تحقق الجهر والهمس في الحروف الشديدة والرخوة عند القدماء

ذكرتُ فيما مضى [1] أن المجهور والمهموس لا يمكن تحققهما عند القدماء إلا بأحد شرطين:

١- أن يتحقق في المجهور صوت الصدر (أثر اهتزاز الأوتار الصوتية) ، مع انحباس جزئي لهواء النَّفَس .

٢- أن يتحقق في المهموس جريانٌ كثير لهواء النفس مع عدم وجود صوت الصدر (إثر اهتزاز الأوتار الصوتية) .

والسؤال الآن :

كيف يتحقق هذا الفرق في الحروف الشديدة والرخوة حال إسكان الصوت ؟

الظاهر – حسب ما اطلعت عليه – أن الكتب العربية قد استقام لها معنى الجهر والهمس على حال التحرك أكثر من حال السكون المناسب للشدة

(١) لكي تتضح فكرة هذا المبحث يفضل أن يرجع نقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين في الجهر والهمس ص ١٢٩، ونقاط الاتفاق ولاختلاف بين القدماء والمحدثين في الشدة ص ١٣٨ ونقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين في الرخاوة ص ١٥٣ .

والرخاوة[1]، لذلك لم أجد حديثاً مفصلاً عن هذه الحال – فيما أطلعت عليه– إلا عند سيبويه من المتقدمين ، والمرعشي من المتأخرين من أهل التجويد، وبعض نصوص متفرقة أخرى . وقد شرحت كيفية تحقيق ذلك عند سيبويه فيما مضى من هذا البحث [2] وسيتم شرحه عند المرعشي فيما يأتي .

قال المرعشي : " واعلم أن كلا من الحروف الشديدة والرخوة ينقسم إلى مجهور ومهموس .

أما **الشديد المجهور** ، فهي ستة أحرف : الهمزة ، وحروف " قطب جد " .

وأما **الشديد المهموس** ، فهي حرفان ، الكاف ، والتاء المثناة الفوقية .

وأما **الرخو المجهور** ، فهي ثمانية أحرف : الضاد ، والذال ، والظاء ، والغين المعجمات ، والزاي ، والألف المدية، والواو والياء ، مديين أَوْ لا .

وأما **الرخو المهموس** ، فهي ثمانية أحرف ، وهي : الحروف المهموسة ما عدا الكاف ، والتاء" [3].

هذا هو التقسيم العام للأصوات الشديدة والرخوة من حيث الجهر والهمس .

وعلّق المرعشي على كل واحد من هذه التقسيمات مُجلِّياً حقيقته ، ومؤكداً اختلاف دلالة مصطلحي الهمس والشدة بين القدماء والمحدثين ، حيث لم يُرد القدماء من الهمس إلا النفس ، ولم يريدوا من الشدة إلا مرحلة انحباس الصوت فقط بخلاف المحدثين الذين أرادوا من الهمس كل ما لا تهتز معه الأوتار الصوتية، ومن الشدة مرحلة الانحباس والاطلاق .

---

(١) انظر حال الإسكان هو المعتبر في الشدة والرخاوة عند القدماء ص ١٣١ .

(٢) انظر كيفية تحقيق الجهر والهمس حال إسكان الصوت عند سيبويه ص ١٠٦.

(٣) المرعشي (جهد المقل) ص ٢٦ .

قال المرعشي عن التقسيم الأول ، وهو الشديد المجهور : " (قوله : فهي ستة أحرف) فلشدتها ؛ يحتبس صُوتها ونَفَسُها بالكلية أوَّلاً ولجهرها ؛ لا يجري نفسها بعد آن حبس الصوت والنفس ، كما يجري في الشديد المهموس " [1] .

يتضح بعد التأمل في هذا النص عدة أمور مهمة ، منها :

١- أن حبس الصوت في المخرج يستلزم بالضرورة احتباس النفس معه ، وقد أكد المرعشي هذه الحقيقة ، فقال " وإن صوت الحرف وإن كان مجهوراً ، فهو لا يتحقق بدون النفس ، لأن حقيقة الصوت هو النفس المسموع كما سبق ، فاحتباس الصوت يستلزم احتباس النفس معه [2] ، وجريُه جريَه"[3].

٢- أن مرحلة القلقة عند المتقدمين تعد مرحلة أساسية في تصنيف الحروف إلى مجهورة ومهموسة بالإضافة الى مرحلة الشدة ، لذلك قال المرعشي في موطن آخر : " وأما في الشديد المجهور ، فإن آخر صوته قلقلة، والقلقة صوت جهري"[4].

٣- أن كل الحروف الشديدة المجهورة لا يجري هواء النفس معها بعد آن احتباس الصوت .

٤- أن كل الحروف الشديدة المهموسة (الكاف ، والتاء) ، يجرى هواء النفس معها بعد احتباس الصوت .

---

(١) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٢٦ .

(٢) علل المرعشي للإتيان بكلمة (معه) ، فقال : إنما زاد لفظ (معه) ، لأنه لا يُستلزم احتباس النفس بعد آن احتباسه ، فإن الشديد المهموس ، احتبس صوته ونفسه أولاً ، ثم جرى نفسه بعد آن ذلك الاحتباس. (بيان جهد المقل) ص ٢٧ .

(٣) المرعشي (جهد المقل) ص ٢٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٣ .

وقال عن التقسيم الثاني ، وهو الشديد المهموس: "(قوله : فهي حرفان) فلشدتها يحتبس صوتهما بالكلية ، بل نفسهما أيضاً حين احتباس صوتهما ؛ لأن احتباس الصوت بالكلية لا يكون إلا باحتباس النفس بالكلية ؛ لأن حقيقة الصوت هي النفس ، ثم ينفتح مخرجاهما ، ويجري فيهما نفس كثير مع صوت ضعيف ليحصل الهمس" [(١)].

يتضح لنا بعد التأمل في هذا النص عدة أمور مهمة ، منها :

١- أن الهمس معناه النفس ، وهو لا يتحقق أثناء حبس الصوت ، وإنما يكون بعد زمن احتباس الصوت. وقد أكد المرعشي هذا في نص آخر له بأن عقد سؤالاً ، وأجاب عنه ، فقال " إن قُلْتَ الهمس : جريان النفس ، وهو يستلزم جريان الصوت .

والشدة احتباس الصوت ، وهو يستلزم احتباس النفس .. فبين الهمس والشدة تناقض ، فكيف يكون الكاف والتاء شديدين مهموسين ؟

قلت : **الشدة في آن ، والهمس في زمان آخر**[(٢)] ، فاعرف هذا "[(٣)].

٢- أن جريان هواء النفس الذي يكون مع الحروف الشديدة المهموسة ؛ إنما هو هواء تسمعه الأذن ، بعد انحباس الصوت في المخرج ، ولهذا سمي صوتاً، وإلا لما فرقناه عن هواء التنفس العادي ، ولهذا احترز المرعشي بقوله: (ويجري فيهما نفس كثير مع **صوت ضعيف** ليحصل الهمس).

والحقيقة أن الصوت الشديد المجهور ، والشديد المهموس ينطقان مرتين (عندما يسبقان بحركة)؛ مرة أثناء حبس الصوت، ومرة أثناء انفتاح المخرج، وأكثر ما

---

(١) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٢٦ .

(٢) علق المرعشي على قوله هذا بأن قال : حاصلة أن التناقض يندفع باختلاف الأزمان ، وإنما قال (في زمان آخر) لأن الهمس زمانيٌّ يجري فيه النفس زماناً (بيان جهد المقل ص ٢٨) .

(٣) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٢٨.

يظهر هذا عندما يكون الحرف مشدداً ، فلو قلت : (الحق) موقوفاً عليها، لوجدت أن هناك مُكْثَةً قصيرة بين حبس الصوت في المخرج وبين انفتاح المخرج ، وهذه المكثة هي التي تبين أن الصوت ينطق مرتين. ولو زالت، فالفرق موجوداً أيضاً، لكن لا تستطيع الأذن أن تدركه بسهولة، ومن هنا قال المرعشي عن صوت القلقة وصوت الهمس اللذين يتبعان الصوت الشديد: "وبالجملة إن لحرف القلقة صوتين؛ صوت ذاته وهو آني، وصوت قلقلة وهو آني أيضاً. وكذا للشديد المهموس صوتان ؛ صوت ذاته وهو آني وصوت همسه وهو زماني "[1].

ومعنى (آني): أي يسمع في لحظة ثم ينقطع بخلاف جريان النفس (الهمس) الذي يستغرق الصوت فيه زماناً .

وقال عن التقسيم الثالث ، وهو الرخو المجهور : " (قوله : فهي ثمانية أحرف) ، فلرخاوتها يجري صوتها جرياً كاملاً ، ولجهرها لا يجري النفس الكثير مع صوتها ، لكن لا يخلوا عن جري النفس البتة" [2].

ويبدو للدارس المدقق عند التأمل في هذا النص أن المجهور الرخو لا يخلو جريان صوته من جريان الهواء النفس، وستثبته التجارب المعملية إن شاء الله .

وقال عن التقسيم الرابع ، وهو الرخو المهموس : "(قوله : فهي ثمانية أحرف) فلرخاوتها يجري صوتها جرياً كاملاً ولهمسها يجري مع صوتها نفس كثير" [3].

وبعد أن انتهى المرعشي من هذه المناقشة لخص كلامه السابق الذي يمثل وجهة نظر القدماء في الجهر والهمس، فقال : " إذا علمت هذا ، فاعلم أن

---

(١) المرعشي (بيان جهد المقل) ص٢٩ .

(٢)المرجع السابق ص ٢٦ .

(٣) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٢٧ .

صوت الحرف ونفَسه ، إما أن يحتبسا بالكلية ، فيحصل صوت شديد ، وهو في الحروف الشديدة .

أو لا يحتبسا أصلاً ، بل يجريان جرياً كاملاً ، وهو في الحروف الرخوة . أو يتوسطا بين كمال الاحتباس ، وكمال الجري ، وهو في الحروف البينية .

فهذه ثلاثة أنواع ؛ ففي النوع الأول ، إن جرى بعد ذلك الاحتباس نفس كثير، فالحرف شديد مهموس ، وإن لم يَجْرِ، فالحرف شديد مجهور[1] .

وفي النوع الثاني ؛ إن كان صوت الحرف جارياً كله مع نفس قليل ، فالحرف رخو مجهور، وإن كان جارياً كله مع نفس كثير [2] . فالحرف رخو مهموس"[3].

هذا هو منهج القدماء في كيفية تحقق الجهر والهمس ، في الحروف الشديدة والرخوة.

وهو منهج مبني على واقع كلام العرب كما تقدم عند سيبويه [4] ، وعلى الأداء القرآني كما رأيت عند المرعشي.

كيفية تحقق الجهر والهمس في الحروف الشديدة والرخوة عند المحدثين :

ذكرت فيما سبق [5] ، أن الصوت الشديد عند المحدثين يتكون من عدة عناصر:

أ- اتصال عضوين لسد المجرى .

---

(١) علق المرعشي على قوله (فالحرف شديد مجهور) بأن قال : إذ لا يجري النفس فيه بعد آن احتباس الصوت والنفس ، بل يحصل صوت قوي جهري آني عند انفتاح مخرجه ، وهي القلقلة. (بيان جهد المقل ص ٢٨) .

(٢) علق المرعشي على قوله (وإن كان جارياً كله مع نفس كثير) بأن قال : فالفرق بين الشديد والمهموس والرخو المهموس أن صوت الأول يجري كله مع النفس الكثير لأن أول صوته محتبس مع النفس غير جار أصلاً وصوت الثاني يجري كله مع النفس الكثير (بيان جهد المقل ص ٢٨) .

(٣) المرعشي (جهد المقل) ص ٢٨ .

(٤) انظر الجهر والهمس عند سيبويه ص ٩٤.

(٥) انظر منهج المحدثين في تناولهم للجهر والهمس ص ١٢٣.

ب- انحباس الهواء خلف نقطة تلاقيهما .

ت- انفصال العضويين فجأة وتسريح الهواء [1].

وذكرت أيضاً أن المحدثين توصلوا من خلال دراساتهم أن كمية النفس في المهموس أكثر منها في المجهور[2].

وأن مصطلح الهمس عندهم يعني شيئين :

١- الحروف ذات النفس الوفير .

٢- مرحلة عدم وجود صوت مطلقاً [3] .

فالأول متحقق في كل الحروف الرخوة التي يجري معها هواء النفس ، والخالية من اهتزاز الأوتار الصوتية ، وهي : (الفاء ، والحاء ،الثاء ، الهاء [4]، الشين ، الخاء والصاد ، السين) .

والثاني متحقق في بعض الحروف الشديدة التي لا تتذبذب معها الأوتار الصوتية أثناء حبس الصوت في المخرج ، وهي (الهمزة ، والقاف ، والطاء ، والكاف ، والتاء) وهذا الأخير يقودنا بالضرورة إلى التساؤل التالي:

هل يعني عدم اهتزاز الأوتار الصوتية في مرحلة حبس الصوت في المخرج الهمس عند المحدثين ، بالرغم من عدم وجود أي طاقة صوتية في هذه المرحلة ؟

يبدو أن هذا هو ما عنوه فعلاً ، وهذه نصوصهم شاهدة على ذلك :

---

(١) تمام حسان " مناهج البحث في اللغة " ص ١١٢.

(٢) انظر منهج المحدثين في تناولهم للجهر والهمس ص ١٢٣.

(٣) انظر معنى اهتزاز الأوتار الصوتية عند المحدثين ص١٢١ وراجع مبحث الجهر والهمس عند المحدثين ١١٦.

(٤) الهاء عند القراء تتذبذب معها الأوتار الصوتية .

قال أحدهم :" ويكون الساكن التوقفي مجهوراً ، إذا كانت الأوتار الصوتية تتذبذب **خلال فترة القفل** ، إما إذا كانت غير متذبذبة ، فيكون الساكن مهموساً".[١]

وقال آخر : " وقد لوحظ أنه في حالة الانفجارية المهموسة ،لا يسمع شيء إطلاقاً في اللحظة التي يوقف فيها المجرى الهوائي (أي قبل حدوث الانفجار) أما في حالة الانفجارية المجهورة ، فإنه يسمع شيء من الجهر (ذبذبة الوترين الصوتيين) يختلف مقداره باختلاف الأحوال أثناء وقف المجري الهوائي " [٢].

وإذ بلغنا هذا الشوط من المناقشة ، فإن هذا المنهج يثير إشكالات عدة :

١- في حالة حبس الصوت في المخرج لا يكون هناك أي تدفق للهواء ، فكيف تكون كمية النفس في الحالة أكثر منها في المجهور ، كما يقول المحدثون؟![٣].

٢- كيف تصنف مرحلة عدم وجود أي طاقة صوتية (وقفة) التي لا نسمع فيها أي شيء إطلاقاً ، كما يقول الدكتور محمود السعران إلى صوت مجهور أو مهموس ، مع ذكر المحدثين أن أصوات الكلام موجات صوتية مسموعة[٤]، وكان الأَوْلَى أن يقال عن الصوت في هذه المرحلة صوت لا هو مجهور ولا هو مهموس ، لأن مصطلح الهمس لايعني إلا النفس عند المتقدمين .

---

(١) عبدالرحمن أيوب (الكلام إنتاجه وتحليله) ص ٣٢٧ .

(٢) محمود السعران (علم اللغة) ص ١٥٧ .

(٣) انظر نصي الدكتور محمود السعران والدكتور عبد الرحمن أيوب ص ١٢٤ .

(٤) سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص ٣٣ .

٣- إذا كان الهمس عند المحدثين يعني الصوت النَّفَسي ، والصوت المحبوس في المخرج ، فالمفترض أن يكون وضع الطيات الصوتية في كلا الصوتين واحداً ، وهذا ما تنقضه التجارب التي بواسطة منظار الحنجرة.

٤- مرحلة إطلاق الهواء بعد انحباس الصوت في المخرج تعد من مميزات الصوت الشديد عند المحدثين وقال عنها أحدهم أنها " عنصر مهم من عناصر نطق الأصوات الشديدة " [١] ، فإذا كان ذلك ، فلماذا لم تؤخذ هذه المرحلة في الحسبان عند تصنيف الصوت الشديد إلى مجهور أو مهموس كما أخذ ذلك في صوت الجيم مثلاً[٢] ، ويكون وصف الصوت عندئذ في كل مراحله .

نقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين :

* اتفق القدماء والمحدثون في الحروف الرخوة المجهورة التي تهتز معها الأوتار الصوتية.

* اتفق القدماء والمحدثون على الحروف الرخوة المهموسة التي يتحقق فيها جريان النفس ، والخالية من اهتزاز الأوتار الصوتية [٣].

* اختلف القدماء والمحدثون في الحروف الشديدة ، فعند القدماء مرحلتا حبس الصوت وإطلاقه تعدان مرحلتا أساسيتان تشكلان مجمل الصوت ، على حين أن مرحلة الشدة هي المرحلة الحاسمة عند المحدثين ، ويعد إطلاق الصوت عندهم مرحلة ثانوية لا تؤكد جهراً ولا همساً.

---

(١) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١١٢ .

(٢) انظر ما قاله المحدثون عن الجيم المركبة ص ١٤٣ .

(٣) غير ما ذكرناه عن صوت الهاء .

* الاعتداد بمرحلة حبس الصوت في المخرج ، جعلت المحدثين يحكُمون على الحروف الشديدة التي لا يتحقق فيها اهتزاز الأوتار الصوتية أثناء هذه المرحلة ، بأنها أصوات مهموسة ، وهي : (القاف ، والطاء ، والكاف ، والتاء ، والهمزة). وكان الأَوْلَى أن يصفوها بأنها غير مجهورة ؛ حتى لا يصير هناك التباس في دلالة مصطلح الهمس بينهم وبين القدماء .

وهي خلافهم مع القدماء عدا (الكاف ، والتاء) اللذين هما مهموسان عند القدماء أيضاً، ولكن الهمس يأتي من جهة الإطلاق ، وليس من جهة الحبس .

وهو ما يؤكد اختلاف مصطلح (الهمس) بينهم ، لأن خلافهم مقتصر على هذه المجموعة الصوتية، (الشديدة) فقط ، وهو أمر ملفت للنظر والانتباه ، وكان الأَولَى بهم لو أنهم أخذوا الصوت في مجمله كما فعلوا مع الجيم ، لأنهم لو اقتصروا على الجزء الأول من الجيم لعدوه فقط صوتاً شديداً كما فعل القدماء ، لكننا رأيناهم يعتدون بمرحلة الإطلاق التي يتحقق فيها أثر من الرخاوة ، وسموا الجيم صوتاً مركباً على هذا .

وسأحاول أن أناقش نظرياً في الفقرات القادمة المشاكل التي يجدها المحدثون في صوت (الهمزة ، القاف ، الطاء) عارضاً وجهة نظرهم ، ومقارناً ذلك بما قاله القدماء عن هذه الحروف ، وما يقرؤه اليوم مجيدو القراءة ؛ أصحاب الأسانيد من القراء ، ثم أُتبع ذلك كله بالتجارب المعملية التي تثبت أو تنفي كلام أحد الفريقين.

قضية الهمزة :

- القدماء .
- المحدثون .
- مناقشة الهمزة حسب نطق القرَّاء .

الهمزة عند القدماء :

ذكرت فيما مضى[1] أن طريقة اختبار المجهور من المهموس عند القدماء قائمةٌ على حال تكرير الحرف مع الحركة، فإذا جرى النَّفَس مع الحرف تكريره مع الحركة كان الحرف مهموساً، وإذا امتنع كان مجهوراً. وبتكرير صوت الهمزة مع الحركة ؛ نجد أنَّ النَّفَس ينحبس، ولا يجري مع الصَّوت.

ولَّما كانت مرحلة حبس الصَّوت في المخرج (الشِّدَّة) غير معتدٍّ بها عند القدماء ، وإنَّما الاعتبار بحالة الإطلاق ، فقد لا حظوا أن الهمزة المحقَّقة لا تتحقَّق فيها مرحلة الإطلاق ، بالإضافة إلى أنَّها تتَّخذ أشكالاً عدَّة عند السُّكون . والقراءات القرآنية التي وصلَتنا شاهدة على ذلك .

فالإمام حمزة بن حبيب الزيات (أحد القراء السبعة) لا يقف على همزة ساكنة أبداً ، بل يُغيِّرها . فكلمة (يؤمنون) تصبح : (يومنون) ، وكلمة (لؤلؤ) تصبح : (لولو) ، وكلمة (السماء) تصبح: (السَّما) ، ولذلك لم يصفها القدماء في هذه الحالة ، حتى إن سيبويه بعدما تحدَّث عن الحروف الصِّحاح ، وكيفية الوقف عليها[2] ، أفراد للهمزة باباً مستقلاً في كيفية الوقف عليها[3] ومن

---

(١) انظر نقاط الاتفاق والاختلاف في الجهر و الهمس وبين القدماء والمحدثين، ص ١٢٩ .

(٢) سيبويه (الكتاب) ١٧٤/٤ .

(٣) المرجع السابق ١٧٧/٤ .

هنا قال ابن الجزري عنها : " وإنما لم يذكرها الجمهور لما يدخلها من التخفيف حالة السكون ، ففارقت أخواتها[1] ، ولما يعتريها من الإعلال "[2].

الهمزة عند المحدثين :

لم يرتض المحدثون وصف القدماء للهمزة بأنها مجهورة ، فخطؤوهم ، وفي ذلك يقول أحدهم : " ولكن النُّحاة والقرَّاء أخطأوا، فعدّوا هذا الصوت مجهوراً ، وهو أمر مستحيل استحالة مادِّية ما دامت الأوتار الصوتية مقفلة في أثناء نطقه "[3] بل إنَّ منهم من رماهم بالخلط حيث يقول : " أما آراء علماء العربية القدامى في وصف الهمزة ، فهي آراء كلها اضطراب وخلط"[4] .

هذا هو رأي المحدثين في وصف القدماء للهمزة ، فكيف كان وصفهم لها ؟

وقبل أن أجيب على هذا السؤال ، لا بدَّ أن أُذكِّر أن تصنيف المحدثين للحروف الشديدة من حيث الجهر والهمس قائمٌ على مرحلة حبس الصوت في المخرج ، فإذا تذبذبت الأوتار الصوتية خلال هذه المرحلة كان الصوت مجهوراً ، وإذا لم تتذبذب كان الصوت مهموساً (حسب دلالة مصطلح الهمس عندهم) ، فالقاف الساكنة من كلمة (يقطعون) مثلاً ، إذا تذبذبت الأوتار الصوتية خلال حبس صوتها في المخرج كان الصوت مجهوراً ، وإذا لم تتذبذب كان الصوت مهموساً ، لكننا نراهم في الهمزة قد اتخذوا خطَّين مختلفين ، فبعضهم نظر إلى أن الأوتار الصوتية تكون مغلقة تماماً ، ولا معنى لِنَعت هذا الصوت بالجهر أو الهمس، فهو صوت لا مجهور ولا مهموس . وبعضهم وافق المنهج ، فنظر إلى مرحلة حبس الصوت ،

---

(١) أي حروف القلقلة (قُطْبُ جَدٍ) .

(٢) ابن الجزري (النشر في القراءات العشر) ٢٠٣/١ .

(٣) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٢٥ .

(٤) كمال بشر (الأصوات) ص١١٢ .

وقال إن الأوتار الصوتية وقتها لا تتذبذب ، وبالتالي حكموا على الصوت بأنه مهموس .

فمن الفريق الأول من يقول : " فالهمزة إذن صوت شديد ، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً ، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ،ذلك الانفراج الفجائي الذي يُنتج الهمزة"[١] وتابعه ثان [٢] وثالث[٣] .

ومن الفريق الثاني من يقول : " صوت حنجري شديد مهموس مرقق ... وتأتي جهة الهمس في هذا الصوت من أن إقفال الأوتار الصوتية معه لا يسمع بوجود الجهر في النطق"[٤] .

ورجَّح الدكتور كمال بشر رأي الدكتور إبراهيم أنيس ، وهو أن يكون الصوت لا مجهوراً ولا مهموساً، لأن الهمس لا يحدث في نظره إلاَّ إذا انفرجت الأوتار الصوتية انفراجاً معيناً[٥] ، آخذةً وضع التنفس ، فالهمس ليس هو عدم الجهر ، قال: " والقول بأن الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور هو الرأي الراجح ، إذ إن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو بالهمس "[٦] .

لكن الدكتور رمضان عبدالتواب اعترض على الرأي الذي رُجِّح ، فقال : " وهذا رأي غريب لم يرض عنه جمهرة المحدثين للأصوات ، يقول الدكتور أيوب : " يقرر الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية أن الهمزة صوت لا هو بالمجهور

---

(١) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٩٠ .

(٢) كمال بشر(الأصوات) ص١١٢ .

(٣) محمود السعران (علم اللغة) ص١٥٧ .

(٤) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٢٥ .

(٥) كمال بشر(الأصوات) ص١٠٤ .

(٦) المرجع السابق ١١٢ .

ولا هو بالمهموس . وبالرجوع لتعريف الدكتور أنيس للجهر والهمس في الكتاب نفسه ، نجد أنه يصف الجهر بأنه صوت موسيقى ، يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين ، اهتزازاً منظماً .

ويصف الصوت المهموس ، بأن الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ، ومعنى هذا أن الأوتار الصوتية ، إما أن تتذبذب فيحدث الجهر ، أو لا تتذبذب فيحدث الهمس ، ولا ثالث لهاتين الإمكانيتين. ومن ثم فإن وصف الدكتور أنيس للهمزة بأنها ليست مجهورة ولا مهموسة وصف غير دقيق"[1].

وكلام الدكتورين أنيس وبشر لو أُخذ به لَحَلَّ إشكال المحدثين في باقي الحروف الأخرى المشابهة للهمزة أعني بها القاف والطاء والتاء والكاف ، لأن الطيات الصوتية تتخذ أيضاً وضعاً خاصاً فيها في حال لم تُتبَع مرحلة الشِّدة بشيء (أعني قلقلة أو همس) .

مناقشة الهمزة حسب نطق القرَّاء :

هناك إمكانات صوتية لنطق الهمزة بعيداً عن همزة الوصل :

١- إما أن تُتبعها بهواء التنفس .

٢- وإما أن تتبعها بحركة .

ولا ثالث لهما لأنك إن تهيأت لنطق (الهمزة) ، فلن يخرج منك صوت إلا إذا فتحت المخرج، واندفع الهواء المحبوس الذي هو إما نَفَسٌ أو حركة ، وطبيعي جداً أن لا أصف الصوت في مرحلة التهيؤ للنطق ، لأنني لا أستطيع أن أَحكم بوجود صوت في مرحلة الصمت. وعليه فلا يتبقى إلا هذه الإمكانات التي ذكرتها ، فما الذي صحَّ قراءة ؟

---

(١) رمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ص٥٧ .

من واقع القراءة القرآنية لا نجد أن النَّفَس يجري مع الهمزة بحال من الأحوال ، سواء في حال مجيئها مع الحركة ، أم في حال السكون ، فكيف أطلق المحدثون عليها صوتاً مهموساً ، مع أنهم صرحوا في موطنٍ آخر[1] ، أن كمية النَّفَس في المهموس أكثر منها في المجهور ؟! .

والذي يبدو أنه لكي يستقيم منهجهم ، لا بد أن تُتبع الهمزة بهواء النَّفَس ، وهو ما سمعته من بعضهم ، وهو ما لا يصح عند قرَّاء القرآن الكريم .

وهكذا .. فإننا نرى أن المحدثين قد اختلف تناولهم لصوت الهمزة ، بخلاف القدماء الذين نراهم قد احتاطوا لذلك ، فبَنوا كلامهم على ما هو واقعٌ فعلاً .

---

(١) انظر منهج المحدثين في تناولهم للجهر والهمس ص١٢٣ .

قضية القاف :

- القاف كما يراها المحدثون .
- القاف عند القدماء .
- مناقشة القاف حسب نطق القرَّاء .

القاف عند المحدثين :

بدأت بعض الدراسات اللغوية المعاصرة تُشيع أن القاف قد وصفها القدماء بالجهر ، لكنها في نطق مجيدي القراءة قد تطورت ، وأصبحت مهموسة ، وهذه أقوالهم تدلُّ على ذلك:

قال أحدهم : " القاف كما ينطق بها الآن في مصر بين مجيدي القراءات صوتٌ شديدٌ مهموسٌ، رغم أن جميع كتب القراءات قد وصفتها بأنها أحد الأصوات المجهورة "[1] .

وقال آخر : " وقد كانت القاف والطاء مجهورتين فعلاً في عصر سيبويه ، ولكنهما هُمِستا في عصرنا ، نتيجة ما حدث من تطور في نطق الأصوات العربية[2] .

وقد أرجع بعض المحدثين هذا الاختلاف في الوصف إلى عدَّة أسباب :

١- احتمال أنهم أخطأوا في وصف هذين الحرفين ، فعدُّوهما مجهورين ، وهما مهموسان .

٢- احتمال أنهم حين وصفوا هذين الحرفين كانا مجهورين ، ثم تغيَّرا أو تطوَّرا – على حدِّ قولهم – بعد ذلك حتى صارا مهموسين .

٣- احتمال أنهم وصفوا نوعاً مجهوراً من تلك الحروف كان سائداً في نطق بعض العرب[3].

---

(١) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٨٤ .

(٢) عبدالصبور شاهين (في التطور اللغوي) ص٢١٤ .

(٣) كمال بشر (الأصوات) ص١٠٣ .

لكن أكثر المحدثين بعد أن قدَّموا الاحتمالات الثلاثة رَاقَت لهم فكرة تطوُّر هـــذا الصوت ، فبعد أن ارتضوه مهموساً ، بدأوا يُفتِّشون عن أصل القاف التي وصفها القدماء ، فجاءوا بأحد احتمالين :

١- إما أن تكون جيماً قاهرية .

٢- أو أن تكون قافاً مُغَيَّنة كنطق بعض أهل السودان .

وهذه أقوالهم[١] تدلُّ على ذلك :

قال أحدهم : " لهذا نفترض هنا أن القاف الأصلية كانـــت تشـــبه ذلـــك الصوت المجهور الذي نسمعه الآن من بعض القبائل السودانية ، ثم هُمس مع توالي الزمن ، وأصابته صفة الشدة ، فأدى هذا إلى ما نعهده في قراءتنا ... ومن الممكن أن نفترض للقاف القديمة فرضاً آخر ربما كان أكثر احتمالاً، هو أنها كانت تشـــبه الجيم القاهرية ، ولكنها أعمق منها في أقصى الفم ، وأكثر استعلاء . ويستأنس لهذا الرأي بنطق معظم البدو الآن للقاف على هذا النحو"[٢].

وقال آخر : " ذكر سيبويه صوت القاف بين المجهورات ، فهل هذا خطأ منـــه ؟ الحقيقة أن هذا الصوت قد لحقه تطور في النطق الحديث ، وأنه كان ينطق مجهوراً في القديم ، والصوت الذي وصفه سيبويه قد يكون منطبقاً على نطق القاف جيماً قاهرية ، أو غيناً . وكلا النطقين ما يزال موجوداً حتى الآن في أماكن مختلفة مـــن البلاد العربية "[٣] .

---

(١) انظر بالإضافة إلى هذه الأقوال جان كانتينو (دروس في علم أصوات العربية) ص٥٠ ورمضان عبد التواب (المدخل إلى علم اللغة) ص٧٩ وكمال بشر (الأصوات) ص١١١ .

(٢) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٨٥ .

(٣) أحمد مختار عمر (البحث اللغوي عند العرب) ص١٠٨ .

قلت : أما الجيم القاهرية ، فلا يمكن أن تكون بديلاً عن القاف ، لأنه بتطبيق الطريقة التي ذكرها سيبويه[1] عن الفرق بين القاف والكاف ، والمبالغة في خفض الفكِّ السفلي ، نجد أن الكاف الفصيحة ، والجيم القاهرية من المتعذر النُّطق بهما بتطبيق هذه الطريقة ، لأنهما من مخرج واحد ، أما القاف الفصيحة ، فيمكن ذلك بتطبيق هذه الطريقة . هذه واحدة ، وأما الثانية ، فهي أن القاف التي نسمعها عند معظم البدو كما يقول أحدهم ، قد ذكرها القدماء، وسمعوها (القاف المعقودة)[2]، بل وعقدوا لها أحكاماً فقهية فيمن يصلي ويقرأ بها ، وهذه نصوصهم تؤكد ذلك :

قال ابن الحاجب عن هذه القاف: " وإن كان ظاهر الأمر أن العرب تتكلم به، وهي القاف التي كالكاف، كما ينطق بها أكثر العرب اليوم ، حتى توهَّم بعض المتأخرين أن القاف كذلك كانوا ينطقون بها.

والظاهر أنها في كلامهم ، وأن القاف الخالصة أيضاً في كلامهم . وأن القرآن لم يقرأ إلا بالقاف الخالصة على ما نقله الثقات متواتراً.

ولو كان تلك قرئ بها . لنُقلت كما نُقل غيرها "[3].

وقال ابن غازي ناقلاً قول ابن حجر العسقلاني في أحكام من صلّى ، وقرأ بقاف العرب: "وما ذكره ابن حجر أيضاً من بطلان صلاة من قرأ بقاف العرب أحد قولين . وَوَجْهه مع ما قرَّره أنها لغة ربيعة.

قيل: إنها أردأ اللغات، وأقبحها على الإطلاق.

---

(١) انظر طريقة سيبويه ص٥٤.

(٢) ناقش (القاف المعقودة) الدكتور غانم قدوري حمد في كتابه (الدراسات الصَّوتية عند علماء التجويد) ص٢٥٢ .

(٣) ابن الحاجب (الإيضاح شرح المفصَّل) ٢١٧/ب .

وقاف العرب، ويقال لها (القاف المعقودة): هي نطق بحرف متردِّد بين الجيم والكاف "[1].

وقال الإمام شهاب الدين القسطلاني: " والقاف كالكاف ، فرع عن القاف الخالصة ، وهي الآن غالبة في لسان من يوجد في البوادي من العرب ، حتى لا يكاد عربي ينطق بها إلا معقودة، أي كالكاف ، حتى توهَّم بعضهم أن العرب كانوا يقرؤون بها ، لكن الظاهر أن القرآن لم يقرأ إلا بالقاف الخالصة ، على ما نقله الأثبات متواتراً ، ولو قرئ بالمعقودة لنُقل ذلك كما نقل غيره ، ولما لم يُنقل دلَّ على أنه لم يقرأ بها "[2] .

وأما القاف المُغَيَّنة ، فهي رخوة ، والقاف الشديدة ، وذكر القدماء أن القاف من حروف القلقلة ، فكيف تتحقَّق القلقلة مع القاف المغيَّنة ؟

والأعضاء تميل عادةً إلى الاقتصاد في الجهد العضلي ، فنحن نستطيع تفسير تحول القاف الفصيحة التي ينحبس فيها جريان النَّفَس إلى قاف مغنَّية ، كما نسمعها في لهجة أهل السُّودان، أو قاف نَفَسيَّة ، كما نسمعها في اللَّهجة القاهرية ، واللهجة الدِّمشقيَّة ، وذلك بتغير صفة الشِّدَّة إلى الرَّخاوة ، لكنَّ تفسير العكس هو الذي يحتاج إلى وقفة تأمُّل .

والحقُّ أن كلَّ هذه التَّصورات التي نراها عند المحدثين عن القاف الفصيحة مرجعها إلى اعتدادهم بمرحلة انحباس الصَّوت في المخرج ، حيث لا تتذبذب الأوتار الصَّوتية أثناءها ، فحكموا على هذا الصوت بأنه مهموس (بحسب دلالة مصطلح الهمس عندهم) ، بخلاف القدماء التي لا تعني لهم هذه المرحلة إلا الشدة التي ينقطع

---

(١) ابن غازي (الدرر المنظمة البهية في حل ألفاظ الجزرية) ٥٥/أ .

(٢) شهاب الدين القسطلاني (لطائف الإشارات لفنون القراءات) تحقيق وتعليق الشيخ عامر عثمان والدكتور عبدالصبور شاهين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ، ١٨٥/١ .

الصوت فيها ، فهي وما بعدها تشكِّلان مجمل الصَّوت . وكلُّ الخلاف يكمن في مصطلح الهمس .

القاف عند القدماء :

استقام للقدماء استقام للقدماء طريقة تكرير الحرف مع الحركة مع كل الحروف ، والغريب في الأمر أن القدماء لكي يوضِّحوا طريقتهم في الفصل بين المجهور والمهموس ، مثَّلوا لهما بحرفين ، وهما (القاف والكاف) ؛ أحدهما يجري معه النَّفَس بحسب وصفهم ، وبحسب ما نقله القراء أداءً ، وهو (الكاف) ، والآخر ينحبس معه النَّفَس ، وهو (القاف) ، وهذه نصوصهم تؤيِّد ذلك :

قال الزمخشري عن الفصل بين المجهور والمهموس : " والذي يُتَعرَّف به تباينهما ، أنك إذا كررت القاف ، وقلت : (قَقَ) وجدت النَّفَس محصوراً لا تُحِسُّ معها بشيء منه ، وتردِّد الكاف فتجد النَّفَس مقاوداً لها ومساوقاً لصوتها"[1].

وبيَّن الجاربردي سبب اختيارهم للقاف والكاف فقال : " ومثَّل للمجهور بـ (قَقَقَ) وللمهموسة بـ (كَكَكَ) . فإنك إذا قلت : (قَقَقَ) وجدت النَّفَس محصوراً لا تُحسُّ معه بشيء منه ، وإذا قلت : (كَكَكَ) وجدت النَّفَس جارياً مع النطق بها غير محصور ، وإنما مثَّلوا بذلك ، لأنه إذا ظهر تباين القسمين في الحرفين المتقاربين ، وهما (القاف والكاف) ، كان في المتباعدين أبين "[2] .

وأعاد الرُّومي – وهو من أهل التجويد – قول الجابردي – وهو يدل على أن لا فرق بين ما ذكره أهل اللغة وما ذكره أهل التجويد – موضِّحاً أن التكرير يكون مع الحركة ، وأن التقارب بين القاف والكاف، إنما هو في المخرج ، فقال : " ويرشدك إلى هذا التباين ، ما ذكروه من أنك إذا كرَّرت حروف الجهر مع

---

(١) الزمخشري (المفصل في علم اللغة) ص٤٦٦ .

(٢) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٣٤١/١ .

تحرُّكها ، وقلت : (قَقَقَ) ، تجد النَّفَس محصوراً، لا تُحس معها شيئاً منه ، وإذا كرَّرت حروف الهمس مع تحرُّكها ، وقلت : (كَكَكَ) ، تجد النَّفَس جارياً مع النطق بها غير محصور .

وإنما مثَّلوا بهذين المثالين إيذاناً بأن تباين القسمين إذا ظهر في الحرفين المتقاربين مخرجاً ، وهما (القاف والكاف) ، كان ظهوره مع المتباعدين أكثر "[1] .

وهذه النصوص تبدو جليَّة حين تطبيقها على الأداء القرآني الذي نسمعه من القرَّاء المتقنين اليوم ، وهو ما يقودنا إلى النقطة الثالثة ، وهي طريقة نطق القرَّاء لهذا الصوت .

مناقشة القاف حسب نطق القرَّاء :

لكي نتعرَّف على نطق القراء في هذا الحرف ، علينا أن نبحث في الإمكانات الصوتية لنطق صوت (القاف) بعيداً عن همزة الوصل ، ولكي يتضح الأمر أكثر اخترت صوت (الكاف) للمقارنة به، وخاصة أن هذا ما ذكره القدماء.

الإمكانات الصوتية لنطق هذين الصوتين بتطبيق طريقة المحدثين (نطق الصوت مجرَّداً):

١- بتهيئة عضوي النطق على مخرج كل من هذين الصوتين ، نجد أنه من المتعذر أن يخرج صوت منهما ، وهما محبوسان في المخرج .

٢- مرحلة انفتاح المخرج تكون إما عبارة عن نَفَس Asprated ، أو صويت القلقلة هكذا :

ق + نَفَس أو قاف + قلقلة

ك + نَفَس أو كاف + قلقلة

---

(١) الرومي (شرح رسالة الدُّر اليتيم) ٣١/ب .

فأي هذه الصور قد نُقل لنا أداءً ؟

جريان النَّفس في القاف غير متحقق أبداً في القراءة القرآنية ، ولا على الوصف القديم أبداً ، سواء في حال مجيء الحرف مع الحركة ، أو في حال السكون ، فلو قلت : (قا) أو (اِقْ) ، لما وجدت للنَّفَس جرياناً قطّ ، ولو قلت : (كا) أو (اِك)، لوجدت النَّفَس جارياً في الحالتين معاً بعد انحباس الصوت في المخرج ، وذلك حسب الأداء القرآني .

وما يقوله المحدثون من أن كمية النَّفَس في المهموس أكثر منها في المجهور غير متحقق في (القاف) ، وهو متحقق في (الكاف) .

وأغلب الظَّن أن الخلل يكمن في طريقة نطق المحدثين لهذه الحروف ، فهي طريقة متأثرة بلهجاتهم ، و لم يراعوا فيها سنن القراءة .

فإن قيل : فإنك قد أَتبعت (القاف) بالقلقلة وهي تشبه طيفياً الحركة ، وهذا لا يجوز في منهج المحدثين.

قلت : على الرغم من أن هذا الاعتراض لا وجه له ؛ إذ هو يثير التَّساؤل التالي ، وهو:

لماذا يُجيز المحدثون لصَوت (القاف) أن يُتبع بنَفَس ، على حين لا يجيزون له أن يُتبع بالقلقلة مع أن النَّفَس والقلقلة لا دخل لهما في تغيير المعنى ؟! .

ألا ترى معي أن هذا يقتضي منَّا أن نصف ظواهر اللغة كما هي ، دون أن نتحكَّم فيها، فلو أتيتُ بصورة من خارج اللغة ، كأن أُتبع (القاف) نَفَساً مثلاً لأَتيتُ بِنُطقٍ لم يتحقَّق قطُّ في الواقع اللغوي الذي وُصف قديماً ، والأداء القرآني المُتْقَن الذي نسمعه من القرَّاء اليوم ، وفي هذا – على ما أظنّ – تحكُّمٌ لا مبرِّر له .

قضية الطاء :

- قضية الطاء كما يراها المحدثون .
- الطاء عند القدماء .
- مناقشة الطاء حسب نطق القرَّاء .

الطاء عند المحدثين :

حديث المحدثين عن (الطاء) يقارب حديثهم عن القاف ، حتى شاع عند معظم الدراسات اللغوية المعاصرة أن (الطاء) قد وصفها القدماء بالجهر ، لكنها في نطق مجيدي القراءة قد تطوَّرت ، وأصبحت مهموسة ، وهذه بعض أقـــوالهم[١] تدلُّ على ذلك :

قال أحدهم نافياً أن يكون القدماء قد أخطأوا في وصف الطَّاء ، بل رجَّح التغيُّر الصوتي له : " وليس من المحتمل أن يكون القدماء قد خلطوا في وصفهم بين صفتي الجهر والهمس فيما يتعلق بهذا الصوت ، ولكن الذي أرجِّحـــه أن صـــوت الطاء كما وصفها القدماء كان يشبه الضاد الحديثة لدى المصريين "[٢] .

وقال : " ولكن **التجارب الحديثة** تبرهن على أن الطاء كما تنطق بها الآن صوت مهموس ، وأن نظيرها غير المطبق هو التاء ، كما تبرهن على أن الصوت المطبـــق الذي نظيره الدال هو الضاد كما ننطق بها الآن. فما وصفوه لنا على أنه الطاء هو في الحقيقة الضاد المصرية الحديثة"[٣] .

---

(١) انظر بالإضافة إلى هذه الأقوال تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٢٢ وكمال بشر (الأصوات) ص١٠٢ ورمضان عبدالتواب (المدخل إلى علم اللغة) ص٧٥ وجان كانتينو (دروس في علم أصوات العربية) ص٥١ .

(٢) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص٦٢ .

(٣) المرجع السابق ص٦٣ .

وقال آخر : " فقدت (الطاء) الفصحى صفتها ، وهي (الجهر) فأصبحت تنطق مهموسة على كل مستوى في جميع أنحاء العالم العربي ، وفي **قراءة القرآن** ، ومن ثم أصبح مقابلها المستفل هو (التاء) .

ولسنا على شك من أن الطاء القديمة كانت مجهورة . بعد أن زال هذا الشك بتتبع ظاهرة (الإبدال اللغوي) بين الطاء وكل من الدال والتاء ، وأثبت الاستقراء الكامل لأمثلة معجم (لسان العرب) أن الكلمات التي تحتوي (طاء) في الفصحى يوجد لها نظير بنفس المعنى مع حلول (الدال) محلّ (الطاء)، وذلك في أكثر الأمثلة الإبدال اللغوي ، وكانت الأمثلة التي أبدلت فيها الطاء تاء قليلة نادرة، ومن الممكن تأويلها بالترادف لا في حدود ظاهرة الإبدال . وحسبنا هذا دليلاً من واقع اللغة على أن الطاء القديمة كانت مجهورة مفخمة، نظير الدال المجهورة المرققة"[1].

من الملاحظ على هذه النصوص ما يلي :

١- تحدث الأول عن التجارب الحديثة ، التي أثبتت أن الطاء مهموس ، وكلامه هذا يثير عدَّة إشكالات ، منها :

- لم يخبرنا عن نوعية هذه التجارب . وأيّ الأجهزة استخدم فيها ؟
- هل قامت هذه التجارب على الأداء القرآني ؟ وإذا كان ذلك ، فمن هم القراء أصحاب التجربة ؟ وهل أخذ عيِّنات من قراء العالم الإسلامي أم اكتفى بقراء مصر فقط – مع جلالة قدرهم- حتى يعطي هذا الحكم العام ؟

---

(١) عبدالصبور شاهين (في التطور اللغوي) ص١٩٣ .

٢- نصُّ الآخر يشهد للطاء الفصيحة المسموعة من القراء المتقنين اليوم ، والتي ينحبس معها جريان النَّفَس عند النطق بها ، أما الطاء التي يجري معها النَّفَس ، فهي الشبيهة بالتاء .

والاحتمال الذي قدمه الأول بديلاً عن (الطاء الفصيحة) ، أضاف معه بعض المحدثين[١] احتمالات أخرى :

أ- أن يكون القدماء قد أخطأوا في الوصف .

ب- أن يكون القدماء قد وصفوا طاء مشربة بالهمز ، وقد شرح معناها أحدهم ، فقال : " أما الطاء التي وصفها لنا القرَّاء القدماء ، فمجهورة على ما رأوا ، وهذا يحتاج إلى قليل من المناقشة .

ففي بعض اللهجات العاميَّة المعاصرة صوت من أصوات الطاء ، يمكن وصفه بأنه مهموز ، ولإيضاح ذلك نقول : إن طرف اللسان ومقدِّمه[٢] يتَّصلان في نطقه بالثَّنايا واللِّثة ، ويعلو مؤخر اللِّسان ، ويتراجع إلى الخلف في اتجاه الجدار الخلفي للحلق ، ويقفل المجرى الأنفي للهواء الخارج من الرئتين ، بخلف اتصال بين الطبق وبين الجدار الخلفي للحلق ، وفي نفس الوقت تُقفل الأوتار الصوتية ، فلا تسمح بمرور الهواء إلى خارج الرئتين . وبذلك تتكون منطقة في داخل الفم والحلق يختلف ضغط الهواء فيها عنه في الرئتين وفي الخارج . وفجأةً يتم انفصال الأعضاء المتحركة التي وصفنا اتصالها في وقت معاً ، فيندفع هواء الرئتين إلى الخارج ، ويندفع الهواء الخارجي إلى الداخل ، فيحدثان بالتقائهما أثراً صوتياً هو الطاء ، كالتي تُنطق في بعض لهجات الصَّعيد مثلاً . ومعنى كون الطاء مهموزة هنا أنه صحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق ، فأصبح عنصر الهمز جزءاً لا يتجزأ من

---

(١) كمال بشر (الأصوات) ص١٠٢ .

(٢) يعني به وسط اللسان .

نطقها. هذه الطاء مهموسة قطعاً؛ لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر، ويرجَّح عندي أن الطاء العربية الفصحى القديمة التي وصفها القراء كانت في صوتها، وفي نطقها بهذا الوصف . ثم لغرابة صوتها على السَّمع أخطأ النحاة والقراء فجعلوها مجهورة في دراستهم، وجعلوا الدَّال مقابلاً مرققاً لها ، أضف إلى ذلك أن النُّحاة والقراء في القديم قد وضعوا قاعدة قياسية تقول : إن كل صوت من أصوات القلقلة مجهور شديد ، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب ، لا في صفة الطاء فحسب ، بل في وصف أصوت مهموسة أخرى بالجهر كالقاف والهمزة ... فصوت الطاء الفصحى إذاً أسناني لثوي ، شديد ، مهموس ، مفخَّم ، مهموز "[1].

وكل واحد من هذه الاحتمالات قابلٌ للنقاش :

مناقشة الاحتمال الأول :

إذا رجعنا إلى البدائل التي قدَّمها المحدثون عن صوت القاف الفصيحة، وهي: الجيم القاهرية، والقاف المغيَّنة، وجدناها لا تُغيِّر المعنى، وإنما هو تغيير صوتي.

أما البديل عن الطاء الفصيحة الذي افترضه أغلبهم ، أعني به الضاد الحديثة ، فينشأ عنه لو سلَّمنا به تغيُّرٌ في المعنى ، ولتأكيد هذا أقول :

إذا فرضنا جدلاً أن (الطاء الفصيحة) كانت تنطق ضاداً كالضاد المصرية أو شبيهة بالضَّاد فكيف نقرأ قوله تعالى : (وأطيعوا الله ورسوله) [الأنفال١]؟ وكيف نقرأ قوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول) [النساء: ٦٩]؟

سيترتب على هذا لو كان يُقرأ به تغيير كبير لدلالات اللغة . وليس من المعقول أن لا يلحظ العلماء هذا التَّغيُّر الكبير ، مع شدَّة عناية القراء بالمحافظة على التَّلقِّي.

---

(١) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص١٢٢-١٢٣ .

ويبدو أن الذي سبّب هذا الإشكال عند المحدثين نصُّ سيبويه حينما تحدَّث عن حروف الإطباق ، قال : " ولولا الإطباق **لصارت الطاء دالاً** ، والصاد سينا ، والظاء ذالاً ، ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها "[1] .

وسأناقش هذا النص عند حديثي عن الطاء من خلال نطق القراء .

مناقشة الاحتمال الثاني :

وهو أن يكون القدماء قد أخطأوا في الوصف ، وهو يعتمد على مدى تقبل المحدثين لمنهج القدماء في معالجتهم للأصوات الشديدة[2] .

مناقشة الاحتمال الثالث :

وهو أن تكون الطاء مهموزة ، أي أُشربت صوت الهمزة ، وهو احتمال صحيح ينطبق أكثر ما ينطبق على ما يقرؤه القراء المتقنون اليوم ، مع غموض دلالة الطاء المهموزة يعني : هل هي مختلطة بصوت الهمزة أم ماذا ؟

إن هذا يستدعي منَّا أن نستمع إلى هذا النطق . وهو ما قمتُ به فعلاً ؛ إذا استمعت إلى هذه الطاء المهموزة من أحد كبار المحدثين[3] ووجدت أنها متطابقة مع الأداء القرآني ، لكن يبقى عنصر الهمز غير مُتحقِّق فيها ، إذ عند اختبارها بواسطة منظار الحنجرة ، وجدت أن الأوتار الصوتية تأخذ وضع الجهر مخالفةً بذلك وضع الهمزة .

وأختم كلامي في هذا الوضع بأن كلّ الاحتمالات التي قدَّمها المحدثون مما قادته إليه أذهانهم بعيداً عن التلقي ، إنما مرجعها إلى اعتدادهم بمرحلة انحباس الصوت في المخرج ، حيث لا تتذبذب الأوتار الصوتية أثناءها ، فحكموا على هذا

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٦ .

(٢) بمعنى أن مرحلة الشدة لا تؤكِّد جهراً ولا همساً عند القدماء .

(٣) هو الدكتور تمام حسان في جامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقاً.

الصوت بأنه مهموس ، بخلاف القدماء التي لا تعني لهم هذه المرحلة إلا الشدة التي ينقطع الصوت فيها ، فهي وما بعدها تشكلان مجمل الصوت . وكل الخلاف يكمن في مصطلح الهمس .

الطاء عند القدماء :

- الطاء التي كالتاء .
- شواهد على الطاء الفصيحة .

الطاء التي كالتاء :

ذكر سيبويه من الحروف الفرعية غير المستحسنة : الطاء التي كالتاء[1] ، دون أن يحدد ماهيَّتها، لكن نصوص العلماء بعد سيبويه ، قد ألقت بعض الضوء حولها .

قال الأعلم الشنتمري : " وأما الطاء التي كالتاء ، فإنها تسمع من عجم أهل المشرق كثيراً، لأن الطاء في أصل لغتهم معدومة ، فإذا احتاجوا إلى النُّطق بشيء فيه طاء تكلَّفوا ما ليس في لغتهم ، فضعف نطقهم بها "[2] .

وقال الجاربردي: " والطاء التي كالتاء ، وهي في لسان أهل العراق كثيرة ، كقولهم في طَالَت: تَالَت ، وفي السُّلطان : السُّلتان . وينشأ ذلك من لغة العجم . لأن الطاء ليست في لغتهم فإذا احتاجوا إلى النطق بشيء من العربية فيه طاء تكلَّفوا ما ليس من لغتهم ، فصعب نطقهم "[3] .

فإذا كان الهمس يعني عند القدماء جريان النَّفَس ، وهو متحقق في التاء ، والجهر يكون فيه انحباس لجريان النَّفَس ، وهو متحقق في الطاء ، فعليه لو أجريت النَّفَس مع الطاء لصارت كالتاء ، ومن هنا قال المرعشي : " والمراد من الطاء كالتاء كما يظهر من كلام الجاربردي تضعيف الطاء .

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤٣٢/٤ .

(٢) الشنتمري (النكت في تفسير كتاب سيبويه) ١٢٤٥/٢ .

(٣) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٣٣٩/١ .

أقول:وذلك بإعطائها همساً[1] كالتاء ، مع نقص إطباقها ، واستعلائها ، وتفخيمها ؛ إنما قلت (مع نقص) ، و لم أقل مع إعدام ، لأن الطاء إذا أُعطي لها همس ، مع إعدام إطباقها ، واستعلائها ، وتفخيمها تصير تاء محضة"[2].

والأمر لا يحتاج إلى توضيح أكثر من هذا .

وهذه الطاء التي كالتاء التي يتحقق معها جريان النَّفَس ، نسمعها في اللهجة الدمشقية والقاهرية .

شواهد على الطاء الفصيحة :

فيما يلي أذكر نصوصاً للقدماء ، يتبين القارئ من خلالها أنهم يتحدثون عن الطاء الفصيحة التي نسمعها من القراء المتقنين اليوم ، دون الصوت البديل الذي اختُرع أعني به الضاد الحديثة.

- قال ابن جني : " وقالوا: (قَطَّ الشيء) ، إذا قطعه عرضاً ، و(قدَّه) ، إذا قطعه طولاً ، وذلك ، لأن منقطع الطاء أقصر مدةً من منقطع الدال "[3] .

فلو أن الضاد الحديثة التي هي شبيهة بالدال هي التي عناها ابن جنّي ، لما ذكر الفرق في الزمن .

- وقال أيضاً عن الحرف الشَّديد : " ومعنى الشَّديد أنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه ؛ ألا ترى أنك لو قلت : الحق ، والشَّطّ ، ثم رُمت مدَّ صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعاً "[4] .
- وقال ابن يعيش : " ومعنى الشَّديد أنه الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه ، وذلك أنك لو قلت : الحج ، ومدَدْتَ صوتك لم يَجْرِ ، وكذلك لو

---

(١) معنى الهمس عنده وعند القدماء هو النَّفس الجاري مع الحرف .

(٢) المرعشي(بيان جهد المقلّ) ص٩ .

(٣) ابن جني (الخصائص) ٦٦/١ .

(٤) ابن جني (سر الصناعة) ٦١/١ .

قلت : الحق والشَّطّ ، ثم رُمت مدَّ صوتك في القاف والطاء لكان ممتنعاً"[1].

والسؤال الآن : ما بال ابن يعيش ومِن قَبْله ابن جنّى ذكر امتناع جريان الصوت في القاف والطاء ، على حين اكتفى ابن يعيش بذكر أن الجيم لم يجرِ الصوت فيها فقط دون أن يذكر امتناع الجريان ؟

الجواب : سبب ذلك أنك إذا قلت : (اِقْ – اِطْ) لوجدت أن الصوت ينقطع تماماً أثناء الحبس ، وتنعدم الطاقة الصوتية ، بخلاف الجيم والدال والباء التي تحتوي مرحلة الانحباس فيها على طاقة صوتية ، فلو كانت الطاء القديمة شبيهة بالضاد لشابهت الجيم في الانحباس ، ولقال عنها ابن يعيش إنها لم يجرِ الصوت فيها ؛ لأنها بهذا الاعتبار تُعدُّ دالاً مفخمة .

- وقال مكي بن أبي طالب: " فإن لم يتحفَّظ القارئ بإظهار لفظ التاء على حقها من اللفظ قَرُب لفظُها من لفظ الطاء ، ودخل في التصحيف .

وذلك نحو : (**يستطيع**) [البقرة ٢٨٢] ، و (**استطاع**) [آل عمران٩٧]، و (**يستطيعون**) [البقرة ٢٧٣] ، وشبهه لا بد من التَّحفُّظ بإظهار التاء في هذا النوع بلفظ مرقَّق غير مفخَّم ليظهر من لفظ الطاء التي بعدها "[2] .

أترى مكِّياً في هذا النص يتحدث عن الطاء الفصيحة ، أم عن الضاد الحديثة؟ وإذا فرضنا جدلاً أنه يتحدث عن الضاد الحديثة ، أفتبقى التاء على حالها، أم يؤدي هذا إلى سلسلة من التغيرات ، فتصبح التاء دالاً .. الخ ؟!

---

(١) ابن يعيش (شرح المفصَّل) ١٢٩/١٠ .

(٢) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص٢٠٦ .

- وقال أبو عمرو الدانيّ عن حكم التاء إذا لقيت طاء : " وإذا اجتمع[1] مع حروف الإطباق في كلمة ، فيلزم تعمُّل بيانه ، وتخليصه من لفظة الطاء ، وإلا انقلبت طاء ، كقوله تعالى : (فَاخْتَلَطَ) [يونس ٢٤] ، و (مَا اخْتَلَطَ) [الأنعام ١٤٦] ، و (فَإِن اسْتَطَعْتَ) [الأنعام ٣٥] ، و (فَمَا اسْتَطَاعُوا) [الذاريات ٤٥] ، و (أَفَتَطْمَعُونَ) [البقرة ٧٥] ، و (تَطَّلِعُ) [المائدة ١٣] ، (وَلا تَطْغَوْا) [هود ١١٢] ، (وَلا تَطْرُدِ) [الأنعام ٥٢] ، (وتَطْمَئِنُّ) [المائدة ١١٣]، و(تَطْهِيراً) [الأحزاب ٣٣]، و (تَطْلُعُ) [الكهف ٩٠] ، و (اسْتَطْعَمَا) [الكهف ٧٧] ، و(يَتَطَهَّرُونَ) [الأعراف ٨٢] ، و (الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة٢٢٢]، و (مُسْتَطِيراً) [الإنسان ٧] ، وما أشبهه "[2] .

فكلُّ هذه الأمثلة التي ذكرها الدَّانيُّ تشهد للطاء الفصيحة لا الضاد الحديثة . ولو عكسنا القضية مثلاً ، فجعلنا (الضاد) هي النطق الأصليّ لـ (الطاء) ، وجعلنا (الطاء) هي الصوت البديل عنها ، ثم قرأنا نص الدَّانيّ المتقدم ، فما الذي يتبادر إلى ذهننا فوراً ؛ الطاء أم الضاد ؟ وإذا افترضنا الضاد الحديثة هي الأصل ، فهل تبقى التاء على حالها ، أم يؤدي هذا إلى سلسلة من التغيُّرات ؟ .

مناقشة الطاء حسب نطق القرَّاء :

هناك إمكانات صوتية لنطق الطاء بعيداً عن همزة الوصل :

١- إما أن تتبعها بهواء التنفس .

٢- وإما أن تتبعها بحركة ، أو صويت القلقلة .

ولا ثالث لهما لأنك إن تهيأت لنطق (الطاء) ، فلن يخرج منك صوت إلا إذا فتحت المخرج، واندفع الهواء المحبوس الذي هو إما نَفَسٌ أو قلقلة ، وطبيعيٌّ جداً

---

(١) أي التاء .

(٢) أبوعمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص١٤١-١٤٢ .

أن لا أصف الصوت في مرحلة التهيُّؤ للنُّطق ، لأنني لا أستطيع أن أحكم بوجود صوت في مرحلة الصمت ، وعليه فلا يتبقى إلا هذه الإمكانات التي ذكرتها ، فما الذي صحَّ قراءة ؟ .

جريان النَّفَس في الطاء غير متحقق أبداً في القراءة القرآنية ، ولا على الوصف القديم أبداً ، سواء في حال مجيء الحرف مع الحركة ، أو في حال السكون ، فلو قلت : (طا) أو (اِط)، لما وجدت للنَّفَس جرياناً قطّ ، لأن الأول ينحبس معه جريان النَّفَس أثناء نطقه مع الحركة ، والثاني متبوع بقلقلة ، وينحبس معه جريان النَّفَس أيضاً .

وما يقوله المحدثون من أن كمية النفس في المهموس أكثر منها في المجهور غير متحقق في (الطاء) .

ونأتي الآن إلى نص سيبويه الذي أشكل على كثير من الباحثين وهو قوله : " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً ، والصاد سينا ، والظاء ذالاً ، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من الحروف من موضعها غيرها "[1] .

عقد أهل التجويد مقارنةً بين الطاء والدال والتاء ، فمن ذلك ما ذكره مكي بن أبي طالب مفرِّقاً بين التاء والطاء ، قال : " ألا ترى أنه لولا الإطباق ، والاستعلاء ، والجهر اللواتي في الطاء لكانت تاء ، لأنهما في الشدة سواء ، ولأنهما من مخرج واحد . وكذلك لولا الهمس والتسفل ، والانفتاح ، اللواتي في التاء لكانت طاء "[2] .

وقال مبيِّناً سبب قرب الطاء من الدال : " كذلك لولا الإطباق والاستعلاء اللذان في الطاء لكانت دالاً ، لأنهما في الجهر والشدة متساويان ، ولأنهما من مخرج واحد . فالدال أقرب إلى الطاء من التاء إلى الطاء ، والمخرج للثلاثة الأحرف واحد ،

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٦.

(٢) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص٢١٦-٢١٧.

وكذلك لولا الانفتاح والتَّسفُّل اللذان في الدال لكانت طاءً ، وكذلك لولا الجهر الذي في الدال لكانت تاءً ؛ لأنهما من مخرج واحد . وكذلك لولا الهمس الذي في التاء لكانت دالاً . فالدال إلى التاء أقرب منها إلى الطاء. فافهم هذا التناسب بين الحروف ، وقس عليه ما لم نذكر لك "[1] .

ولو افترضنا أن الطاء أُتبعت بهواء النَّفَس في حال التحرك وحال السكون ، كما نسمعه من بعض الألسنة اليوم ، لأصبحت الطاء في هذه الحالة تاءً مُفخَّمة . أمَا وإنَّه لم يُنقل لنا ذلك فإن الطاء بزوال إطباقها تصير إلى أقرب الحروف إليها وهي الدَّال وإن كانت ليست كالدال في السمع . ومن هنا قال مكي : " فإنما فرَّق بينهما في السمع اختلاف بعض الصفات لا غير"[2].

وذكر المرعشيّ بوضوح تام أن إعطاء الطاء همساً[3] كما نسمعه في اللهجة الدِّمشقية ، والقاهريَّة ، ولا يُغيِّر الحرف ، وإنما هو تغيير صوتي ، ويُعد صاحبه لاحناً عند القراء ، قال : "ولو **أعطيت الطاء همساً** مع بقاء الإطباق ، والاستعلاء، والتفخيم **لا تصير حرفاً آخر سوى أنه لَحْنٌ** ، ويفترق الدال عن التاء بالجهر فقط ، فلولا الجهر في الدال لكانت تاء ، ولولا الهمس في التاء لكانت دالاً ، فالطاء أقرب إلى الدال منها إلى التاء بدون العكس ، لأن الدال أقرب إلى التاء "[4].

فالمرعشي يشير بوضوح أن ليس معنى أن يقرأ بعض القراء (الطاء والقاف مُجرين فيها النَفَّس أن يكون الحرف قد تغيَّر بالضرورة ، بل يُعدُّ هذا لحناً صوتياً لا تأثير له على المعنى عند القراء).

---

(١) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص٢١٧.

(٢) المرجع السابق ص٢٠١.

(٣) معنى الهمس عنده وعند القدماء هو النفس الجاري مع الحرف.

(٤) المرعشي (جهد المقل) ص٤٢.

وهذا النص يؤكد بوضوح تام اختلاف دلالة مصطلح الهمس بين القدماء والمحدثين، وأنه يعني به (النَّفَس) فقط لا مرحلة (الصَّمت).

وقد استُخدم جهاز مقياس تدفق الهواء (Ap2) لقياس نسبة الهواء في الطاء والدال والتاء حين مجيئها مع الحركة هكذا : (طا ، دا ، تا) .

ونلاحظ أن الطاء أقرب إلى الدال من التاء ، وفي هذا تفسير لمراد سيبويه في قوله (ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً) ، وتفسير لمراد الأقدمين من الهمس .

وإذ عرفنا صوت الطاء الفصيحة التي ينحبس معها جريان النَّفَس ، أدركنا بسهولة كيف تحوَّلت الطاء إلى ضاد في بعض لهجات اليمن كقولهم في مثل (مَطر): (مَضَر) ، لأن الضَّاد أسهل من الطاء ، وأدركنا كذلك وجود الطاء التي هي شبيهة بالتاء ، وذلك بسبب جريان النَّفَس معها .

أما بالنسبة للجزء الأخير من نص سيبويه الخاص بالضَّاد ، فقد قال ابن أبي مريم الشيرازي (وهو من شيوخ القراءات) معلقاً على قول سيبويه : " ولخَرجَت الضَّاد من الكلام ، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها ، وموضعها موضع الإطباق، فإذا عُدم الإطباق عُدِمَت الضاد "[1] .

وموضع الضاد أي مخرجه كما يقول الاستراباذي: " حافة اللسان ، وحافة اللسان تنطبق على الأضراس ... وباقي اللسان ينطبق عليه الحنك "[2] .

وتفسير كلام سيبويه على ضوء كلام الاستراباذي والشيرازي يصبح سهلاً ميسوراً إذ إن باقي حروف الإطباق (الطاء والصاد والظاء) إذا انعدم الإطباق فيها ، فهي تنضغط من مكان آخر لأن هذه الثلاثة من حروف طرف اللسان ، ومعلوم أن التحكم بالطرف سهل ميسور ، أما في الضاد فإن الانضغاط يكون من

---

(١) ابن أبي مريم (الموضح في وجوه القراءات وعللها) ١٧٣/١ .

(٢) الاستراباذي (شرح الشافية) ٢٦٢/٣ .

حافَّة اللسان ممتداً (في حيِّز الجيم والشين والياء)[1] إلى موضع الإطباق وهو أقصى اللسان ، فلذلك إذا عدم الانضغاط في مؤخِّر اللسان (الإطباق) عَدِم الانضغاط في حافة اللسان (مخرج الضَّاد) لاتصالهما ببعضهما. والله أعلم .

(١) ابن يعيش (شرح المفصل) ١٠/١٢٥ .

المطلب الثالث

الاستعلاء والاستفال والانفتاح والإطباق عند القدماء والمُحْدَثين

- **تعريف الاستعلاء والاستفال والانفتاح والإطباق عند القدماء :**

تعريف الاستعلاء والإطباق واضح لا لَبْس فيه عند أهل العربية والتجويد ، قال ابن جني مُعرِّفاً الاستعلاء : " ومعنى الاستعلاء : أن تتصعد[١] في الحنك الأعلى ، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق ، وقد ذكرناها [٢] . وأما الخاء والغين والقاف ، فلا إطباق فيها مع استعلائها"[٣] ، وعرّف ابن جني الإطباق فقال : " والإطباق أن ترفع ظهر لسانك [٤] ، إلى الحنك الأعلى مُطْبقاً له [٥] . وتبلور هذا الفهم عند أهل التجويد فقال مكي مبيناً سبب تسميتها: " حروف الاستعلاء : وهي سبعة : منها الأربعة الأحرف التي هي حروف الإطباق المذكورة ، و (الغين، والخاء ، والقاف) ، إنما سميت بالاستعلاء ؛ لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك ، فينبطق الصوت مستعلياً بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك مع حروف الإطباق... ولا ينطبق مع الخاء ، والغين ، والقاف ، إنما يستعلي الصوت غير منطبق بالحنك"[٦]، ولذلك قال أهل التجويد قولتهم : كل مطبق مستعل ولا عكس ، وتحقيق ذلك ماقاله ابن غازي عن الفرق بين الاستعلاء والإطباق :" ثم الاستعلاء المذكور قد يكون انطباق اللسان على الحنك، وقد لا يكون .

---

(١) أي حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) .

(٢) يعني بها الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء .

(٣) ابن جني (سر الصناعة) ٦٢/١ .

(٤) ظهر اللسان هو ما يقابل غار الحنك الأعلى من اللسان .

(٥) ابن جني (سر الصناعة) ٦١/١ .

(٦) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١٢٣ .

فعلى الأول ؛ يسمى الحرف مستعلياً ومطبقاً. وعلى الثاني ؛ يسمى مستعلياً فقط ، فكل مطبق مستعل ، وليس كل مستعل مطبقاً ، لأن الإطباق يستلزم الاستعلاء ، والاستعلاء لا يستلزم الإطباق"[1]

وعن تعريف الانفتاح والاستفال : قال الاستراباذي: " والمنفتحة بخلافها لأنه ينفتح ما بين اللسان والحنك عند النطق بها ، والمستعلية: ما يرتفع بسببها اللسان ، وهي المطبقة والخاء والغين المعجمتان، والقاف ، لأنه يرتفع اللسان بهذه الثلاثة أيضاً ، لكن لا إلى حد انطباق الحنك عليها، والمنخفضة : ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع ، وهي كل ما عدا المستعلية" [2] ، وقال مكي عن الاستفال :" وإنما سميت مستفلة لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك كما يستعلي عند النطق بالحروف المستعلية المذكورة ، بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها " [3] ، أي بحسب مخارجها .

- **أقوال القدماء في الاستعلاء والإطباق :**

سألخص حديثي عن أقوال القدماء في عدة نقاط :

١- المعتبر في الاستعلاء هو أقصى اللسان :

بيّن بعض أهل العربية أن الاستعلاء في الغين ، والخاء ، والقاف لا يكون إلا بأقصى اللسان بخلاف الاطباق الذي يستعلي فيه اللسان أيضاً مع انطباق الحنك على وسط اللسان أي اتخاذه شكل الطبق ، وفي ذلك يقول الجاربردي : " ولا يلزم من الاستعلاء الإطباق ، ويلزم من الإطباق الاستعلاء ، ألا ترى أنك إذا نطقت بالخاء، والغين ، والقاف استعلى أقصى اللسان إلى الحنك من غير إطباق، وإذا نطقت بالصاد وأخواتها استعلى اللسان أيضا إلى الحنك وانطبق الحنك على وسط اللسان" [4] .

---

(١) ابن غازي (الدرر المنظمة البهية في حل ألفاظ الجزرية) ٨٥/ب - ٨٦/أ .

(٢) الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٢٦٢/٣ .

(٣) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١٢٤ .

(٤) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ٣٤٢/١ .

ومن هنا عَلِمنا لماذا لم يَعُدَّ القدماء الكاف والجيم وما بعدهما من حروف الاستعلاء مع إن فيهما ارتفاعاً للسان ، كما أشكل ذلك على بعض الدارسين من المحدثين [1] .

ووضح بعض أهل التجويد سبب إخراج الكاف وما بعدها من حروف الاستعلاء فقال المرعشي مناقشاً نص الجاربردي المتقدم فقال: " والذي ظهر للفقير بعد التأمل الكثير في كلام الجاربردي أن المعتبر في الاستعلاء في اصطلاحهم استعلاء أقصى اللسان، سواء استعلى معه بقية اللسان أَوْ لا ، فحروف وسط اللسان والكاف لا يستعلي بها إلا ما بين أقصى اللسان ووسطه، فلم تُعَدَّ هذه الأربع من المستعلية ، وإن وجد فيها استعلاء اللسان ؛ لأن استعلاءه في هذه الأربع ليس مثل استعلائه بالحرف المستعلي"[2].

فالمرعشي كما هو واضح جعل الكاف تخرج من منطقة هي بين وسط اللسان وأقصى اللسان، فلذلك لم يَعُدَّها من حروف الاستعلاء ، وقد بيّنت في باب المخارج[3] ، أن الكاف تخرج من منطقة الحنك الصلب ، بخلاف الغين ، والخاء ، والقاف. وحسبك هذا دليلا من واقع التجارب المعملية على صحة كلام القدماء .

٢- عَلِمَ علماء العربية أن صفة الإطباق من الصفات المميزة التي تفصل بين الحروف ، فقد نقل مكي عن المازني قوله : " إن الذي فصل بين الحروف التي أُلِّفَ منها الكلام سبعة أشياء : الجهر والهمس ، والشدة والإرخاء ، والإطباق ، والمد واللين "[4].

---

(١) عبدالرحمن أيوب (العربية ولهجاتها) ص ٩٦ .

(٢) المرعشي (جهد المقل) ٢١ – ٢٢.

(٣) انظر مخرج الكاف ص ٥٢.

(٤) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١٤٣.

فلم يعد حروف الاستعلاء منها ، لأنها لا تفصل بين الحروف فالخاء ، والغين ، والقاف إذا رققتها أو فخمتها لا يُعَدُّ الترقيق والتفخيم فيها مغِّيرًا لذواتها بخلاف حروف الإطباق.

٣- لاحَظَ بعض أهل العربية أن اللسان في حالة الإطباق يأخذ شكل الطبق عند الإطباق ، وهو معنى التقعُّر الذي يتخذه اللسان كما ذكر المحدثون[١]. وهذا قد أشار إليه سيبويه حين تحدث عن حروف الإطباق، فقال : "وهذه الحروف الأربعة إذا وضعتَ لسانك في مواضعهنّ انطبق لسانك من مواضعهنَّ إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك ، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف... فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان ، وقد بُيِّنَ ذلك بحصر الصوت"[٢].

وذكره الاستراباذي صراحةً فقال : " المطبقة ما ينطبق معه الحنك على اللسان ، لأنك ترفع اللسان إليه ، فيصير الحنك كالطبق على اللسان ، فتكون الحروف التي تخرج بينهما مطبقاً عليها "[٣].

٤- بَيَّنَ أهل التجويد أن حروف الإطباق تختلف في مدى انطباق اللسان على الحنك فيها، فقال مكي : "وبعضها أقوى في الإطباق من بعض ، فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها ، لجهرها وشدتها ، والظاء أضعفها في الإطباق لرخوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ، والصاد والضاد متوسطتان في الإطباق "[٤].

---

(١) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٧٦ ، وسعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ص ٢٠٦.

(٢) سيبويه (الكتاب) ٤٣٦/٤.

(٣) الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٢٦٢/٣ .

(٤) مكي بن أبي طالب (الرعاية)ص ١٢٢- ١٢٣ .

فالظاء أضعفها ، لأن المخرج يكون بطرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ، فلا ينطبق ما حاذى اللسان على الحنك الأعلى ، بل يكون طرفه محصوراً بأطراف الثنايا، ففي طرف اللسان تسفل . وقد ذكر ذلك المرعشى ببلاغته ، فقال معلقاً على قول مكي : (وانحرافها إلى طرف اللسان) " أي انحرافها عن ظهر اللسان إلى طرفه قال في الصحاح : يقال انحرف عنه أي مال وعدل .

أقول : ولما كان اللسان مقوساً في الظاء ، ظهرُه مستعل ومنطبق على الحنك ، ورأسه منخفض إلى أطراف الثنايا ، فصوت الظاء ونفَسه الجاري لما وصل إلى وسط اللسان انحرف إلى جهة السُّفل ، وعَدَل عن خط جريانه مستقيماً إلى تلك الجهة . والله أعلم"[1].

ومن هنا يتضح أن حرف الطاء فقط هو الذي يتحقق فيه انطباق اللسان على الحنك انطباقاً شبه كامل، وأن باقي حروف الإطباق الأربعة يتفاوت فيها انطباق اللسان على الحنك .

٥- ذكر أهل التجويد أن الحروف تتفاوت فيما بينها بحسب الصفات القوية التي يمتلكها كل حرف ، ولما كانت حروف الإطباق هي أقوى الحروف ذكر أهل التجويد نسبة التفاوت فيما بينها ، وكان مكي بن أبي طالب قد تحدث عن الصفات القوية والضعيفة التي يمتلكها كل حرف ، فقال عن التفاوت بين حروف الإطباق : " كذلك الصفات القوية ، إذا كان أحدها في حرف قَوِيَ بذلك ، فإذا اجتمعت في حرف كان ذلك أقوى له كـ(الطاء) الذي أجتمع فيه الجهر والشدة والإطباق والاستعلاء ، ونحو الصاد الذي اجتمع فيه الصفير ، والإطباق ، والاستعلاء ، فهو دون الطاء في القوة ، إذ عدمت الجهر والشدة. و(الضاد) أقوى من الصاد ؛ لأن الضاد حرف مجهور ، مع أنه مطبق مستعل ، مستطيل ، فالجهر الذي فيه أقوى من الصفير الذي في الصاد. فاعرف هذا" [2].

---

(١) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٢٣ .

(٢) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١٢٠.

٦- ذكر بعض أهل التجويد أنه لا يلزم من انحصار الصوت في حروف الإطباق أن يكون المخرج بالضرورة في موضع الإطباق وفي ذلك يقول المرعشي عاقداً سؤالاً وهو : " إن قلت: ينحصر الصوت في حروف الإطباق بين وسط اللسان والحنك الأعلى ، فلزم أن يكون مخرج الطاء أوسع مع مخرجي أختيها [١] قلت : شرط كون العضو مخرجاً ؛ انقطاع الصوت عنده ، ولا يكفي الانحصار . ولا ينقطع صوت الطاء إلا في موضع ينقطع صوت أختيها فيه .[٢]

هذه هي أقوال القدماء في تناولهم لمصطلح الاستعلاء والإطباق ، فماذا أضاف المحدثون ؟

- **تعريف الاستعلاء والإطباق عند المحدثين :**

مصطلح الاستعلاء الذي يشمل حروف الإطباق ، والغين والخاء والقاف ، جعله المحدثون تحت مصطلحين هما : الإطباق (ويشمل حروف الإطباق الأربعة) ، والطبقية (ويشمل الغين والخاء والقاف) وفي ذلك يقول أحدهم : " فالطبقية ارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق ، فيسد المجرى ، أو يضيقه تضييقاً يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما ، فهي إذاً حركة عضوية مقصودة لذاتها يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد.

أما الإطباق فارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به ، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق ، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه " [٣] .

---

(١) يعني بها التاء والدال .

(٢) المرعشي (جهد المقل) ص ١٨ .

(٣) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١١٥ .

على أنه يلاحظ على المحدثين أنهم قد أدخلوا (الكاف) من جملة الحروف الطبقة ، وهو ما تنقضه تجارب الحنك الكهربي .

- **اختلاف المحدثين في تحديد المصطلح** :

رغم وضوح مصطلح الإطباق عند بعض المحدثين ، إلا أن بعضهم قد جعله شاملاً لشيئين، حيث يقول أحدهم : " وأما الإطباق ، فله معنيان :

أ- جذب المخرج الغاري في اتجاه الطبق ...

ب-ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق ، وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق . وتصحب هذه العملية في اللغة العربية نطق الصاد والضاد والطاء والظاء التي لها مقابلات غير مطبقة ، وهي السين والدال والتاء والذال، وبعضهم يسمي ظاهرة الإطباق... بظاهرة التحليق وذلك ؛ لأن حركة اللسان التي تصاحبها مزدوجة إلى أعلى قليلاً ، وإلى الخلف قليلاً " [1].

ويلاحظ من خلال هذا النص وجود مصطلحات أخرى بالإضافة إلى الطبقية والإطباق كالتحليق والغارية ، وهذا الذي يحْدونا أن نُعرِّف كلاً منها :

فالإطباق عند المحدثين هو ما يشمل الحروف الأربعة وهي الصاد والضاد والطاء والظاء. أما **الطبقية** فهي عندهم الحروف التي يكون مخرجها من الطبق (الحنك اللين) كالواو والغين والخاء والكاف [2].

وأما **الغارية** فهي الشَّجْرية عند القدماء وهي تشمل الحروف التي ينتجها وسط اللسان مع وسط الحنك الأعلى.

وأما **الحلقية** فهي الحروف التي تخرج من منطقة الحلق كالعين والحاء . **والتحليق** هو " قرب مؤخر اللسان من الجدار الخلفي للحلق ، نتيجة لتراجع اللسان بصفة عامة"[3].

والإطباق والتحليق هما عنصرا التفخيم عند المحدثين على أن منهم من يجعلهما مصطلحاً واحداً [4].

---

(١) أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ١٢٤ .

(٢) في الكاف نظر ؛ لأنها تخرج من منطقة الحنك الصلب .

(٣) تمام حسان " مناهج البحث في اللغة " ص ١١٦ .

(٤) أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ١٢٥ .

وقضية توحيد المصطلحات مهمة جداً في الكتب الصوتية الحديثة ، ولاسيما أن القارىء العربي بحاجة إلى أن يعرف آخر ما وصل إليه علم الصوتيات الحديث ، فإذا وجد أن كل كتاب من كتب الصوتية له مصطلحاته الخاصة ؛ كان ذلك سبباً في عزوفه عن هذه الكتب مع ما فيها من مادة صوتية نافعة .

ومن الغريب أن بعض المحدثين قد لاحظ على القدماء عدم توحيد المصطلحات بينهم وغموض بعضها [١] .

وهذا الذي ذكره أحرى به أن يكون عند المحدثين ، قال أحدهم : " وإذا كنا لاحظنا قلقاً في الاصطلاحات الخاصة بعلم الأصوات اللغوية ، فإن مرجع ذلك هو عدم الاتفاق حتى الآن على تصنيف تحدده أسماء يلتزم بها الجميع ، وما زال المؤلفون إذا ترجموا المصطلح الأوربي ترجموه بما يعن لكل واحد منهم" [٢]، وقال آخر : "ولا شيء أيضاً يدعونا إلى الأخذ بمصطلحات المحدثين غير المستقرَّة ، والتي تُوقع إذا استُعملت في لَبس شديد ، لأن المحدثين لم يتفقوا على الأخذ بواحد منها "[٣] .

ومن جملة انتقاداته – والتي تهمنا في هذا الموضع – استخدام سيبويه مصطلح الإطباق في مقابل مصطلح الخليل : الاستعلاء [٤].

وهو أمر غير مسلَّم به ، قال سيبويه في (باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات التي أملتها فيما مضى) : "فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة : الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء ... وإنما منعت هذه الحروف الإمالة ، لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى ..."[٥]

---

(١) أحمد مختار عمر " البحث اللغوي عند العرب" ص١٠٦- ١٠٧ .

(٢) حسن ظاظا (كلام العرب) دار القلم الناشران – دمشق – الدار الشامية – بيروت ، ط٢ /١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص٢٢.

(٣) عصام نور الدين (علم الأصوات اللغوية " الفونيتيكا ") دار الفكر اللبناني ط١/ ١٩٩٢م بيروت – لبنان، ص ٢٠٥، وهذا الكتاب من أفضل الكتب المبسطة التي تشرح علم الأصوات الحديثة مع مقارنته بالقديم معتمداً في ذلك طريقة السؤال والجواب .

(٤) أحمد مختار عمر " البحث اللغوي عند العرب " ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٥) سيبويه (الكتاب) ١٢٨/٤-١٢٩ وهذا الباب الذي ذكره سيبويه يوضح فيه في أكثر من موضع مصطلح الاستعلاء .

وعرّف آلية الإطباق بقوله : " وهذه الحروف الأربعة إذا وضعتَ لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك ، فإذا وضعتَ لسانك ، فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف ، وأما الدال ، والزاي ونحوهما، فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن. فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّنَ ذلك بحصر الصوت ، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"[1].

ومشكلة بعض المحدثين مع سيبويه تكمن في أنهم يأخذون بعض كلامه ، ويتركون بعضاً ، والرجل قد ألف سفراً ضخماً ، وما قصر حديثه عن الجوانب الصوتية في بضع وريقات كـ:باب الإدغام ، يشهد لهذا الباحث المدقق ، ولست مبالغاً إذ أقول : إن أغلب الظواهر الصوتية التي تحدَّث عنها أهل العربية وأهل التجويد مبثوثة في كتاب سيبويه .

- **الإطباق صفة حاسمة بين الحروف عند المحدثين :**

عَلِمَ المحدثون أن صفة الإطباق صفة حاسمة تفصل بين الحروف ، وفي ذلك يقول أحدهم: " ويلاحظ أن كلاً من الصاد ،والضاد ،والطاء ، والظاء لها مقابل مرقق ، ولذلك تراعي اللغة الفصل بحسم بين المتقابلين حتى لا يقع اللبس... وأما الخاء والغين، والقاف ، فليس مقابل مرقق ، ولذلك تتساهل اللغة في ترقيقها لأنه لا يترتب عليه تداخل فونيمين [2] .

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٣٦ .

(٢) أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ٣٢٦ .

ويلاحظ على النص السابق أنّه قد جعل لحروف الإطباق كلها مقابلاً مرققاً بخلاف الغين والخاء والقاف ، وكان الأَوْلى به أن يقول : ليس لها مقابل منفتح؛ إذ التفخيم لا يعني الإطباق ولا الاستعلاء ، ولكنه ملزوم لهما . والانفتاح عكس الإطباق . وأمر آخر وهو أنه جعل الدال مقابلاً مرققاً للضاد ، وهذا يصح فقط في مقام اللهجات بخلاف نطق القرّاء.

وكان الدكتور تمام حسان أدق عبارة حين : " فإذا عرفنا أن الإطباق صفة تطَّرد وجوداً وعدماً مع قيمة صوتية معينة ، أمكن أن نقول : إن الإطباق يصلح نقطة اتفاق أو نقطة اختلاف بين الأصوات اللغوية"[1] .

(١) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١١٥ .

التفخيم والترقيق عند القدماء والمحدثين

التفخيم سمة تتسم بها حروف الاستعلاء وغير حروف الاستعلاء ، ولأجل هذا السبب فرق أهل التجويد بين ما يسمى حق الحرف ومستحق الحرف ، فقالوا : إن حق الحرف هو إعطاؤه الصفات اللازمة له والمصاحبة التي لا تنفك عنه حال تحركه وسكونه ، كالجهر والهمس ، والشدة والرخاوة . ومستحقه : هو ما ينتج عن هذه الصفات ، كالتفخيم والترقيق ، وفي ذلك يقول الرومي : " ثم الفرق بين الحق والمستحق أن الحق صفة اللزوم ، كالجهر والهمس وغيرها . فإنها صفات لازمة لذوات بعض الحروف غير منفكة عنها . والمستحق صفة العروض كالتفخيم والترقيق ونحوهما ، فإنها صفات غير لازمة لذوات الحروف بل عارضة لها ناشئة عن الصفات اللازمة غالباً كتفخيم الحرف المستعلي وترقيق الحرف المستفل وغير ذلك "[1].

فالراء قد تفخم في بعض المواضع ، وقد ترقق في أخرى مع أنها حرف مستفل منفتح، وكذلك اللام في لفظ الجلالة .

تعريف التفخيم والترقيق عند القدماء :

التفخيم كما عرفه ابن الجزري: " عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف ، وامتلاء الفم بصداه " [2].

والترقيق: " هو نحول يدخل على جسم الحرف فلا يملأ صداه الفم ، ولا يغلقه ، وهو نوعان: ترقيق مفتوح ، وترقيق غير مفتوح ، وهو الإمالة على نوعيها [3] ، فكل فتح ترقيق ، وليس كل ترقيق فتحاً [4]. وكل إمالة ترقيق،

---

(١) الرومي (شرح رسالة الدر اليتيم) ص ٢٧/ب .

(٢) ابن الجزري (التمهيد في علم التجويد) ص ٥٨ .

(٣) أي " التقليل " ويسمى إمالة صغرى ، والإمالة وتسمى إمالة كبرى .

(٤) أي كل فتح مرقق ترقيق ، وليس كل ترقيق فتحاً ؛ لأنه يشمل الإمالة .

وليس كل ترقيق إمالة "[1] ، ومعنى (على جسم الحرف) أي على صوته [2] ، فهما أثران ينتجان عن اتخاذ أعضاء النطق وضعاً معيناً .

- **حروف التفخيم عند القدماء :**

ظهر اتجاهان عند القدماء في كون حروف الاستعلاء هي حروف التفخيم ، أو حروف الإطباق فقط . والراجح منهما هو جعل حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) كلها حروف التفخيم . فمن الفريق الأول مكي ابن أبي طالب ، وفي ذلك يقول: " حروف التفخيم : وهي حروف الإطباق... يتفخم اللفظ بها لانطباق الصوت بها الريح من الحنك"[3].

و لم يعد الغين ، والخاء ، والقاف منها ، ولكنه أعطى التفخيم للغين ، والخاء حينما يكونان مفتوحين فقط [4] ، وللقاف حينما تكون مفتوحة ومضمومة فقط قال: " وكذلك يبينها بياناً خالصاً ويفخمها إذا انفردت مفتوحة ومضمونة فقط [5]، و لم يتحدث عن حالة سكون هذه الأصوات .

ومن هذا الفريق أيضاً محمد بن أم قاسم المرادي حيث يقول: " واعلم أن الحروف بالنسبة إلى التفخيم والترقيق أربعة أقسام :

١- مفخم مطلقاً وهو حروف الإطباق .
٢- مرقق مطلقاً وهو سائر الحروف إلا الراء واللام .
٣- وما أصله التفخيم وقد يرقق وهو الراء .
٤- وما أصله الترقيق وقد يفخم وهو اللام "[6].

---

(١) ابن الجزري (التمهيد في علم التجويد) ص ٥٨.
(٢) المرعشي (بيان جهد المقل) ص٢٢.
(٣) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ١٢٩/١٢٨ .
(٤) المرجع السابق ص ١٦٩/١٦٨ .
(٥) المرجع السابق ص ١٧١ .
(٦) محمد بن أم قاسم المرادي (شرح الواضحة في تجويد الفاتحة) ص ٥٥ .

هذا هو مذهب الفريق الأول . ولخَّص ابن غازي مذهب الفريق الثاني فقال: " ثم اعلم أن الحروف بالنسبة إلى التفخيم والترقيق على أربعة أقسام ؛ منها ما هو مفخم مطلقاً ، وهي حروف الإطباق الأربعة وبقية حروف الاستعلاء على الصواب .

ومرقق مطلقاً ، وهو سائر الحروف إلا الراء ، والأول أصله التفخيم ، وقد يرقق لموجب، والثاني أصله الترقيق ، وقد يفخم " [1].

*** درجات التفخيم عند القدماء :**

بيَّنَ القدماء أن حروف الإطباق الأربعة أقوى في التفخيم من باقي حروف الإستعلاء. قال ابن الجزري في منظومته (المقدمة الجزرية) :

"وحرف الاستعلاء فخم واخصصا الاطباق أقوى نحو قال والعصا [2]"

قال الملا علي القاري معلقاً على الأمثلة التي أوردها ابن الجزري في البيت السابق: " ثم اعلم أن في إتيان المثالين المتقدمين نكتة بديعة ، وحكمة منيعة ، وهي: أن الصاد المهملة مع قوتها أضعف حروف الإطباق ؛ لأنه مهموس . والقاف أقوى من باقي حروف الاستعلاء"[3]. بمعنى أنه حتى ولو كانت الصاد أضعف حروف الإطباق فهي أقوى من القاف التي هي أقوى من الغين ، والخاء.

وبنى المرعشي على قول ابن الجزري (فخم واخصصا الاطباق...) بأن جعل التفخيم مرتبطاً بالتحركات التي تقوم بها أعضاء النطق أثناء الاستعلاء، سواء كان الصوت مطبقاً أو غير مطبق،قال:" ثم اعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ ، فحروف الإطباق أبلغ

---

(١) ابن غازي (الدرر المنظمة البهية في حل ألفاظ الجزرية) ١٢٢/أ .

(٢) زكريا الأنصاري (الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية) ص ٥٥ .

(٣) الملا علي القاري (المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية) ص ٣٢ .

في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء كما صرح به ابن الجزري في نظمه"[1].
وقال : " وبالجملة ؛ إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والإطباق ، فالطاء المهملة أفخم الحروف ، ولما كان القاف أبلغ في الاستعلاء من الخاء والغين المعجمتين... كان أفخم منهماً" [2] .

ووازن المرعشي بين القاف التي هي أشد الحروف استعلاء وبين حروف الإطباق فقال: "فيلزم أن تكون أفخم حروف الاستعلاء ؛ لأن التفخيم لازم للاستعلاء ... قلت هي تشترك معهن[3]،في استعلاء أقصى اللسان ، وتنفرد عنهن بزيادة هذا الاستعلاء وينفرد حروف الإطباق عنها بالإطباق الذي هو استعلاء وسط اللسان مع أقصاه ، فالإطباق استعلاء مستقل، فهو أكمل من زيادة الاستعلاء المشترك الذي في القاف ، فلزم أن يكون تفخيم حروف الإطباق أكمل من تفخيم القاف فاعرف" [4] .

قسم القدماء الحروف إذن بالنسبة للترقيق والتفخيم إلى أربعة أقسام :

١- مفخم مطلقاً وهي حروف الإستعلاء على خلاف في ذلك .
٢- مرقق مطلق وهي سائر الحروف العربية إلا الراء واللام .
٣- ما أصله التفخيم وقد يرقق وهو الراء وذلك لأن أكثر الأمثلة شيوعاً جاءت به مفخماً ، ولذلك قالوا : إن أصله التفخيم .
٤- ما أصله الترقيق وقد يفخم وهو اللام ، وذلك لأن اللام في أكثر الأمثلة شيوعاً جاءت مرققة .

---

(١) المرعشي(جهد المقل) ص٣٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٤ .
(٣) أي مع الغين ، والخاء .
(٤) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٣١ .

- **مراتب التفخيم عند القدماء :**

عرف أهل التجويد تأثر الحروف بما يجاورها من الحركات ، فقسموا حروف التفخيم (خص ضغط قظ) ، بحسب ما يجاورها من الحركات ، وكان لهم في ذلك طريقان:

١- فريق جعلها ثلاث مراتب وظهر هذا الاتجاه عند ابن الطحان الأندلسي .

٢- فريق جعلها خمس مراتب وظهر هذا عند ابن الجزري.

نقل ابن الجزري مذهب ابن الطحان الأندلسي فقال : " المفخمات على ثلاثة أضرب :

ضرب يتمكن التفخيم فيه ، وذلك إذا كان أحد حروف الاستعلاء مفتوحاً .

وضرب يكون دون ذلك ، وهو أن يقع حرف منها مضموماً .

وضرب دون ذلك ، وهو أن يكون حرف منها مكسوراً " [1].

معنى ذلك أن التفخيم عند ابن الطحان على ثلاثة أضرب :

١- أن يكون حرف الاستعلاء مفتوحاً : مثل (الصَّالحات) (قَال) (قَد) ..

٢- أن يكون حرف الاستعلاء مضموماً مثل (يقُول) .

٣- أن يكون حرف الاستعلاء مكسوراً مثل (قِيل) .

أما الساكن ، فيكون تابعاً لما قبله ، فإن كان ما قبله مفتوحاً الحق بالمرتبة الأولى كما في (أَغْنياء) وإن كان ما قبله مضموماً ألحق بالمرتبة الثانية كما في (أُخْرَى) ، وإن كان مكسوراً ألحق بالمرتبة الثالثة كما في (إِخْراجا) .

أما ابن الجزري فبعد أن ساق مراتب ابن الطحان قال: " وهذا قول حسن ، غير أني أختار أن يكون على خمسة أضرب :

ضرب يتمكن التفخيم فيه ، وهو أن يكون بعد حرف الاستعلاء ألف .

وضرب دون ذلك ، وهو أن يكون مفتوحاً .

---

(١) ابن الجزري (التمهيد في علم التجويد) ص ١١٩- ١٢٠ .

ودونه : وهو أن يكون مضموماً .

ودونه : وهو أن يكون ساكناً .

ودونه : وهو أن يكون مكسوراً " [1].

ومعنى ذلك أن مرتبة الفتح عند ابن الطحان قد جعلها ابن الجزري مرتبتين، فمرتبة جعلها مع الألف حتى يتمكن الصوت بالتفخيم ؛ لأن الحركة تابعة لما قبلها ، ومرتبة جعلها لحروف الاستعلاء مع الفتحة . وأفرد للسكون مرتبة خامسة فيكون عنده المراتب هكذا :

١- أن يكون حرف الاستعلاء مع الألف مثل : (قَال) (العصَا) .

٢- أن يكون حرف الاستعلاء مع الفتحة مثل (قَد) .

٣- أن يكون مضموماً مثل (يقُول) .

٤- أن يكون ساكناً وليس تابعاً لما قلبه كما عند ابن الطحان كما في (إخْراجاً).

٥- أن يكون مكسوراً كما في (قِيل) .

- **تعريف التفخيم والترقيق عند المحدثين :**

قال أحدهم : " فالتفخيم إذاً ظاهرة أصواتية ناتجة عن حركات عضوية تغير من شكل حجرات الرنين بالقدر الذي يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية المفخمة" [2].

- **درجات التفخيم عند المحدثين :**

قسم المحدثون الحروف من حيث التفخيم كما قسمها القدماء ، وفي ذلك يقول أحدهم : " الأصوات المفخمة في اللغة العربية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنوع:

---

(١) ابن الجزري (التمهيد في علم التجويد) ص ١١٩- ١٢٠ .

(٢) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١١٦ .

أ- أصوات كاملة التفخيم ، أو مفخمة من الدرجة الأولى ، وهي الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، واللام المفخمة .

ب- أصوات ذات تفخيم جزئي ، أو مفخمة من الدرجة الثانية، وهي الخاء والغين والقاف .

ج ـــ صوت يفخم في مواقع ويرقق في مواقع وهو الراء " [1] .

لدي ملاحظة على النص الثاني ، وهو عدُّه اللام من الحروف كاملة التفخيم أو مفخمة مطلقاً ، معتمداً في ذلك على قول بعض المستشرقين [2] .

أي جعلها حرفاً مستقلاً عن اللام المرققة ، وهذا مالا يتوافق مع واقع اللغة ، وقد اعتمد في كلامه على لفظ الجلالة (الله) لإثبات أنها تُعدّ كذلك ، ونحـــن لا ننكر أن اللام في لفظ الجلالة أشد اللامات تفخيماً مقارنة بمثيلاتها في مثل (الطلاق والصلاة) في رواية ورش عن نافع ، وهو ما يؤيد قول مكي : " وليس في كلام العرب لام أظهر تفخيماً وأشد تعظيماً من اللام في اسم الله جل ذكره لأنهما لامان مفخمان ، لإرادة التعظيم والإجلال ، وذلك إذا كان قبل الاسم فتح أو ضم ، فإذا كان قبله كسر ، رققت اللام نحو (في الله وبالله)" [3] ، فكلام مكي لا ينفي أن تكون هذه اللام مفخمة إذا كان قبلها فتح أو ضم ، لكن تفخيمها ليس مطلقـــا فهي تفخم في بعض السياقات ، وذلك إذا سبقها فتح أو ضم ، وترقق إذا سبقت بكسرة بخلاف حروف الإطباق التي سمتها التفخيم في كل حال.

---

(١) أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ٣٢٥- ٣٢٦ ، وتأخذ اللام نفس حكم الراء.

(٢) أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي) ص ٣٣١ .

(٣) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ٢٥٨ .

فحديث المحدثين أن حروف الإطباق أقوى في التفخيم من الغين ، والخاء ، والقاف حديث ذكره القدماء ، كما ترى قال أحد المحدثين : " والذي يبدو أن التفخيم في هذه الحروف غير متحد القيمة ... فحروف الإطباق الأربعة مفخمة إلى درجة أكبر من تفخيم الحروف الطبقية الثلاثة ، وهي ترد مفخمة أكثر مما ترد الثلاثة الطبقية ، ذلك لأن حروف الإطباق يبقى لها تفخيمها في كل وضع ، ومع كل حرف علة سابق أو لاحق أما الثلاثة الطبقية فإنها لا تفخم في مجاورة الكسرة"[1] .

وما قاله صحيح غاية الصحة إلا فيما يتعلق بالقاف .

نقاط الاتفاق والاختلاف في التفخيم والترقيق بين القدماء والمحدثين :

- لا نكاد نجد اختلافاً بين القدماء والمحدثين في التفخيم إلا فيما يتعلق بظاهرة التحليق التي هي قرب مؤخر اللسان من الجدار الخلفي للحلق ، فقد ذكرنا أن الإطباق والتحليق هما عنصر التفخيم عند المحدثين .

قال أحد المحدثين : " ويتحقق التفخيم نتيجة تقعر سطح اللسان أثناء النطق وتراجع مؤخره قليلاً". [2]

وظاهرة التحليق على هذا الوصف السابق الذي وُصِفت به أعني قُرب مؤِّخر اللسان من الجدار الخلفيّ للحلق لم يُتأكَّد منها بعد بواسطة الأجهزة فهي تحتاج إلى دراسة موسِّعة أكثر من هذه ، واستخدام منظار الحنجرة لتبيين ذلك اللهم إلا أن يكونوا قصدوا بتراجع مؤخر اللسان موضع الغلصمة .

---

(١) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١٨٧-١٨٨ .

(٢) سعد مصلوح (دراسة السمع والكلام) ٢٠٦ .

- الخلاف عند القدماء والمحدثين في مراتب التفخيم يتركز في أنهم أعطوا حكم التفخيم للغين ، والخاء والقاف حتى وإن كانت مكسورة بخلاف المحدثين الذين اعتبروا الغين، والخاء، والقاف حروفا موقعية يختلف الحكم عليها بحسب موقعها . ولعل القدماء نظروا إلى ارتفاع أقصى اللسان في الغين ، والخاء ، والقاف فأعطوا هذه الحروف حكم التفخيم حتى في مرتبة الكسر .

المطلب الرابع: الإذلاق والإصمات

أضافت كتب العربية وكتب التجويد إلى الصفات المتضادة صفتي الإذلاق والإصمات . وكان أول من ظهر عنده مصطلح الذَّلقية الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] في معجمه "العين" .

وحروف الذلاقة ستة أحرف يجمعها قولك (فر من لب) ، أو (مرَّ بنفل)، وعلل الخليل تسميتها بقوله :" لأن الذلاقة في المنطق ، إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين ، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة " [2].

وقد استُدلَّ بهذه الحروف على ما هو دخيل على العربية من أصول الرباعي والخماسي[3].

وأما الحروف المصمتة فهي كما يقول ابن يعيش : " كأنه صُمِتَ عنها أن يبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة كأنها أصمتت عن ذلك، أي أسكتت ، وقيل : إنما قيل لها مصمتة لاعتياصها على اللسان" [4] .

وفي رأيي أن هاتين الصفتين لا دخل لهما بعلم التجويد ، وإنما وردت في كتاب العين لغاية معجمية ، فسيبويه لم يذكرهما في باب (الإدغام) ، وكذلك الإمام الشاطبي في شاطبيته .

---

(١) الخليل (العين) ١/٥١- ٥٢ .

(٢) المرجع السابق ١/٥١- ٥٢

(٣) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ١/٣٤٢ – ٣٤٣ .

(٤) ابن يعيش (شرح المفصل) ١٠/١٣٠ .

المطلب الخامس: الصفات المحسِّنة

أضاف علماء العربية وأهل التجويد صفات غير متضادة، وهي الصفير، والقلقلة، واللين، والانحراف، والتكرار، والاستطالة التي تتسم بها بعض الحروف. وقد بحثت صفة الاستطالة في قضية الضاد[1].

١- الصفير

عرّف ابن الطحان[2]الصفير فقال:" والصفير: حدة الصوت؛ كالصوت الخارج عن ضغط ثقب"[3].

وقد ذكر سيبويه أن هذه الحروف الثلاثة الصاد، والسين، والزاي لا تدغم في حروف طرف اللسان، يعني بها النطعية واللثوية، وذلك بسبب هذه الصفة قال: " وأما الصاد، والسين، والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصفير، وهن أندى[4] في السمع، وهؤلاء الحروف[5]إنما هي شديد

---

(١) انظر ص ١٥٩.

(٢) ابن الطحان: عبد العزيز بن علي بن محمد: قارئ مجود.ولد (٤٩٨هـ) ، وتوفي نحو (٥٦٠هـ). من كتبه " نظام الأداء في الوقف والابتداء " و " مقدمة في مخارج الحروف " و " مقدمة في أصول القراءات " و " مرشد القاري إلى تحقيق معالم المقاري ". انظر غاية النهاية١/٣٩٥، الأعلام٤/٢٢.

(٣) ابن الطحان (مخارج الحروف وصفاتها) تحقيق د. محمد يعقوب تركستاني ، ط٢/ ١٩٩١م-١٤١٢هـ ، ص ١٣٢.

(٤) قال ابن منظور: والندى بُعد الصوت، ورجل ندي الصوت: بعيده، والإنداء: بعد مدى الصوت... وفلان أندى صوتا من فلان أي أبعد مذهباً وأرفع صوتاً.(لسان العرب ١٥/٣١٥).

(٥) يعني بها الطاء، والدال، والتاء، والظاء، والذال، والثاء.

ورخو، لَسْن في السمع كهذه الحروف لخفائها، ولو اعتبرت ذلك لوجدته هكذا"[1].

وقال مكي عن الوضوح السمعي لهذه الحروف:" وحقيقة الصفير: أنه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا؛ تسمع له حساً ظاهراً في السمع"[2] ، وعلل الجاربردي سبب تسمية حروف الصفير بهذا الاسم ، فقال:" وحروف الصفير: الصاد، والزاي، والسين، فإنك إذا وقفت على اص، از، اس، سمعت صوتاً يشبه الصفير، لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان، فينحصر الصوت هناك ويأتي كالصفير"[3].

ولا يختلف كلام المحدثين عما جاء به القدماء عن هذه الحروف.

قال أحدهم :" فلننطق بالسين فيندفع الهواء ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم، حتى يصل إلى المخرج، وهو... عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جداً يندفع خلاله الهواء، فيحدث ذلك الصفير العالي"[4].

---

(١) سيبويه (الكتاب) ٤/٤٦٥.

(٢) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ٢١٢.

(٣) الجاربردي (مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط) ١/ ٣٤٣.

(٤) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٧٦.

٢- القلقلة

قال الخليل:" والقلقلة والتقلقل قلة الثبوت في المكان...

والقلقلة: شدة الصياح، والإكثار في الكلام...

والقلقلة: شدة الصياح، واللقلاق: الصوت.

والقلقلة: شدة اضطراب الشيء في تحركه، يقال: يتلقلق ويتقلقل؛ لغتان"[١]، وسبب التسمية كما قال الاستراباذي: " لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر، وهذا الضغط التام يمنع خروج ذلك الصوت، فإذا أردت بيانها للمخاطب احتجت إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فيسمع"[٢].

وتحدث المرعشي عن هذا الصوت الزائد، فقال:" وذلك الصوت الزائد يحدث بفتح المخرج بتصويت فحصل تحريك مخرج الحرف. وتحريك صوته. أما المخرج فقد تحرك بسبب انفكاك دفعي بعد التصاق محكم، وأما الصوت فقد تبدل في السمع وذلك ظاهر... ويشترط عند الجمهور في إطلاق اسم القلقلة على ذلك الصوت الزائد كونه قوياً جهرياً بسبب أنه حاصل بفك المخرج دفعه بعد لصقه لصقا محكماً، ولذا خصوا القلقلة بحروف اجتمع فيها الشدة والجهر، فالشدة تحصر صوت الحرف بشدة ضغطه في المخرج والجهر يمنع جري النفس عند انفتاح

---

(١) الخليل (العين) ٢٦/٥.

(٢) الاستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) ٢٦٣/٣.

المخرج ، فيلتصق المخرج التصاقاً محكماً ، فيقوى الصوت الحادث عند انفتاح المخرج دفعة"[1].

واشترط المرعشي لصوت القلقلة الزائد أن يكون قوياً جهرياً لوجود صوت زائد أيضاً- وهو النفخة أو الهمس- في الكاف والتاء.

ووضح المرعشيّ أنَّ زمن الشدَّة في الأصوات الشديدة آنيٌّ بخلاف زمن الإطلاق، فهو في حروف القلقلة آنيٌّ يحدث في آنٍ ثم ينقطع بخلاف زمن الهمس، فإنه زمانيّ يستغرق الصوت فيه زماناً. قال: "ينبغي أن يقيد الصوت الزائد بكونه قوياً جهرياً ليخرج الصوت الزائد الحادث في مخرج الكاف والتاء بعد ضغط المخرج، وحصول الحرف فيه؛ لأنه صوت همس ضعيف جار، والقلقلة صوت آنيٌّ غير جار.

وبالجملة: إن لحرف القلقلة صوتين: صوت ذاته، وهو آني. وصوت قلقلة وهو آني أيضاً. وكذا للشديد المهموس صوتان: صوت ذاته وهو آني، وصوت همسه، وهو زماني"[2].

وقد شبه المرعشي مرحلة انفتاح المخرج تشبيهاً طريفاً فقال: "وذلك كما إذا ألصقت شيئاً لزجاً بلوح رقيق، ثم فككته عنه دفعة؛ فإن اللوح يتحرك حينئذ، ويحصل من ذلك التفكيك صوت قوي"، وبين المرعشي أن صوت القلقلة قد

---

(١) المرعشي (جهد المقل) ص ٢٩ .

(٢) المرعشي (بيان جهد المقل) ص٢٩.

يسقط، إذا استبدل به صوت نفس كما في الكاف والتاء أو كان الانفتاح بغير صوت مسموع. قال: "ثم اعلم أن انتفاء القلقلة ؛ إما بانتفاء صوت انفتاح المخرج بالكلية، (وذلك بأن يفتح المخرج في الحروف الشديدة بغير عنف، بحيث لا يحصل الصوت أصلاً عند الانفتاح) [1]، وإما بانتفاء شدة صوت انفتاحه، بأن يكون ذلك الصوت مقروناً بنفَسٍ جارٍ، كما في الكاف والتاء"[2].

وقد عرّف القدماء أنّ صوت القلقلة لا ينتمي لأي حركة من الحركات العربية، وكلام ابنِ أبي مريم الشيرازي[3]يؤكد هذا بوضوح: "ومن الحروف أيضاً ما يسمى حروف القلقلة، ويقال اللقلقة أيضاً، وهي حروف مشربة في مخارجها إلا أنها تضغط ضغطاً شديداً، **فإن لها أصواتاً كالحركات**، تتقلقل عند خروجها، أي تضطرب، ولهذا سميت حروف القلقلة"[4].

وقال القدماء: إن صوت قلقلة هذه الحروف يكون واضحاً في تطرف هذه الحروف أكثر منه في حال كونها وسط الكلمة . وقال مكي: "فذلك الصوت في

---

(١) المرعشي (بيان جهد المقل) ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠.

(٣) ابن أبي مريم : نصر بن علي بن محمد الشيرازي . له " تفسير القرآن " و " شرح الإيضاح للفارسي" و " الموضح " في القراءات الثمان،" وتوفي بعد (٥٦٥هـ). الأعلام ٢٦/٨، وغاية النهاية٣٣٧/٢.

(٤) ابن أبي مريم الشيرازي (الموضح في وجوه القراءات وعللها) ، ط١ / ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين ، الناشر البابي الحلبي تحقيق ودراسة د. عمر حمدان الكبيسي ، ط١/ ١٩٩٣م ، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم – جدة ، ١/ ١٧٦.

الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن"[1]، وفسَّر الشيخ سلطان الـــمَزَّاحي معنى الوقف في كلام مكي: "مراده بالوقف السكون؛ جرى في ذلك على سكون المتقدمين في إطلاق الوقف على السكون"[2].

وكذلك قرّر المحْدَثون بأن أصوات القلقلة لا تنتمي لأي حركة من الحركات من جهة أن ليس لها تأثير على المعنى، قال أحدهم: "وينبغي أن نشير أيضا إلى أن أصوات العلة المركزية التي تعتبر القلقلة أوضح أمثلتها، لا تدخل تحت حرف من هذه الحروف، أي أنها وإن كانت أصواتاً لغوية فهي لتحديد موقع ورودها، أي أنها تخدم غرضاً موقعياً، ولا تدخل في النظام العلّي للغة... ولا يمكن أن يقال عن واحد منها إنه من حرف الكسرة، أو الفتحة، أو الضمة"[3].

وبقياس ترددات أصوات القلقلة من خلال نطق القراء الخمسة عند كل حزمة من الحزم المكونة لها ، ظهر أن قلقلة الباء والجيم والدال لا تنتمي لأي حركة من الحركات (الفتحة ، والضمة، والكسرة)، إلا أن قلقلتي القاف والطاء تكونان تابعتين للألف المفخمة.

---

(١) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١٢٤.

(٢) أجوبة الشيخ سلطان المزاحي عن الأسئلة التي وجهت إليه في التجويد والقراءات ١٦/أ.

(٣) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ٦٩.

٣- اللين

إن صفة اللين تختص بالواو والياء إذا سكنتا، وكان ما قبلهما مفتوحا.

وعبَّر ناصر الدين الطبلاوي[١]، عن هذه الطبيعة المتغيرة لهذه الحروف بقوله: الياء والواو إن تحركا بأي حركة فحرفا علة، وإن سكنا: فإن لم تجانسهما حركة ما قبلهما كالخَوْفِ والبَيْتِ فحرفا لين، وإن جانستهما فحرفا مد ولين"[٢]

وكان سيبويه قد وصفهما بهذه الصفة في قوله: " ومنها (اللينة) وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما"[٣]

وعلَّلَ شرَّاح المقدمة الجزرية وصف الواو والياء في هذه الحالة باللين بإحدى علتين، فبعضهم قال: "لقلة المد فيهما"[٤]، وقال بعضهم: "لأنهما يخرجان في لين وعدم كلفة اللسان"[٥]. ولا يتنافى التعليلان، لأنهما يعبران عن طبيعة هذين الحرفين بما فيهما من قابلية للمد، وما في مخرجهما من لين وعدم كلفة على اللسان[٦].

ومن ثم قال القاضي زكريا الأنصاري : "وأجرى بعضهم حرفي اللين مُجْرَى حروف المد واللين،حتى إذا وقع بعدهما ساكن لوقف أو إدغام جاز المد

---

(١) الطبلاوي: ناصر الدين محمد بن سالم المصري الأزهري، مقرئ، مفسر، فقيه، مشارك في العلوم، له في التجويد (مرشدة المشتغلين) توفي سنة ٩٦٦هـ (معجم المؤلفين ١٧/١٠، والأعلام ١٣٤/٦).

(٢) ناصر الدين الطبلاوي (مرشدة المشتغلين) ص١١١، و عبد الوهاب القرطبي(الموضح) ص ١٢١.

(٣) سيبويه (الكتاب) ٤٣٥/٤.

(٤) أحمد بن الجزري (الحواشي المفهمة) ص٦١.

(٥) عبد الدائم الأزهري(الطرازات المعلمة) ص١٢١.

(٦) التاذفي (الفوائد السرية) ١٩و.

والقصر والتوسط"[1].

٤- التفشي

عرّف مكي بن أبي طالب التفشي فقال: "هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها"[2].

والصوت الذي أعطيت له هذه الصفة هو الشين، لكنَّ بعضهم أطلق هذه الصفة على حروف أخرى، فقال ابن الجزري: "وقال قوم: حروف التفشي ثمانية: الميم، والشين، والفاء، والراء، والثاء، والصاد، والسين، والضاد، تَفَشَّى الميم بالغنة، والشين والثاء بالانتشار، والفاء بالتأفف، والراء بالتكرير، والصاد والسين بالصفير، والضاد بالاستطالة"[3].

وعدَّ القدماء هذه الصفة في الشين هي التي سوَّغت إدغام حروف طرَف اللسان فيه.

قال ابن أبي مريم الشيرازي: "وإن كان التفشي في الشين خاصة، لأن الباقية مقاربة له، لأن الشين بما فيه من التفشي ينتشر الصوت منه، ويتفشى حتى يصل إلى

---

(١) زكريا الأنصاري (الدقائق المحكمة) ص٣٥، وينظر: التاذفي (الفوائد السرية) ١٩و، وعلي القاري(المنح الفكرية) ص١٠٧.

(٢) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص ١٣٥.

(٣) ابن الجزري (التمهيد في علم التجويد) ص ٩٧.

مخارج الباقية"[1]، وقال محمد التاذفي الحلبي[2]: "انتشار الصوت عند خروج الشين حتى تتصل بحروف الطرف"[3].

وكما ذكر سيبويه عن الشين أن فيها استطالة كالضاد قال بعض العلماء: إن في الضاد تفشياً كالشين، وهم يقصدون أنهما يتصلان بحروف طرف اللسان سواء استعاروا لهما مصطلح التفشي أو الاستطالة. قال مكيّ: "وقد ذكر بعض العلماء (الضاد) مع (الشين)، وقال[4]: الشين تتفشى في الفم حتى تتصل بمخرج (الظاء)، والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام"[5]. فالشين تتفشى بهوائها، والضاد تتفشى بصوتها ومخرجها[6]. ولكن الأصل في مصطلح التفشي أن يُطلق على الشين، ومصطلح الاستطالة على الضاد، كما هو عليه جمهور أهل التجويد.

٥- الانحراف

عرَّف ابن الطحان الأندلسي الانحراف فقال: "والانحراف: خروج من صفة إلى صفة[7]؛ فاللام لم يَعترض في منع خروج الصوت اعتراض الشديد، ولا خرج

---

(١) ابن أبي مريم الشيرازي (الموضح في وجوه القراءات وعللها)١/١٧٧.

(٢) محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبدالرحمن التاذفي الحلبي (ت ٩٧١هـ) ، له كتاب " الفوائد السرية شرح المقدمة الجزرية " وغيره .الأعلام ٦/١٩٣.

(٣) التاذفي (الفوائد السرية شرح المقدمة الجزرية) ص ٢٩/أ.

(٤) كلام بعض العلماء.

(٥) مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص١٣٥.

(٦) انظر استطالة الضاد ص١٥٩.

(٧) معنى الخروج من صفة إلى صفة: من حالة إلى حالة، ومن هيئة إلى أخرى.

معه الصوت خروجه مع الرخو. والراء انحرف عن مخرج النون الذي هو أقرب المخارج إليه إلى مخرج اللام"[1].

ذكر علماء العربية وأهل التجويد صفة الانحراف فبعضهم جعلها للّام وحدها كسيبويه ومن تابعه من أهل العربية وبعض أهل التجويد، وبعضهم كالكوفيين وبعض أهل التجويد أدخلوا مع اللام الراء.

وليس انحراف الراء كانحراف اللام في الصوت، وإنما هو بسبب اشتراك ظهر اللسان في مخرج الراء، فيكون الراء بهذه الوضعية قد مال إلى مخرج اللام، لأن حقه أن يكون بطرف اللسان فقط كالنون، لكن لاشتراك ظهر اللسان سمي منحرفاً إلى جهة اللام، قال أبو عمرو الداني: "والمنحرف حرف واحد، وهو اللام. وقال الكوفيون : المنحرف المكرر هو الراء، لأنه ينحرف عن مخرج النون إلى مخرج اللام، ولأن الناطق به كأنه ناطق براءين"[2].

وأعطى المحدثون هذه الصفة للّام فقط، وحافظ بعضهم على مصطلح الانحراف[3]، لكن أكثرهم غيره إلى مصطلح (الجانبية)، وشرح أيضاً آلية الانحراف بقوله: "تتكون الصوامت (المنحرفة) بوضع عقبة في وسط المجرى الهوائي مع ترك

(١) ابن الطحان (مخارج الحروف وصفاتها) ص١٣٣.

(٢) التحديد في الإتقان والتجويد ص١١٠.

(٣) محمود السعران (علم اللغة) ص١٦٩.

منفذ للهواء عن طريق أحد جانبي العقبة، أو عن جانبيها، ومن هنا كانت تسميتها بالمنحرفة (أو الجانبية)"[١].

٦- التكرير

عرَّف ابن الطحان التكرير فقال: "والتكرير: تضعيف يوجد في جسم الراء لارتعاد طرف اللسان بها"[٢]. وبيَّن سيبويه أن هذه الصفة هي المسبِّبة لجري الصوت.

قال: "ولو لم يكرر لم يجر الصوتُ فيه ، وهو الراء"[٣].

وقال الإمام سبط الخياط : "لأن الراء لها نَبْوَةٌ في ما بين أولها وآخرها، وفيها تكرُّر، وهي بمنزلة حرفَين"[٤].

وبيَّن القدماء أن حال سكون الراء أوضح من حال تحركها، قال سيبويه: "والراء إذا تكلمْت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها إيضاحا"[٥]. وقال أبو عمرو الداني: "والمكرر حرف واحد، وهو الراء، ويتبين ذلك فيه إذا وُقف عليه، وأُخلص سكونه"[٦].

---

(١) محمود السعران (علم اللغة) ص ١٦٩.

(٢) ابن الطحان (مخارج الحروف وصفاتها) ص ١٣٣

(٣) سيبويه (الكتاب) ٤/ ٤٣٥.

(٤) الإمام سبط الخياط (المبهج) ١/ ٢٢٤.

(٥) سيبويه (الكتاب) ٤/ ١٣٦.

(٦) أبوعمرو الداني (التحديد في الإتقان والتجويد) ص١١٠.

وهذه الصفة ، وإن ذكرها أهل التجويد لكنهم حذروا من المبالغة في التكرار، وكذلك المبالغة في حصر الصوت، قال الرومي: "ومعنى كون التكرار صفة للراء أنه يقبله، ويمكن إظهاره فيه، لكن يجب التحفظ عنه؛ لأن إظهاره لحن، إذ يلزم أن يكون المشدد حروفاً والمخفف حرفَين"[1].

بمعنى أن إظهار تكرير اللسان في المشدد مثل راء (الرحمن) يؤدي إلى أنك تسمع عدة راءات، وأما في الساكن فإظهار تكريره يسمعك راءين. وهذا كله بحسب الطبع لا على التكلف.

واختلف القدماء في كون هذه الصفة ذاتية للراء أو عارضة، وحرّر ابن الجزري هذا الخلاف فقال: "وظاهر كلام سيبويه أن التكرير صفة ذاتية في الراء، وإلى ذلك ذهب المحققون؛ فتكريرها رُبُوُّها في اللفظ، وإعادتها بعد قطعها، ويتحفظون من إظهار تكريرها، خصوصاً إذا شُدِّدت، ويعدون ذلك عيبا في القراءة، وبذلك قرأنا على جميع من قرأنا عليه، وبه نأخذ"[2]، وقال: "وقد توهم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة، فأظهر ذلك حال تشديدها كما ذهب إليه بعض الأندلسيين. والصواب التحفظ من ذلك بإخفاء تكريرها كما هو مذهب المحققين، وقد يبالغ قوم في إخفاء تكريرها مشددة، فيأتي بها مُحَصْرَمَة، شبيهةً بالطاء، وذلك خطأ لا يجوز، فيجب أن يلفظ بها مشددة تشديداً ينبو به اللسان

(١) الرومي (شرح رسالة الدر اليتيم) ٣٣/ب – ٣٤/ أ.

(٢) ابن الجزري (النشر) ١/ ٢٠٤.

نَبوة واحدة، وارتفاعاً واحداً من غير مبالغة في الحصر والعسر، نحو: (الرحمن الرحيم) [الفاتحة ٣]، (وخر موسى) [الأعراف ١٤٣]"[١].

وهذا تحكمه لك مشافهة القراء.

وأعطى المحدثون هذه الصفة للراء أيضاً، فلم يخرج كلامهم عن كلام القدماء، قال أحدهم: "والصفة المميزة للراء هي تكرر طرق اللسان للحنك عند النطق بها"[٢]، وقال آخر: "صوت لثوي تكراري مجهور، ينطق به بترك اللسان مسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف اللسان، ويضرب طرفُه في اللِّثة ضربات مكررة، وهذا معنى التكرار في صفته"[٣].

(١) ابن الجزري (النشر) ١/ ٢١٨ – ٢١٩.

(٢) إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٦٦.

(٣) تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) ص ١٣٢.

خاتمة البحث و أهم نتائجه

حاولت هذه الدراسة أن تقرِّب بين منهج القدماء و منهج المحـــدثين وفـــق مقارنة علمية استخدمت فيها بفضل الله تعالى بعض ما قدَّمه إلينا العصر الحـــديث من أجهزةٍ تحليلية وخرجت هذه الدراسة **بنتائج أهمها** :

١ – أن القرآن الكريم ما يزال محفوظاً على صورته الأولى التي نزل بها ســـواءً في النص أو طريقة الأداء.

٢ – عظم التوفيق الذي حصل لعلمائنا الأوائل في وصفهم للأصوات العربية .

٣ – إثبات الأجهزة الحديثة في كثيرٍ من مواطن البحث لما قاله أسلافنا الأوائل .

٤ – أن كثيراً من النصوص الصوتية التي جاءت عن أسلافنا ما زالت تحتاج إلى من ينفض الغبار عنها و يقوم بتحقيقها .

٥ – أن بعض أقوال المحدثين ونظراتهم لأقوال أسلافنا تحتاج إلى أن يُعاد النظر فيها.

٦ – أنها قرَّبت المسافة بين علميّ التجويد و الأصوات الحديث .

٧ – أن دلالة مصطلحات المُحْدَثِين المتلقاة من علم الأصوات الغربـــيّ لا تعـــني بالضرورة مصطلحات القدماء .

٨ – أنه لا فرق بين ما وصفه أهل اللغة أمثال الخليل وسيبويه ، و بين ما وصـــفه أهل التجويد .

٩ – أن الفرق بين النتائج التي توصّل إليها الباحث ، وتلك التي توصّل إليها المحدثون ، إنما هي معتمدةٌ بشكلٍ أساسي على طريقة النُّطق .

١٠ – أن الأجهزة الصوتية الحديثة ما هي إلا وسائل مساعدة و مدعِّمة للنواحي النظرية الصوتية التجويدية (الدراية) في كتاب الله تعالى ، و لن تكون بديلة – بأي حالٍ – عن التلقِّي و المشافهة (الرواية) من أفواه القرَّاء العالمين بطرق الأداء.

١١ – أن ليس كل ما ذُكر في الكتب الصوتية الحديثة من الظواهر الصوتية يُعَدُّ من المسلَّمات ، إذ أثبت البحث في غير موطن اختلاف هذه الكتب في تناول بعض الظواهر الصَّوتية ، و أن هناك كثيراً من الاجتهادات تدور حولها.

التوصيات:

١ – أن تقوم الجامعة بتمويل مثل هذه البحوث و تشجيعها مادياً و معنوياً .

٢ – أن تشترك في عمل مثل هذه البحوث المؤسسات العلمية المختلفة ، فتكون هناك قنوات اتصال بين قسم القراءات من جهة ، و بين كليتي الطب و الهندسة الكهربائية من جهةٍ أخرى ؛ لأن أغلب الدراسات الصوتية تعالج الصوت اللغويّ من ناحية فيزيائية و عضوية ، ولن يستطيع طالب اللغة التعرف على الصوت من خلال هاتين الناحيتين قراءةً من الكتب ، و إن خروج أبحاثٍ صوتيةٍ بعيدةً عن الجهود الفردية تتنازعها هذه المؤسسات ، لهي جديرةٌ بالبقاء و الدوام ، لاكتنافها بالطابع العلميّ البحت البعيد عن الأهواء و الاجتهادات الفردية .

٣ – أن تنهض الجامعة بمعملها الصَّوتي ليقوم بخدمة هذه الرسائل و مدِّها بالمعلومات اللازمة لخدمة الباحث .

٤ – أن يتفضّل أحد العلماء العالمين بمصطلحات القدماء والمحدثين بعقد مقارنة بين مصطلحات القدماء والمصطلحات الحديثة صوتياً ونحوياً وصرفياً ودلالياً .

و أخيراً أشكر الله عز و جل أن يسَّر لي إتمام هذا البحث ، فإن أصبت فمنه و إليه، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان. و الله الهادي إلى سواء السبيل .

صورة إجازة الباحث في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة (الصغرى)

بسم الله الرحمن الرحيم

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

إجازة في القرآن الكريم

بالقراءات العشر من طريق الشاطبيّة والدرّة

الحمدُ لله المتفرد بالدوام، المتطوّل بالإنعام، خالق الخلق بقدرته، ومدبّر الأمر بحكمته، لا رادّ لأمره، ولا معقّب لحكمه، وهو سريعُ الحساب، أنزل على عبده الكتاب تبصرةً لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحِكَم العجب العجاب، وجعله أجلّ الكتب قدراً، وأخرها علماً، وأعظمها نظماً، وأبلغها في الخطاب، أحمده على جميع نعمه، وأشكره على صنائع آلائه وجنبه، وأسأله المزيد من إفضاله، والجزيل من إجماله، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له ربُّ الأرباب الذي فتح لقلوبِ مَنِّه الوجوهُ، وخضعت لعظمته الرِّقاب. وأشهد أنّ سيدنا ونبيّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلى خير أمةٍ بأفضل كتاب، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب، أما بعد:

فإن العلمَ أشرفُ ما وُرِث عن أشرف موروث، وإنّ أعظم ما اشتغل به العلماءُ وشرّف به الفضلاءُ كتابُ الله تلاوةً وتدبُّراً وعملاً، كما رُوي عن ابن عباس يرفعه: "أشرافُ أمتي حملةُ القرآن وأصحابُ الليل"، وأهلُ القرآن هم أهلُ الله، كما أخبر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بقوله: "أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصّته". وقد أمرنا بقراءته ورجاء شفاعته بقول المصطفى المختار: "اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"، وهو الذي ترفع به الدرجاتُ بقدر ما نحفظ منه من آيات، كما أخبر الرسولُ الكريم، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات: "يقالُ لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتّلْ كما كنتَ ترتّلُ في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرؤها"، فطوبى لمن أفنى لسانه بقراءته، وأشغل عقله بتدبُّره، وفرّغ قلبه لحفظه، ووافى غُرَّه للعمل به وتعليمه، أما بعد:

فقد قرأ عليّ أخي في الله تعالى الشيخ: صفوت بن محمود أحمد سالم حدمةً كاملةً للقرآن العظيم بالقراءات العشر من طريق الشاطبية والدرّة قياساً من حفظه، بالتحرير والتجويد التام مع فهمه لما في منظومتي الشاطبيّة والدرّة. ولمّا أتمم الله تعالى عليه بإتمام ذلك كلّه استجازني فأجزته أن يقرأ بذلك ويُقرئ مَن شاء متى شاء حيث شاء، مع الثبت والمراجعة، إجازةً صحيحة، بعبارة صريحة.

وأخبرني أنه تلقّى هذه القراءات العشر وروايتها على فضيلة الشيخ أبي هشام محمد بن طه مُكّر الدمشقيّ حفظه الله تعالى، وأخبرني أنه تلقاها على الشيخ محمود طارق الدّمرداش (ت ١٣٨٥هـ)، وهو على الشيخ محمّد سليم الرفاعيّ الحلوانيّ شيخ قراء دمشق (ت ١٣٦٣هـ)، وهو على والده السيّد أحمد بن محمد بن عليّ الرفاعيّ الشهير بالحلوانيّ (ت ١٣٠٧هـ)، وهو على السيد أحمد بن رمضان المرزوقيّ (ت ١٢٦٢هـ)، وهو على السيد إبراهيم بن سلوم بن أحمد العيلميّ، وهو على عبد الرحمن بن حسن الأجهوريّ (ت ١١٩٧هـ)، وهو على أبي السماح أحمد بن رجب القبريّ (ت ١١٨٩هـ)، وهو على أبي الإكرام محمّد بن قاسم القبريّ (ت ١١١١هـ)، وهو على زين الدين عبد الرحمن بن شحاذة اليمنيّ (ت ١٠٥٠هـ)، وهو على عليّ ابن محمّد بن خليل بن غانم المقدسيّ (ت ١٠٠٤هـ)، وهو على محمّد بن إبراهيم السّمنديسيّ (ت ٩٣٢ هـ)، وهو على الشهاب أحمد بن أسد الأميوطيّ (ت ٨٧٢ هـ)، وهو على إمام القراء والقدين محمّد بن محمد بن علي ابن يوسف الجزريّ (ت ٨٣٣ هـ).

(ح) وقرأ عبد الرحمن اليمنيّ أيضاً على والده شحاذة اليمنيّ، وهو على ناصر الدين محمد بن سالم القلعاويّ (ت ٩٩٩ هـ)، وهو على شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاريّ (ت ٩٢٦ هـ)، وهو على رضوان بن محمد العقبيّ (ت ٨٥٢ هـ)، وهو على الإمام ابن الجزريّ، وهو على أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن عليّ البغداديّ ويقال له: الواسطيّ ثم المصريّ (ت ٧٨١ هـ)، وهو على محمد بن أحمد بن عبد الخالق الصائغ (ت ٧٢٥ هـ)، وهو على عليّ بن شجاع (ت ٦٦١ هـ)، وهو على إمام القراء القاسم بن فيرّة الشاطبيّ (ت ٥٩٠ هـ) صاحب القصيدة الشاطبية المعروفة بـ: "حرز الأماني ووجه التهاني"، وهو على أبي الحسن عليّ بن خلّيل (ت ٥٦٤ هـ)، وهو على أبي داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦ هـ)، وهو على الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت ٤٤٤ هـ) وأسانيده إلى القراء السبعة، وعنهم إلى سيدنا وحبينا وشفيعنا أبي القاسم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم موجودةٌ في كتابه النيسر للقراءة. أما القراء الثلاثة بقية العشرة فأسانيدهم من ابن الجزريّ إليهم، وعنهم إلى سيدنا وحبينا وشفيعنا أبي القاسم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم موجودةٌ في كتابه تحبير التيسير للقراءة. أيضاً.

هذا وأوصي أخي المجاز بتقوى الله تعالى في نفسه وأهله، فالتلاوة يلزم حامل القرآن الكريم من التحفّظ أعظم مما يلزم غيره، كما أنّ له من الأجر ما ليس لغيره، جاداً في نشر كتاب الله تعالى وتعليمه، وأوصيه أن لا يَرَ أحداً ممن يراه أهلاً للقراءة، وأسأل الله تعالى أن ينفعه وينفع به، ويبشر القرآن على يديه، وأن يزيده توفيقاً في جمع القراءات العشر الكبرى وإجازة بها ونشرها، وأسأله تعالى أن يجعله عالماً فاضلاً، وأن يجعلنا جميعاً من أهل القرآن وخاصته، حتى نكون من أهل الله تعالى وخاصته، مع عباده المصطفين الأخيار، ممن حفظ الله عليهم القرآن وخلقهم به، وأطلب منه أن يدعو الله تعالى لي ولمشايخنا في الإسناد بظهر الغيب، وخاصةً عند بداية كلّ ختم وعند نهايته، وإني أضرع إلى الله العليّ القدير أن يُتمّ علينا جميعاً نعمه ظاهرةً وباطنة، إنه تعالى قريبٌ مجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

حُرِّرَتْ هَذِهِ الإِجَازَةُ فِي يَوْمِ (الثلاثاء)

(الثامن) مِنْ شَهْرِ (ذي الحجة) عَامِ ١٤٢٠هـ

شهد لهذه الإجازة

سيدي الشيخ أيمن رشدي سويد

عادل إبراهيم

صورة إجازة الباحث في القراءات العشر المتواترة من طريق طيبة النشر(الكبرى)

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا

إجازة في القرآن الكريم

بالقراءات العشر الكبرى من طريق طيبة النشر

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ . والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، القائل: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، وبعد: فقد حصر إلى الأخ في الله تعالى/ **صفوت محمود أحمد سالم**، وقرأ علي ختمة كاملة بالإجادة والإتقان، بالقراءات العشر من طريق طيبة النشر لابن الجزري. وقد أجزته بذلك إجازة صحيحة بشرطها المعتبر، وأذنت له بالقراءة والإقراء من شاء في أي وقت وفي أي مكان حل أو نزل.

وأخبره بأني تلقيت القرآن الكريم كاملاً من أوله إلى آخره، بقراءات العشر من طريق طيبة النشر بتحبيراتها عن شيخي، الفاضل أحمد بن مصطفى أبو الحسن، بدر الله في عمره ونفع بعلمه، وهو عن شيخه العلامة أحمد بن عبد العزيز بن أحمد الزيات المصري (١٩٠٧-٢٠٠٣م) وهو على العلامة الأديب، واللوذعي الأريب، النوع المصري الشهير، الشيخ عبد الفتاح بن هنيدي الشافعي المصري (١٢٩٧ تقريبا-١٣٦٩هـ). وهو على عمدة زمانه ومحقق عصره وأوانه العلامة محمد بن أحمد بن الحسن المتولي (١٢٥٠-١٣١٣هـ)، وهو على أحمد بن محمد الدري الشهير بالتهامي (كان حيا سنة ١٢٦٩هـ) وهو على شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بسلمونه (ت بعد ١٢٥٤هـ) وهو على إبراهيم بن بدوي بن أحمد الهنيدي (كان حيا سنة ١٢٣٧هـ) وهو على عبد الرحمن بن حسن الأجهوري (ت ١٢٩٨هـ)، وهو على أبي السعود أحمد بن عبد الأسناطي (ت ١١٥٩هـ)، وهو على شمس الدين أبي الصلاح محمد المتولي (كان حيا ١٠٨٥هـ)، وهو على نور الدين علي بن إبراهيم الأشبيلي الخباط (نفع ١٠٠٠-١٠٩٤هـ)، وهو على زين الدين عبد الرحمن بن شحذة اليمني (٩٧٤-١٠٥٤هـ)، وهو على شهاب الدين أحمد بن شرف الدين عبد الحق بن محمد السنباطي (ت بعد ٩٩٠هـ)، وهو على جمال الدين يوسف بن زكريا الأنصاري (ت ٩٨٧هـ).

(ح) وقرأ العبيدي أيضاً على جمال الدين محمد بن حسن المقري السمنودي (١٠٩٩-١١٩٩هـ)، وهو على أبي الصلاح علي بن محسن الصعيدي المرصفي شارح الدرة (كان حيا سنة ١١٢٥هـ)، وهو على شمس الدين محمد بن قاسم البكري (١٠١٨-١١١١هـ)، وهو على زين الدين عبد الرحمن بن شحاذة اليمني، وهو على حسن الدين يوسف بن زكريا الأنصاري، وقرأ جمال الدين الأنصاري على شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري (٨٢٦-٩٢٦هـ)، وهو على زين الدين أبي النعيم رضوان بن محمد العقبي (٨٦٩-٩٥٧هـ)، وعلى شهاب الدين أحمد بن أسد الأميوطي (٨٠٨-٨٧٢هـ)، وقرأ على إمام هذا الفن، وشيخ الكل محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري الدمشقي (٧٥١-٨٣٣هـ) صاحب كتاب (النشر في القراءات العشر). وما أسانيد ابن الجزري إلى مصنفي الكتب ومنهم إلى القراء، ومنهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهي مبسوطة مسندة في كتابه النشر في القراءات العشر، فليراجع ثمة.

هذا وأوصي الأخ المجاز بتقوى الله عز وجل في السر والعلانية، ولا يرد أحداً، وأسأل الله أن يجعلنا وإياه من أهل القرآن الكريم العاملين به، لنسعد به في الدنيا والآخرة، وأطلب منه أن يدعو لي ظهر الغيب، وخاصة عند بداية كل ختم ونهايته، والله المستعان، وهو الموفق لكل خير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أملاه وأجازه بها
خادم القرآن الكريم
محمود فرج عبد الجليل

شهد بهذه الإجازة
الشيخ المذكور / ياسين راشدي سعود

حررت هذه الإجازة في يوم الخميس
الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى / ١٤٢٨هـ
الموافق ١٣/ يونيو حزيران / ٢٠٠٧م

الأجهزة المستخدمة في البحث

جهاز عارض الذبذبة (Visi Pitch) vp 6087

أنتج عام ١٩٧٨م

وصف الجهاز :

يتكون الجهاز من جزأين :

- وحدة الإدخال (Input Module) .
- وحدة معالجة البيانـــات (Processing Unit) .

وحدة الإدخال : تتكون من لاقط للصوت وصندوق معالجة الإشارات القادمة من اللاقط.

وحدة معالجة البيانات: تتكون من حاسب آلي ومحلل وبرنامج.

آلية عمله :

- يقوم اللاقط (ميكرفون) باستقبال الصوت وإدخاله إلى صندوق المعالجة.
- يتم داخل الصندوق تكبير الإشارة ومعالجتها، ثم ترسل إلى وحدة معالجـــة البيانات.
- يقوم المحلل بجمع الإشارة، وتحليلها رقمياً لتظهر على شاشة الحاســـب الآلي عن طريق البرنامج.
- عن طريق استخدام مؤشر على شاشة الحاسب الآلي يتم تحديـــد الصـــوت المراد تحليله.

فوائد الجهاز :

أ- الحسابات الإحصائية:

- يحسب متوسط النغمة الأساسية = عدد ذبذبة الأحبال الصوتية ÷ الزمن المحصور.
- الانحراف المعياري لنغمة الأساس=

$$\frac{\text{جذر مجموع مربع نغمة الأساس – س (نغمة الأساس)}^{٢}}{\text{س–١}}$$

ملاحظة : س= عدد نغمات الأساس التي ظهرت في الصوت.

الانحراف المعياري لشدة الصوت=

$$\frac{\text{جذر مجموع مربع شدة الصوت – س (شدة الصوت)}^{٢}}{\text{س–١}}$$

ملاحظة : س= مجموع شدة الصوت التي ظهرت في الصوت .

- متوسط شدة الصوت= مجموع شدة الصوت ÷ عدد مواضع الشدة في الصوت المطلوب.
- تغيير نغمة الأساس من تردد إلى تردد.
- القيمة العظمى لنغمة الأساس والقيمة الأدنى لها.
- حساب النغمة الأساسية وشدة الصوت عن المؤشر الأيمن أو الأيسر.
- نسبة المجهور= نسبة الطاقة الصوتية التي تحتوي على ذبذبة أساسية.
- نسبة المهموس= نسبة الطاقة الصوتية التي لا تحتوي على ذبذبة أساسية.
- نسبة الوقفة= نسبة عدم وجود أي طاقة صوتية.

جهاز مقياس الهواء (Aerophone)
أنتج عام ١٩٩٠م

وصف الجهاز : الجهاز مكون من :

أ- وحدة الإدخال.

ب- وحدة معالجة البيانات.

أ- وحدة الإدخال: تتكون من:

١-كمامة توضع على الفم والأنف .

٢-لاقط للصوت (Microphone)

٣-لاقط لضغط الهواء (Pressure Transducer)

٤- لاقط لقياس سرعة الهواء (Air Flow Transducer)

وهذه الكمامة واللواقط محمولة على ذراع مثبَّت على قاعدة، ليسهل استخدامها.

ب- وحدة معالجة البيانات (الحاسب الآلي): وتحتوي على:

١- برنامج خاص يتعامل مع المعلومات المرسلة من وحدة الإدخال.

٢- شاشة الحاسب الآلي (Screen).

٣- لوحة مفاتيح التحكم (Keyboard).

٤- وحدة المعالجة الرئيسية (CPU (Central Processing Unit.

آلية عمله :

١-توضع الكمامة على الأنف والفم، وينطق بالصوت المطلوب.

٢-تقوم اللواقط باستقبال الصوت، وإرساله إلى وحدة المعالجة الرئيسية.

٣-تجمع وتحلل البيانات المرسلة من وحدة الإدخال، وتظهر على شاشة الحاسب الآلي ثلاث منحنيات :

- منحنى شدة الصوت (SPL (Sound Pressure Level
- منحنى ضغط الهواء (Air Pressure Level)
- منحنى معدل انسياب الهواء (Air Flow Level)

٤- من خلال هذه المنحنيات التي تظهر على شاشة الحاسب الآلي يمكن تحديد الصوت المطلوب بوضعه بين حاصرتين.

٥-تقوم وحدة المعالجة الرئيسية بحساب قيم الصوت المطلـــوب وإظهـــاره في صورة جدول.

فوائد الجهاز ومميزاته :

لهذا الجهاز مميزات متعددة منها :

١- تسجيل وعرض :

- معدل انسياب الهواء (Air Flow)
- ضغط الهواء (Sound Pressure)
- شدة الصوت (Sound Pressure Level)
- مقدار ذبذبة الصوت (Pitch)
- أعلى قيمة لمعدل انسياب الهواء، والكفاءة الحيوية للرئـــة (Max Air flow and vital capacity)

٢- معرفة :

- ضغط الهواء تحت الأوتار الصوتية (Sub glottal pressure)
- مقاومة الأوتار الصوتية للهواء الصـــاعد مـــن الـــرئتين (Glottal resistance)
- قدرة الطاقة الصوتية الخارجـــة (Glottal aerodynamic input power)
- كفاءة الأوتار الصوتية (Glottal efficiency)

مقاييس الجهاز :

١- متوسط معدل انسياب الهواء (mean airflow rate) ويســـاوي حجـــم الهواء في الصوت المطلوب مقسوماً على الزمن ويقاس بـــ لتر/ثانية.

٢- متوسط شدة الصوت (Sound power level) ويقاس بـــ الديسيبل.

٣- متوسط ضغط الهواء (Mean air pressure) ويقاس بالسنتيمتر المائي .

٤- متوسط مقاومة الحبال الصوتية ويقاس بـــ أكوستيك أوم ويساوي أعلـــى ضغط للهواء تحت الحبال الصوتية مقسوماً على معدل انسياب الهواء .

أكوستيك أوم = ضغط الهواء بالسنتيمتر المائي

معدل انسياب الهواء لتر/ ثانية

٥- قدرة الطاقة الصوتية الخارجة من الأحبال الصوتية (Glottal Aerodynamic input power) .

٦- كفاءة الأحبال الصوتية (Glottal efficiency)

جهاز مقياس الغنة Nasometr 6200-2
أنتج عام ١٩٨٦م

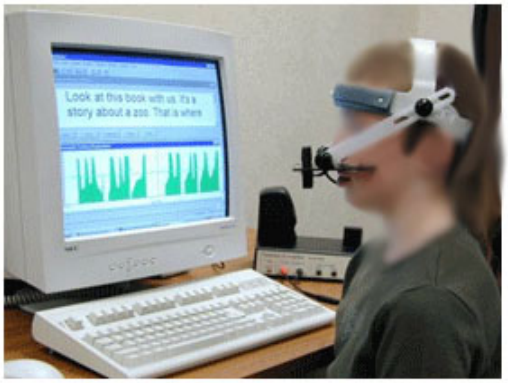

وصف الجهاز:

يتكون الجهاز جزأين:

١- مجموعة الإدخال (Input module)

٢- مجموعة معالجة البيانات (Processing Unit)

مجموعة الإدخال وتتكون من:

- حامل يحتوي على لاقطين للصوت (لاقط لصوت الأنف ولاقط لصوت الفم) تفصل بينهما قاعدة توضع بين الأنف والفم.
- صندوق (External module) لمعالجة الطاقة الصوتية القادمة من اللاقطين .

مجموعة معالجة البيانات وتتكون من:

- حاسب آلي.
- محلل (Interface card) داخل الصندوق يقوم بتحليل البيانات وإظهارها على الشاشة.

آلية عمله:

١-يوضع الحامل على الرأس بحيث تثبت القاعدة بين الأنف والفم، وذلك للتمكن من حساب الطاقة الصوتية الخارجة من الأنف والفم معاً.

٢-يقوم اللاقطان بنقل طاقة الصوت (acoustic energy) الخارجة من الأنف والفم إلى محلل الصوت (Interface card) .

٣-يقوم المحلل بجمع الإشارات وتحليلها رقمياً (Digital processing).

٤-يقوم البرنامج بتحديد درجة الغنة (Nasality) وذلك بقياس نسبة طاقة الصوت الخارجة من الأنف إلى (الأنف + الفم)، ويظهرها على الشاشة مباشرة.

٥-يقوم البرنامج بإظهار النتائج بصورة منحنيات وحسابات إحصائية.

فوائد الجهاز:

١- يستخدم في عملية تقدير جودة الصوت (Voice quality).

٢- يستخدم في علاج خنخنة الصوت (Nasality therapy).

٣- يستخدم في قياس الغنة في الأصوات الغنَّاء حالة الإفراد وكذلك حالة التركيب.

راسم الحنك الكهربي
Electro – Palatograph Dp-20

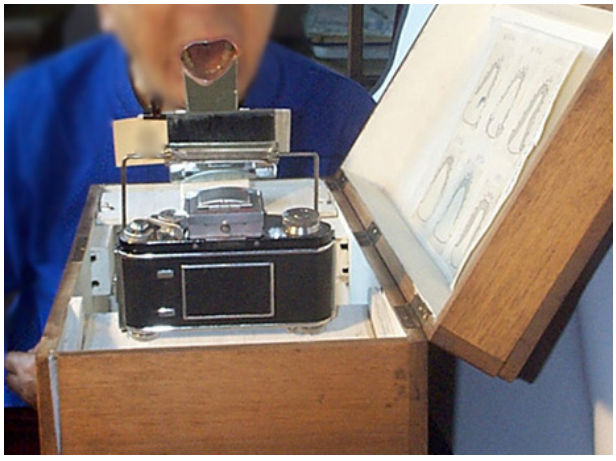

- راسم الحنك الكهربي موديل dp-20 مفيد جداً في إظهار العملية النقطية بصورة مرئية لباحث الصوتيات، وكذلك فهو مفيد جداً في الفحص الوظيفي لمرضى عيوب النطق الناتجة عن الإعاقة السمعية، أو الشلل الدماغي (Cerebral Palsy) أو التشوه الخلقي لبنية الحنك الصلب. إضافة إلى ذلك فإن التدريب من خلال إعادة الصوت والصورة آلياً يلعب دوراً كبيراً في إعادة تأهيل المرضى.
- إن dp-20 يظهر التقاء اللسان بالحنك الصلب أثناء العملية النطقية من خلال هذا الجهاز إضافة إلى ذلك فإن الطابعة الموجودة ضمن تركيبة الجهاز وشريط التسجيل الممغنط (Disk) يقومان بتسجيل الإشارات الحنكية وتخزينها ثم إعادتها آلياً مرة أخرى.

مميزات الجهاز :

١- يعرض صورة تلامس اللسان بالحنك في زمن النطق ويقوم بتخزين المعلومات على الشريط الممغنط لإعادة عرض الإشارات الحنكية عند النطق.

٢- يُقسَّم الثانية إلى ٦٤ شريحة (Frame) وكل شريحة من هذه الشرائح يمكن عرضها بصورة منفصلة عن غيرها ، وبذلك فإن هذا الجهاز يظهر

الانتقالات النطقية للأمثلة المستخرجة بشكل سلس وواضح لمزيد من الدقة في التحليل.

٣- الاختيار بين ثلاث سرعات لإعادة عرض البلاتوجرام: يتيح للباحث أن يسمع العيِّنات المختبرة بثلاث سرعات ١/١ – ٣/١ – ١٠/١ ثانية، حتى يمكن تحديد الصوت المطلوب فقط من العينة.

٤- الشريط الممغنط الموجود في الجهاز يخزن ويعرض المعلومات حتى يُمكن استرجاعها بسهولة.

٥- إمكانية توصيل حنكين في حال تدريب شخصٍ ما على النطق؛ إذ يمكن العرض عن طريق قناتين بشكل متبادل عن طريق تحريك مفتاح لإمكان مقارنة الإشارة الحنكية للمتدرب بالإشارة الحنكية للمدرب للوصول إلى النطق المثالي. لأصوات اللغة.

٦- مرونة الحنك الصناعي sf-20 تضمن ملاءمته لحنك الشخص، فهناك ستة أنواع من الأحناك الاصطناعية لضمان ملاءمتها للحنك الصلب (Hard Palat)، وليس هناك حاجة لاستخدام الموديلات الجصية المفصلة.

معمل الأصوات المبرمج csl4300
Computrized speech lab أنتج عام ١٩٩٠م

وصف الجهاز:

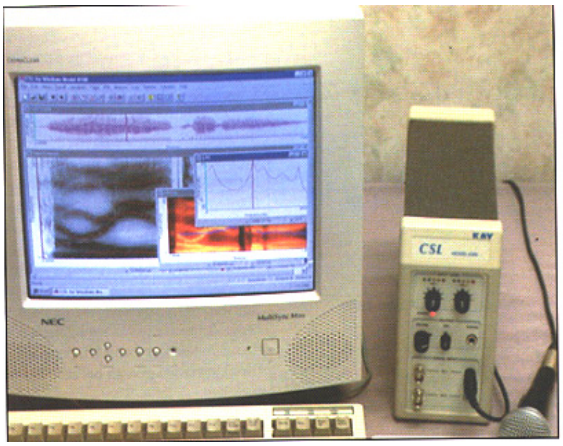

الجهاز يتكون من:

- مجموعة الإدخال (input modules)
- وحدة المعالجة (processing unit)
- سماعة لسماع الصوت (loud sprader)

مجموعة الإدخال تتكون من:

- لاقط للصوت (ميكروفون).
- صندوق معالجة الإشارة (external module) المستقبلة من لاقط الصوت، وتكبيرها ليتم معالجتها من خلال الحاسب الآلي.

وحدة المعالجة تتكون من :

- حاسب آلي.
- محلل يستقبل الإشارة من لاقط الصوت ويعالجها.
- برنامج يتعامل مع المحلل لإظهار النتائج المطلوبة.

آلية عمله:

- يقوم المستخدم بنطق الصوت (كلمة – جملة ... الخ) بواسطة برنامج تابع لكارت الصوت لاقط الصوت ، أو يتم نقل الصوت من أشرطة مسجلة في (الاستوديو).
- يتم ضبط بعض مفاتيح صندوق المعالجة ليتم الاستخدام الأمثل للإشارة المستقبلة.
- يتم إرسال تحليل الإشارة المسجلة بواسطة البرنامج إلى المحلل ليقوم بتجميعها ومعالجتها رقمياً لتظهر على شاشة الحاسب الآلي.

- عن طريق برنامج الحاسب الآلي يختار نوع التحليل المطلوب.
- تقوم الطابعة بطبع البيانات التي تظهر على الشاشة.

فوائد الجهاز:

- يقوم الجهاز بإظهار مجموعة التحاليل الآتية:
- التحليل الطيفي للصوت (Spectograph) ، ويمكن عرضه بألوان مختلفة .
- شدة الصوت (acoustic energy) ويقاس بـــ الديسيبل.
- الزمن (time).
- الترددات الخاصة بالصوت (Pitch).
- النغمة الأساسية للصوت (Fundemental frequency).
- يظهر كل التحاليل السابقة على شاشة الحاسب الآلي في صورة منحنيـــات وجداول.
- إعادة سماع الصوت آلياً بعد تسجيله وسماع قطع مختارة من الصوت.
- حفظ المعلومات والإشارات على شرائط ممغنطة (diskettes).

التحليل الطيفي للصوت

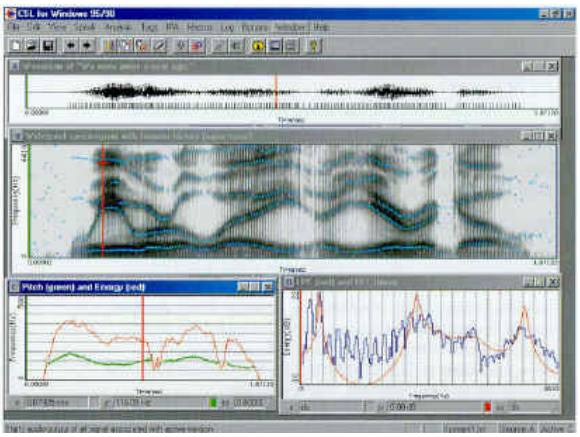

إنَّ الصوت الـذي تسـتطيع الأذُن البشرية سماعه يتكون مـن مجموعـة ترددات مختلفة تتـراوح بـين ٢٠-٢٠.٠٠٠ ذبذبة/ثانيـة وإن توزيـع الطاقة الصوتية على هذه التـرددات المختلفة عند لحظة ما مـن الـزمن يختلف بحسب الصوت المنطـوق في تلك اللحظة.

والرسم الطيفي هو تمثيل مرئي لتوزيع الطاقة الصوتية على الترددات المختلفة في زمن النطق.

- المحور الأفقي يمثل زمن العبارة المنطوقة.
- المحور الرأسي يمثل الترددات التي يدخل في نطاقها صوت العبـارة المنطوقـة (من صفر إلى ٥٠٠٠ ذبذبة/ثانية تقريباً).

تمثل الطاقة الصوتية في العبارة بمناطق سوداء تتناسب شدة سوادها مـع كميـة الطاقة، فالمناطق الشديدة السواد تدل على وجود طاقة صوتية عالية عند تـردد مـا في زمن ما.

والمناطق الرمادية تدل على وجود طاقة صوتية منخفضة.

والفراغات تدل على عدم وجود طاقة أو وجود طاقة صوتية منخفضة جداً أقل من الحساسية المختارة للجهاز ، حيث إن هناك حَداً أدنى للطاقة يمكـن أن يظهـر في الطيف.

فإذا زِدت الحساسية ظهرت أشياء على شاشة المرسم الطيفي لم تكن موجودة، وإذا قلَّلت حساسية الجهاز اختفت أشياء كانت ظاهرة.

فالأمر نسبيٌّ، وباحث الصوتيات هو الذي يحدِّد هذه المقاييس بحسب غرضـه، ويستخدم النافع منها لغوياً .

هذا شرح مبسط جداً للتحليل الطيفي للصوت، ولا بد منه لمن يريد أن يقـرأ الصور الطيفية الواردة في البحث. ويلزمني أن أُنبِّه هنا إلى أن جميع الصـور الطيفيـة الواردة في البحث تُقرأ من اليسار إلى اليمين، وأن الأمثلة المختارة في البحث مقطعـة تقطيعاً يمكن من خلالها التعرف على كل صوت في الكلمة.

ملحق المصطلحات الواردة في البحث

القدماء	المحدثون	المصطلح الأجنبي	معنى المصطلح
	الأوتار الصوتية / الأحبال الصوتية / الطيات الصوتية/ الثنيات الصوتية	Vocal fold/ vocal cord	شريطان أفقيان من نسيج مرن يقعان في الحنجرة في قمة القصبة الهوائية، إذا اجتمعا في وجه تيار النفس، ولهما أهمية كبرى في عمليتي الجهر والهمس.
	الصوت اللامجهور واللامهموس	---	الصوت الذي لا يحتوي على أي طاقة صوتية.
	الصوت المركب	Affricate	هو الصوت الذي يجمع بين طريقتين من طرق النطق هي الشدة(الاحتباس) يتبعها أثر احتكاكي.
	الضاد الدالية	---	الضاد التي مخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا.
	الطاء المهموزة	---	هي الطاء الفصيحة التي يمتنع معها جريان النفس، والتي نسمعها من القراء المتقنين اليوم، ولا داعي لهذا المصطلح؛ لأن الطيات الصوتية تتخذ وضع الجهر، ودون وجود لعنصر الهمز.
	القاف المغيَّنة	---	القاف التي تنطق غيناً كنطق بعض أهل السودان.
	الهاء غير المتذبذبة	---	الهاء التي لا تهتز معها الأوتار الصوتية، وهي عبارة عن نفس خالص ذي صوت ضعيف جداً.

	الهاء المتذبذبة	---	الهاء التي تهتز معها الأوتار الصوتية، وهي الهاء التي تسمعها من القراء المتقنين اليوم.
---	تردد	Frequency	عدد ذبذبات الموجات الصوتية في الثانية.
---	التصويت	Phonation	ذبذبة الأوتار الصوتية المصاحبة للصوت مما ينتج عنه الجهر.
---	الحجاب الحاجز	Diaphragm	حجاب بين الصدر والبطن لدى الإنسان يتحكم في عملية الشهيق والزفير، وبالتالي في عملية النطق تعينه في ذلك عضلات البطن.
---	ذبذبة	vibration	هي المسافة التي يقطعها جسم يتحرك حركة تذبذبية من أقصى نقطة على أحد جانبي محور التماثل حتى يعود إلى هذه النقطة ثانية.
---	السياق اللغوي	linguistic context	البيئة اللغوية التي تحيط بالحرف أو الكلمة أو العبارة أو الجملة.
---	صوت رنيني / رنان	Resonant	صوت لا يعاق فيه تيار النفس إعاقة ظاهرة، أي ليس شديداً ولا رخواً، وتعتمد نوعيته على تشكيل التجاويف المشتركة في إحداث الرنين، وهي التجويف الفموي، والتجويف الأنفي، والتجويف الحلقي، والصوت الرنيني صوت امتدادي يمكن إطالته إلى أمد غير محدد. وهو ما أن يكون رنينياً أنفياً إذا انغلق الفم تماماً وانفتح الأنف، مثل النون والميم، وإما أن يكون رنينياً جانبياً إذا انغلق ممر الفم من وسطه مثل اللام، وإما أن يكون رنينياً وسطياً إذا انفتح الفم في وسطه مثل الحركات وحروف المد.
---	عتبة السمع	Auditory	الحد الأدنى الذي تسمعه الأذن.

---	الفونولوجيا/ علم الأصوات الوظيفي/ علم الفونيمات	Phonology	هو فرع من علم اللغة يدرس الفروق الوظيفية بين الأصوات، وقد درس قديماً تحت علوم النحو والصرف واللغة.
	النغمة الأساسية	Fundamental tone	النغمة الرئيسية التي تسيطر على سلسلة من النغمات التوافقية التي تتزامن معها.
	النغمة التوافقية	Harmonic tone	نغمة ترددها أحد مضاعفات تردد النغمة الأساسية.
	الوشوشة	Whisper	نطق تشترك فيه الطيات الصوتية الحقيقة والكاذبة مع تصلبهما كيلا تحدث ذبذبات أثناء مرور تيار النفس.
	الوقفة	Pause	هي التي تنعدم فيها أي إشارة صوتية وتصنف على أنها لحظة صمت.
	الحزم المكونة	Formant	المكون الموجي في علم الأصوات الفيزيائية يظهر على شكل شرائط أفقية تختلف مقدار نغمتها بحسب شدة الصوت.
	أكوستيك	Acqustics	علم فيزيائي.
	علم الأصوات الفيزيائي	Acostic / Physical phonetics	علم الأصوات الفيزيائي: علم يدرس موجات الأصوات الكلامية، وانتقالها إلى الأذن، والعوامل المؤثرة في ذلك.
	التحليق/ التفخيم	Pharyngealization	نطق الصوت مصحوباً بتضييق في البلعوم مما ينشأ عنه تفخيمه.
	التحليل الطيفي	Sound spectrogram	رسم يخطه جهاز خاص تظهر فيه الحزم الصوتية (أي الترددات) على شكل شرائط أفقية ويمكن بواسطة هذا الرسم الطيفي دراسة تأثير الصوت على ما يجاوره وكشف التأثيرات التي لا تستطيع الأذن العادية كشفها.

	التغوير	palatalization	أن يرتفع وسط اللسان قليلاً نحو الغار (أي الحنك الصلب) مما يؤدي إلى إضافة صفة الغارية إلى صوت غير غاري أساساً، وسماه بعض اللغويين تغويراً أو ترطيباً.
---	جذر اللسان	Tongue root	الجزء الواقع في أقصى النهاية الخلفية للسان.
---	المقطع	Syllable	وحدة صوتية تتكون من صائت واحد على الأقل هو نواة المقطع بالإضافة إلى احتمال وجود صامت واحد أو أكثر قبل الصائت أو بعده أو قبله وبعده.
---	منظار الحنجرة	Laryn goscope	يستخدم في الكشف عن الأصوات الحلقية ورؤية الأوتار الصوتية .
أسلة اللسان/ عذبة اللسان	حد اللسان/نهاية طرف اللسان	Tongu Point/Apex/ tip	انظر الشكل ص ٢٠
أصوات آنية	---	---	هي التي يستمر الصوت فيها لحظة ثم ينقطع كالقاف.
أصوات زمانية	---	---	هي التي يستمر فيها الصوت زماناً.
الأضراس	الأضراس	---	انظر الشكل ص ٢١
أقصى الحنك/ الخفاف	الحنك اللين/الطبق	Soft palate /velum	الجزء اللحمي الخلفي من سقف الفم، وهي نقطة نطق بالنسبة لبعض الأصوات كالقاف والغين والخاء .
أقصى اللسان	أقصى اللسان/مؤخر اللسان	Tongu Dorsum/ back	انظر الشكل ص٩
الأنياب	---	---	انظر الشكل ص٢١

الإذلاق	---	---	---
إشباع الاعتماد	---	---	مصطلح استعمله الخليل بن أحمد وسيبويه ليدل على العملية العضوية المطلوبة لإصدار الصوت المجهور.
الإشراب	---	---	استعمله الخليل وسيبويه ليدل على الصوت المجهور الذي هو مختلط بذبذبة الأوتار الصوتية.
الإشمام	---	---	هو ضم الشفتين بعد سكون الحرف ، إشعاراً للناظر أن الحرف مضموم آخره.
الإصمات	---	---	---
الإمالة الصغرى	---	---	أن تقرب الفتحة من الكسرة ، لكنها أقرب ما تكون إلى الفتحة ومخرجها كالألف.
الإمالة الكبرى	---	---	أن تقرب الفتحة من الكسرة وأقرب ما تكون إلى الكسرة، ومخرجها أقرب إلى الياء.
الاستطالة	---	---	مصطلح خاص بالضاد وله معنيان اتصال مخرج الضاد (حافة اللسان) بمخرج الإطباق أو استطالة مخرج الضاد حتى يتصل بمخرج اللام أي الاتصال من منطقة ضغط خلفية إلى أمامية، وقد يطلق على السين توسعاً .
الاعتماد	---	---	الضغط
الانحراف	الجانبية	Lateral	صفة تطلق على الصوت الرنيني الذي يمر أثناءه تيار النفس من جانبي اللسان، وهو خاص باللام واستعمله بعض أهل التجويد في ميل مخرج كميل مخرج الراء إلى اللام لاشتراك ظهر اللسان في الراء .
البلعوم	البلعوم	Pharynx	التجويف الواقع بين جذر اللسان والجدار

			الخلفي للحلق والممتد من التجويف الأنفي إلى الحنجرة، وبذا فهو يقع فوق الحنجرة وفي أعلى الحلق. وهو أحد أعضاء النطق ويمر فيه الهواء إلى الفم والأنف.
البينية	المتوسطة/ المائعة	Liquid	تطلق عند القدماء على التوسط بين كمال احتباس الصوت وبين كمال جريه كما في الميم التي تنحبس عند إطباق الشفتين لكنها تجد لها منفذاً تخرج منه وهو الخيشوم، ويطلق عند المحدثين على التوسط بين الحركات والصحاح عموم.
التفشي	---	---	كثرة انتشار خروج الهواء في الفم، وهو خاص بالشين وقد يطلق على الضاد توسعاً.
التكرير	التكرير	Flop	ارتعاد طرف اللسان عند النطق بحرف الراء.
التواتر	---	---	هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب .
الثنايا	الثنايا	---	الأسنان الأمامية اثنان من فوق واثنان من تحت . انظر الشكل ص٢١
الجهر	الجهر	Voice	الطاقة الصوتية التي تهتز معها الأوتار الصوتية المتميزة بقوة الوضوح السمعي.
الجوف	الفراغ الحلقي والفموي معاً	Pharyngeal and oral cavity	يطلق في اللغة على معان متعددة، وفي مجال الأصوات يطلق على الفراغ الممتد على طول المجرى الهوائي عدا مجرى الأنف.
الجيم التي بين القاف والكاف	الجيم القاهرية	---	الجيم الشديدة التي تخرج من أقصى الحنك الصلب عند مخرج الكاف التي يستعملها أهل القاهرة.
الجيم التي	الجيم الشامية	---	هي الجيم المجهورة الرخوة التي يستعملها

كالشين			أهل الشام.
الجيم الفصيحة	الجيم القرشية	---	الجيم التي تخرج من التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الصلب، والتي يستعملها القراء المتقنون اليوم.
حافة اللسان	---	---	انظر الشكل ص٢٠
الحرف	الحرف	Letter/graph	يطلق في اللغة على معان متعددة، وفي مجال الأصوات يعرف عند علماء التجويد بأنه صوت اعتمد على مقطع محقق (مخارج الصحاح) أو مقطع مقدر (مخارج العلل) على حين هو لا يشمل عند المحدثين إلا الرمز الكتابي الذي يدل عليه حرف السين مثلاً.
حرفا اللين	اللين/ الانزلاقيات/ شبه صائت	Glides/ semivowel	صوت ينطق مثل حروف العلة ويتوزع مثل الصحاح وهما الواو والياء الساكنتان والمتحركتان وقبلهما فتح.
حروف العلة/ حروف المد/ الهوائية/ الذوائب/ الجوفية	العلل/ الحركات / الصوائت	Vowels	صوت رنيني امتدادي مجهور يصدر دون إعاقة لتيار النَّفَس.
حق الحرف	---	---	إعطاء الحرف الصفات الذاتية التي يقوم بها كالجهر والهمس والشدة والرخاوة.
الحلق	الحلق/ الفراغ الحلقي/ التجويف الحلقي	Pharyngeal	يشمل عند القدماء الحنجرة والفراغ الحلقي، على حين هو مقتصر عند المحدثين على الفراغ الحلقي فقط.

الحلقوم/ الحنجور	---	---	تجويف الحنجرة.
الحنجرة	الحنجرة	Larynx	عضو غضروفي في أعلى القصبة الهوائية يحتوي على الوترين الصوتيين اللذين تفصل بينهما فتحة تسمى المزمار أو الزَّردمة (Glottis) والحنجرة تسمى أيضاً صندوق الصوت (voice box) أو تفاحة آدم (Adam's apple)
الحنك	الحنك	Palate	سقف الفم، وهو يمتد من الطرف اللثوي إلى ما يوازي مؤخر اللسان.
الخيشوم	التجويف الأنفي/ الفراغ الأنفي	Nasal cavity	ممر الأنف كأحد المخارج الكلية (غرف الرنين) التي تساهم في إصدار الأصوات الكلامية.
ذلق اللسان/ ذولق/ طرف/ أدنى	طرف اللسان/ذلق اللسان	Blade	انظر الشكل ص٢٠
الرباعيات	---	---	انظر الشكل ص٢١
الرَّوْم	---	---	هو إضعاف الصوت بالحركة حتى يذهب بعضها ، ويكون في الحركات الثلاث عند النحويين بخلافه عند أهل التجويد؛ إذ لا يكون إلا في الضم والكسر.
شجر الفم	الحنك الصلب / الغار/ النطع	Hard palat	الجزء الأمامي من سقف الفم ، وهو جزء عظمي صلب مقارنة بالجزء اللحمي الخلفي الذي يدعى الحنك اللين (Soft palat) أو الطبق (Velum) ويشترك في نطق الأصوات الكلامية .

الشفتان	الشفتان	Lips	انظر الشكل ص٢١
الصحاح/ الجوامد	الصوامت/ السواكن	Consonant	صوت له نقطة نطق محددة يخرج منها كالطاء مخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا.
الصفير	الصفير	Sibilant	صفة ناتجة عن قوة احتكاك تيار النفَس بسبب تضييق. ممره وأصوات الصفير هي الصاد والسين والزاي.
الصوت	الصوت	Sound/voice	يطلق عند القدماء على الهواء الذي يحدث أثراً مسموعاً فهو في تعريفهم هواء يتموج بتصادم جسمين، على حين هو يشمل ذلك عند المحدثين بالإضافة إلى أنه يعني الحروف المنطوقة.
الصوت الرخو	الاحتكاكي	Fricative	صوت ينشأ عن احتكاك تيار النفس بجدران الممرات الصوتية نتيجة لإعاقة التيار جزئياً.
الصوت الشديد	الانفجاري/ الوقفي	Stop/ Explosive	يعرف عند القدماء بأنه انحباس جريان الصوت عند النطق بالحرف الشديد، واشترط المحدثون إضافة إلى ذلك مرحلة انفتاح المخرج فهو عندهم صوت ينطق عن طريق إيقاف تيار النفس ثم إطلاقه.
صوت الصدر	---	---	مصطلح استعمله الخليل وسيبويه، وردَّده من بعدهما ليدل على أثر اهتزاز الأوتار الصوتية التي تصاحب الصوت المجهور، ويمكن الإحساس بذلك حينما نضع أيدينا على الرقبة عند نطق الأصوات المجهورة.
صوت الفم	---	---	مصطلح استعمله سيبويه ليدل على خاصية من خواص الصوت المهموس، وهي خلوه من صوت الصدر.
الضاد	---	---	مصطلح غامض استعمله سيبويه في

الضعيفة			الكتاب، ويفيد ظاهر كلامه أنها الضاد التي ضعف إطباقها فلم تقوَ قوة الضاد في مخرجها.
ضاد ظائية	---	---	الضاد التي مخرجها مخرج الظاء.
ضعف الاعتماد	---	---	مصطلح استعمله سيبويه ومن بعده ليدل على العملية العضوية المطلوبة لإصدار الصوت المهموس.
الضواحك	---	---	انظر الشكل ص٢١
الطاء التي كالتاء	---	---	الطاء التي تكون مصحوبة بجريان النفس ، فتصبح شبيهة بالتاء ، وهي الطاء التي تسمعها في لهجة أهل القاهرة.
الطواحن/ الأرحاء	---	---	انظر الشكل ص٢١
ظهر اللسان	---	---	انظر الشكل ص٢٠
علم التجويد	علم الفوناتيك/ الأصوات / الصوتيات	Phonetiecs	نشأ في القديم لمعالجة اللحن الخفي في القرآن الكريم، وحديثاً هو فرع من علم اللغة يدرس الأصوات من حيث نطقها وانتقالها، وإدراكها وينقسم إلى فروع منها: علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الفيزيائي، وعلم الأصوات التجريبي أو المعملي، وعلم الأصوات التاريخي، وعلم الأصوات الوظيفي.
الغضروف الدرقي/ الترسي	الغضروف الدرقي	Thyroid cartilage	أحد غضاريف الحنجرة الرئيسية.
الغضروف	الغضروف	Cricoid cartilage	أحد غضاريف الحنجرة الرئيسية.

الذي لا اسم له	الحلقي/ القاعدي		
غضروف الغلصمة	غضروف الغلصمة/ لسان المزمار	Epiglotis	أحد غضاريف الحنجرة، وقد كان يعتقد إلى وقتٍ قريب أنه يحمي فتحة الحنجرة من دخول الطعام إليها، وقد ثبت حديثاً عدم صحة هذا الاعتقاد.
الغضروفان الطرجهاريان /المكبي	الغضروفان الطرجهاليان/ الهرميان	Arytenoid cartilage	أحد غضاريف الحنجرة ولهما أهمية كبرى في عملية التصويت.
القاف الفصيحة	القاف الفصيحة	---	القاف التي مخرجها أقصى اللسان مع الحنك اللين.
القاف المعقودة	---	---	الجيم القاهرية لكن يصاحبها تضييق في الحلق.
القلقلة	---	---	هي نبرة زائدة تتبع حروف (قطب جد)، وتحقق لها وضوحاً سمعياً، وهي تشبه طيفياً الحركات، وإلا أنها لا تنتمي لأي منها وظيفياً.
اللثة	اللثة	gum	وهي اللحم على مغارز الأسنان يمسكها.
اللحن	التغيير	Change	يطلق في اللغة على معانٍ متعددة، وفي مجال الأصوات يطلق على التغييرات التي تطرأ على الحرف.
اللحن الجلي	التغيير الصوتي الفونيمي والتغيير النظمي والتغيير الفونيمي الصرفي (جميعاً)	Phonemicsound Chang and syntact Change and Morphophonemic change	التغييرات التي تطرأ على الحرف فتخل به إخلالاً ظاهراً قد يؤثر في المعنى، وقد لا يؤثر كتغيير المرفوع إلى منصوب، أو تجويف المعنى عما قسم له من الحركة والسكون أو تبديل حرف، أو نقصه، أو زيادته.
اللحن الخفيّ	التغيير الصوتي	Phonetic change	التغييرات التي تطرأ على الحرف، ولا تؤثر في معناه، ولا تُقصِّر في لفظه كترك زيادة

			الغنة في النون والميم المشددتين. وأهل التجويد هم الذين اعتنوا بمعالجته في كتاب الله.
اللهاة	اللهاة	Uvula	اللحمة المسترخية على الحلق.
المخارج الجزئية	---	---	الضغط الحقيقي الحاصل من عضوي النطق. فمثلاً مخرج الجيم والشين والياء، وسط اللسان إلا أن موضع الجيم غير موضع الشين غير موضع الياء.
المخارج الكلية	التجاويف فوق المزمارية	---	تطلق بشكل رئيسي عند القدماء على الحلق واللسان والشفتين وأضاف إليها المتأخرون من علماء التجويد الجوف والخيشوم، وعلى حين هي تشمل عند المحدثين الحلق، والفم، والخيشوم.
المخرج	المخرج	Place of articulation/ point of articulation	الحيِّز المولِّد للحرف ومكان خروجه بواسطة صوت.
مستحق الحرف	---	---	إعطاء الحرف الصفات الناشئة عن الصفات الذاتية فمثلاً حق حرف الغين أن يستعلي معه أقصى اللسان ومستحقه أن يكون مفخماً.
المقطع	---	---	قد يطلق على التحركات التقطعية التي يقوم بها أعضاء النطق المتحركة، وهو الأشهر وقد يطلق على مكان قطع الصوت (المخرج) وقد يطلق على الحرف تجوزاً.
موضع	---	---	مصطلح استعمله سيبويه ليدل على المخرج الجزئي الذي يحصل فيه الضغط الحقيقي من عضوي النطق.
النطع	ما فوق اللثة	Alveolar ridge	وهي الجلدة الملتصقة في مقدم الحنك الصلب، وفيها آثار كالتحزيز.

النفخ	النفَسية	Aspiration	صفة للصوت الذي يكون نطقه مصحوباً بتيار نفَسي، واستعمله سيبويه فقط للدلالة على الدفعة الزائدة من النَّفَس التي تتبع الأصوات المهموسة عند الوقف.
النواجذ	---	---	انظر الشكل ص٢١
الهمس	الهمس/ الوشوشة	Unvoice/ whisper	الطاقة الصوتية التي لا تهتز معها الأوتار الصوتية المتميزة بضعف الوضوح السمعي، واشترط القدماء جريان النفس على حين لم يشترط المحدثون ذلك.
وسط اللسان	وسط اللسان/ مقدم اللسان	Middle/front	انظر الشكل ص٢٠

المراجع : ١- علم المصطلحات علم اللغة الحديث.٢- معجم علم اللغة النظري.
٣- معاجم اللغة النظرية.

ملاحظة : المصطلحات مرتبة هجائياً على مصطلحات القدماء.

تراجم الأعلام

١- **ابن دريد** : محمد بن الحسن بن دريد الازدي، من أزد عمان من قحطان، أبو بكر: من أئمة اللغة والادب.كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء.، وهو صاحب (المقصورة الدريدية) ولد في البصرة عام (هـ)٢٢٣، رحل إلى نواحي فارس، فقلده (آل ميكال) ديوان فارس، ومدحهم بقصيدته (المقصورة) ثم رجع إلى بغداد، واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارا، فأقام إلى أن توفي سنة (٣٢١ هـ) ومن كتبه (الاشتقاق) في الانساب، و (المقصور والممدود) و (الجمهرة) في اللغة، و (ذخائر الحكمة) وغيرها . انظر الأعلام ٦/٨٠.

٢- **ابن أبي مريم** : نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي الفسوي، أبو عبد الله، ابن أبي مريم: خطيب شيراز وعالمها وأديبها في عصره. له "تفسير القرآن" و " شرح الإيضاح للفارسي" و " الموضح " في القراءات الثمان،" وتوفي بعد سنة (٥٦٥هـ) . انظر الأعلام ٨/٢٦، وغاية النهاية٢/٣٣٧.

٣- **ابن الأثير** : المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين: المحدث اللغوي الأصولي،ولد عام (٥٤٤هـ) بجزيرة ابن عمر ونشأ فيها ، وانتقل إلى الموصل، فاتصل

بصاحبها، فكان من أخصائه ، توفي في إحدى قرى الموصل سنة (٦٠٦هـ) ، من كتبه " النهاية في غريب الحديث والأثر " و " جامع الأصول في أحاديث الرسول " جمع فيه بين الكتب الستة، و غيرها. انظر: الأعلام ٥/٢٧٢.

٤- **ابن الجزري (الابن):** أحمد بن محمد بن محمد، أبو بكر، شهاب الدين ابن الجزري القرشي الشافعي: مقرئ، دمشقي المولد والوفاة. أخذ عن أبيه وغيره وسمع القراءات الاثنتي عشرة، وتصدر للتدريس.ومات بعد أبيه بقليل نحو سنة (٨٣٥ هـ) له (الحواشي المفهمة في شرح المقدمة الجزرية). انظر الأعلام ٤ /٢٠٦.

٥- **ابن الجزري :** محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه،من حفاظ الحديث، ولد في دمشق عام (٧٥١هـ) ونشأ فيها، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن) ورحل إلى مصر مرارا، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر، ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها،ومات فيها سنة (٨٣٣هـ) ،من كتبه (النشر في القراءات العشر) ، و (غاية النهاية في طبقات القراء) ، و (التمهيد في علم التجويد) و (منجد المقرئين) و (تحبير التيسير) في القراءات العشر، و (تقريب النشر في القراءات العشر) و (الدرة المضية) في القراءات ، و (طيبة النشر في القراءات العشر) منظومة، و (المقدمة

الجزرية) أرجوزة في التجويد. انظر الأعلام ٧ /٤٥،غاية النهاية ٢٤٧/٢.

٦- **ابن الحاجب** : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية، كردي الأصل، ولد في أسنا (من صعيد مصر) عام(٥٧٠هـ) ، ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية سنة (٦٤٦ هـ) وكان أبوه حاجبا فعرف به، من تصانيفه " الكافية " في النحو، و " الشافية " في الصرف، و " جامع الأمهات " استخرجه من ستين كتابا، في فقه المالكية " و " منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل " في أصول الفقه، و " مختصر منتهى السؤل والأمل " و " الإيضاح " في شرح المفصل للزمخشري،وغيرها . انظر الأعلام٣/٤١.

٧- **ابن الطحان**: عبد العزيز بن علي بن محمد، أبو الأصبغ الاشبيلي: قارئ مجود، له شعر حسن.ولد باشبيلية عام (٤٩٨هـ) ، ورحل إلى مصر والشام وحلب والعراق. وانتهى إليه التفوق بالقراءات في عصره. وتوفي بحلب نحوسنة (٥٦٠هـ).من كتبه " نظام الأداء في الوقف والابتداء " و " مقدمة في مخارج الحروف " و " مقدمة في أصول القراءات " و " كتاب الدعاء " و " مرشد القاري إلى تحقيق معالم المقاري ". انظر غاية النهاية١/٣٩٥، الأعلام٤/٢٢.

٨- **ابن جرير الطبري**: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام.ولد في آمل طبرستان عام (٢٢٤ هـ) ، واستوطن بغداد

وتوفي بها سنة (٣١٠ هـــ) وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى.له (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري، و (جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري)، و (اختلاف الفقهاء) و (المسترشد) في علوم الدين، و (جزء في الاعتقاد) و (القراءات) وغير ذلك.وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه.وكان أسمر أعين، نحيف الجسم فصيحا. انظر الأعلام ٦ /٦٩.

٩- **ابن جماعة** : محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد، أبو عبد الله عز الدين الكناني الحموي ثم المصري، ، عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان.أصله من حماة، ومولده في ينبع عام (٧٤٩هـــ) انتقل إلى القاهرة، وسكنها، وتتلمذ لابن خلدون، وتوفي فيها بالطاعون سنة(٨١٩ هـــ) ،وكان مكثرا من التصنيف، من كتبه (النجم اللامع) شرح جمع الجوامع في الاصول، و (حاشية على شرح الجاربردي للشافية) و (حاشية على المغني) وثلاث حواش على (المطول) و (غاية الاماني في علم المعاني) و (الجامع) في الطب . انظر الأعلام٦/٥٦.

١٠- **ابن جني** : عثمان بن جني الموصلي ، أبو الفتح : من أئمة الأدب والنحو، وله شعر ، ولد بالموصل ، وتوفي ببغداد سنة (٣٩٢هـــ) ، عن نحو ٦٥ عاما ، وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الازدي الموصلي ، من تصانيفه : (المحتسب) في شواذ القراءات ، و(سر

الصناعة) الأول منه في اللغة ، و (الخصائص) في اللغة ، و(اللمع) في النحو ، و(التصريف المملوكي) و(المذكر والمؤنث) و (المصنف) في شرح التصريف للمازني ، و(المقتضب من كلام العرب) رسالة ، وغير ذلك وهو كثير . وكان المتنبي يقول : ابن جني أعرف بشعري مني. انظر الأعلام ٤/٢٠٤.

١١- **ابن سيده** : علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها، ولد بمرسية (شرق الأندلس) عام (٣٩٨ هـ) وانتقل إلى دانية فتوفي بها سنة (٤٥٨ هـ) كان ضريرا (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف " المخصص " سبعة عشر جزءا، وهو من أثمن كنوز العربية، و " المحكم والمحيط الأعظم " أربعة مجلدات منه، و " شرح ما أشكل من شعر المتنبي " و " الانيق " في شرح حماسة أبي تمام، ست مجلدات، وغير ذلك. انظر الأعلام٤ /٢٦٤.

١٢- **ابن سينا** : هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد في قرية (أفشنة) بالقرب من بخارى (في أوزبكستان حاليا) وتوفي في مدينة همدان (في إيران حاليا) سنة(ت ٤٢٧هـ) عرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب الحديث. وقد ألّف ٢٠٠ كتاب في مواضيع مختلفة،

العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب . انظر الأعلام ١٤١/٢.

١٣- **ابن غازي** : منصور بن عيسى بن غازي الأنصاري المصري ، زكي الدين ، الشهير بالسمنودي ، قارئ لـــ(تحفة الطالبين في تجويد كلام رب العالمين) ، توفي بعد ١٠٨٤هـــ. انظر الأعلام ٣٠١/٧.

١٤- **ابن فارس** : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت٣٩٥ هـــ) ،من أئمة اللغة والادب ، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها ، وإليها نسبته. من تصانيفه (مقاييس اللغة) و (الصاحبي) في علم العربية، و (جامع التأويل) في تفسير القرآن، أربع مجلدات، و (النيروز) وله شعر حسن ، انظر الأعلام ١٩٣/١.

١٥- **ابن كيسان** : محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بابن كيسان: عالم بالعربية، نحوا ولغة، من أهل بغداد، أخذ عن المبرد وثعلب. من كتبه " تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها " " المهذب " في النحو، و " غلط أدب الكاتب " و " غريب الحديث " و " معاني القرآن " و " المختار في علل النحو " توفي سنة (٢٩٩هـــ).انظر الأعلام ٥ /٣٠٨.

١٦- **ابن مسعود** : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي.من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الاسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادم رسول الله$، وصاحب سره، ورفيقة في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. وولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما. وكان قصيرا جدا، يكاد الجلوس يوارونه. وكان يحب الاكثار من التطيب. فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر، من طيب رائحته. له ٨٤٨ حديثا. توفي رضي الله عنه سنة (٣٢هـ)، انظر الإصابة ت (٤٩٤٣) والإعلام ١٣٧/٤.

١٧- **ابن منظور** : أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري الرُّوَيفعي الإفريقي من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري (ت٧١١هـ) كان عالما في الفقه واللغة، خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس. أشهر أعماله وأكبرها هو "لسان العرب"، جمع فيها أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً. عمل على اختصار وتلخيص عدد هائل من كتب الأدب المطولة، له شعر رقيق. عمي في آخر عمره وتوفي في مصر . انظر الأعلام ١٠٨/٧.

١٨- **ابن يعيش**: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع: من كبار العلماء بالعربية ، موصلي الأصل، مولده ووفاته في حلب رحل

إلى بغداد ودمشق، وتصدر للإقراء بحلب إلى أن توفي سنة (٦٤٣ هـ).، من كتبه " شرح المفصل " و " شرح التصريف الملوكي " لابن جني ، انظر الأعلام ٢٠٦/٨.

١٩- **أبو الحسن الرماني** : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر،من كبار النحاة ، أصله من سامراء، ومولده عام (٢٩٦هـ)ووفاته ببغداد سنة (٣٨٤ هـ) ،له نحو مئة مصنف، منها " شرح أصول ابن السراج " و " شرح سيبويه " و " معاني الحروف " رسالة صغيرة و " النكت في إعجاز القرآن " وغيرها ، انظر الأعلام ٣١٧/٤.

٢٠- **أبو الدرداء الأنصاري** ، صحابي جليل ، واسمه عويمر ، وقيل اسمه عامر، وعويمر لقب . انظر الإصابة ٧/ ٥٨ .

٢١- **أبو العلاء الهمذاني** : الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد ابن سهل العطار: شيخ همذان، وإمام العراقيين في القراءات. وله باع في التفسير والحديث والأنساب والتواريخ. كان لا يغشى السلاطين ولا يقبل منهم شيئا ولا مدرسة ولا رباطا، ولا تأخذه في الله لومة لائم، مع التقشف في الملبس توفي سنة (٥٦٩ هـ). له تصانيف، منها (زاد المسير) في التفسير، و (الوقف والابتداء) في القراءات، و (معرفة القراءة) ، و (الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ). انظر الأعلام٢ /٨١،غاية النهاية ٢٠٤/١.

٢٢- **أبو حيان النحوي** :محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجيانى، النفزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ، ولد في إحدى جهات غرناطة عام (٦٥٤هـ)، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها سنة (٧٤٥ هـ) واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه، من كتبه (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و (عقد اللآلي) في القراءات، و (الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية) و (المبدع) في التصريف، و (ارتشاف الضرب من لسان العرب) وغيرها. انظر الأعلام ١٥٢/٧.

٢٣- **أبو علي الفارسي** : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، الفارسي الأصل، أبو علي: أحد الائمة في علم العربية ، ولد في فسا (من أعمال فارس) عام (٢٨٨هـ) دخل بغداد وتجول في كثير من البلدان.وفدم حلب فأقام مدة عند سيف الدولة.وعاد إلى فارس، فصحب عضد الدولة ابن بويه، وتقدم عنده، فعلمه النحو، وصنف له كتاب (الايضاح) في قواعد العربية. ثم رحل إلى بغداد فأقام إلى أن توفي بها سنة(٣٧٧ هـ) ، وله شعر قليل، من كتبه (التذكرة) في علوم العربية، عشرون مجلدا، و (تعاليق سيبويه) و (الحجة في علل القراءات) ، و (جواهر النحو) و (المقصور والممدود) و (العوامل) في النحو. انظر الأعلام١٧٩/١.

٢٤- **أبو عمرو ابن العلاء** : زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة.

ولد بمكة عام (٧٠هـ) ، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة سنة(١٥٤هـ) ، كان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر، وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية.له أخبار وكلمات مأثورة. انظر الأعلام٣/٤١،غاية النهاية ١/٢٨٨.

٢٥- **أبو عمرو الداني** : عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي، ولد عام (٣٧١هـ) أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره.من أهل دانية بالأندلس،دخل المشرق، فحج وزار مصر، وعاد فتوفي في بلده سنة (٤٤٤ هـ) له أكثر من مئة تصنيف، منها " التيسير " في القراءات السبع، و " المقنع " في رسم المصاحف ونقطها، و " الاهتداء في الوقف والابتداء " و " جامع البيان " في القراءات، و " طبقات القراء " وغير ذلك. انظر الأعلام٤ /٢٠٦، وغاية النهاية ١/٥٠٣.

٢٦- **أبو موسى الأشعري**: صحابي جليل ، وُلِد ابنه الأكبر إبراهيم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وحنكه بيده الشريفة . انظر الإصابة ١/٩٨.

٢٧- **الأزميري**: مصطفى بن عبد الرحمن بن محمد الأزميرى (ت١١٥٦ هـ): عالم بالقراءات.من كتبه (عمدة العرفان في وجوه القرآن) وشرحه (بدائع البرهان) و (تحرير النشر من طريق العشر) و (تقريب حصول المقاصد في تخريج ما في النشر من الفوائد) . انظر الأعلام٧/٢٣٦ .

٢٨- **الاعلم الشنتمري** : يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الاندلسي، أبو الحجاج المعروف بالاعلم: عالم بالادب واللغة. ولد في شنتمري الغرب (٤١٠هـ) ،وكف بصره في آخر عمره ومات في إشبيلية سنة (٤٧٦ هـ) كان مشقوق الشفة العليا، فاشتهر بالاعلم. من كتبه " شرح الشعراء الستة " و " تحصيل عين الذهب " في شرح شواهد سيبويه، و " شرح ديوان الحماسة " و " النكت على كتاب سيبويه " انظر الأعلام٨/٢٢٣.

٢٩- **بدر الدين خوج**: بدر الدين بن عمر خوج المكي: فاضل، له اشتغال بالادب والتاريخ،مولده ووفاته بمكة سنة (١١٧٥هـ) . عاش زهاء ٧٥ عاما. له (زهر الخمائل في ذكر من في الحرمين الشريفين من أهل الفضائل) . انظر الأعلام ٢/٤٦.

٣٠- **برجستر يسر** : جوتهلف برك شتريزر Gotthelf Bergstrasser جرى كتاب العربية على تسميته (برجستريسر) أو(برجستراسر) مستشرق ألماني، كان أبوه وجده من قساوسة البرتستانت في مدينة بلون Plauen بألمانيا.وتعلم في جامعة ليبزيج Leipzig وأخذ العربية عن آوغست فيشر.وقام برحلة إلى الشرق، فزار الاناضول وسورية وفلسطين ومصر. وألقى في أوائل الحرب العامة الاولى محاضرات في جامعة الآستانة، ثم في جامعات ألمانيا، في العلوم الاسلامية واللغات السامية.ودرس في مدينة ميونيخ إلى أن توفي مترديا من قمة جبل من جبال (الالب) في أثناء رحلة رياضية سنة(١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م). ومما نشره بالعربية (غاية النهاية في طبقات القراء) لابن الجزري، ومات

قبل تمامه فأكمله المستشرق برتزل و (شواذ القراآت) لابن خالويه. انظر الأعلام ١٤٢/٢.

٣١- **البطليوسي**: عبد الله بن محمد بن السيد، أبو محمد: من العلماء باللغة والادب، ولد في بطليوس في الاندلس عام (٤٤٤هـ)ونشأ فيها ، وانتقل إلى بلنسية فسكنها، وتوفي بها سنة (٥٢١ هـ) ، من كتبه " الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن قتيبة " و " الانصاف في التنبيه على الاسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم و " الحلل في شرح أبيات الجمل " و " الحلل في أغاليط الجمل " و " شرح الموطأ " وغير ذلك. انظر الأعلام١٢٣/٤.

٣٢- **التاذفي**: محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبدالرحمن التاذفي الحلبي (ت ٩٧١هـ)، له كتاب " الفوائد السرية شرح المقدمة الجزرية " وغيره. انظر الأعلام ١٩٣/٦.

٣٣- **الجاربردي** : أحمد بن الحسن بن يوسف، فخر الدين الجاربردي، فقيه شافعي اشتهر وتوفي في تبريز سنة (٧٤٦ هـ) ،له (شرح منهاج البيضاوي) في أصول الفقه، و (شرح الحاوي الصغير) لم يكمل و (شرح شافية ابن الحاجب)و (حاشية على الكشاف). انظر الأعلام ١١١/١.

٣٤- **الجرمي**: صالح بن إسحاق، الجرمي بالولاء، أبو عمر: فقيه، عالم بالنحو واللغة، من أهل البصرة.سكن بغداد.له كتاب في (السير) و (كتاب

الابنية) و (غريب سيبويه) وكتاب في (العروض) توفي سنة (٢٢٥هـ) انظر الأعلام ١٨٩/٣.

٣٥- **الجعبري** : إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق عالم بالقراءات،ولد بقلعة جعبر (على الفرات) وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل (في فلسطين) إلى أن مات سنة (٧٣٢ هـ)،يقال له (شيخ الخليل) له نحو مئة كتاب أكثرها مختصر، منها (خلاصة الابحاث) شرح منظومة له في القراءات، و (شرح الشاطبية) المسمى بـ (كتر المعاني شرح حرز الاماني) ، و (نزهة البررة في القراءات العشرة) و (حديقة الزهر) في عدد آي السور، و (جميلة أرباب المقاصد) في رسم المصحف، و (عقود الجمان في تجويد القرآن) وغيرها . انظر الأعلام ١/ ٥٥ وغاية النهاية١/٢١.

٣٦- **الجوهري** : إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر(ت ٣٩٣ هـ) لغوي، أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور، أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض، ومقدمته في (النحو)، أول من حاول الطيران ومات في سبيله. انظر الأعلام ٣١٣/١.

٣٧- **الخليل بن أحمد** : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد في البصرة عام (١٠٠هـ) ومات فيها سنة (١٧٠هـ) ، عاش فقيرا صابرا ، كان شعث الرأس، شاحب اللون، متمزق الثياب، مغمورا في الناس لا يعرف . له كتاب

(العين) في اللغة ، و (معاني الحروف) وكتاب (العروض) و (النقط والشكل) و (النغم) وغيرها . وفكر في ابتكار طريقة في الحساب تسهله على العامة، فدخل المسجد وهو يعمل فكره، فصدمته سارية وهو غافل، فكانت سبب موته. انظر الأعلام ٢/٣١٤.

٣٨- **الراغب الاصفهاني** : الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الاصفهاني، المعروف بالراغب(ت٥٠٢ هـ): أديب، من الحكماء العلماء.من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالامام الغزالي.من كتبه (محاضرات الادباء) ، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(الاخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (المفردات في غريب القرآن) و(حل متشابهات القرآن) و (تفصيل النشأتين) في الحكمة وعلم النفس، و(تحقيق البيان – خ) في اللغة والحكمة وغيرها . انظر الأعلام٢/٢٥٥.

٣٩- **الرضي الاستراباذي** : محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، نجم الدين (ت٦٨٦ هـ) عالم بالعربية، من أهل أستراباذ (من أعمال طبرستان) اشتهر بكتابيه (الوافية في شرح الكافية، لابن الحاجب) في النحو جزآن، و (شرح الشافية لابن الحاجب) في علم الصرف . انظر الأعلام ٦/٨٦.

٤٠- **الرومي**: أحمد بن فائز الرومي ، شارح رسالة الدر اليتيم ، توفي (ت ١١٥١) . مكتبة الشيخ أيمن سويد.

٤١- **زكريا الأنصاري** : زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، أبو يحيى: شيخ الإسلام ، قاض مفسر، من حفاظ الحديث. ولد في سنيكة (بشرقية مصر) سنة (٨٢٣هـ) وتعلم

في القاهرة وكف بصره سنة ٩٠٦ هـ توفي سنة (٩٢٦هـ) له تصانيف كثيرة، منها (فتح الرحمن) في التفسير، و (تحفة الباري على صحيح البخاري) و (الدقائق المحكمة) في شرح الجزرية، و (غاية الوصول) في أصول الفقه، وغيرها . انظر الأعلام ٢/٤٦.

٤٢- **الزمخشري** : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) عام (٤٦٧هـ) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله.وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها سنة (٥٣٨ هـ) ،أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة) و (المفصل) و (المقامات) و (رؤوس المسائل) وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره . انظر الأعلام ٧ / ١٧٨.

٤٣- **سبط الخياط** : عبد الله بن علي بن أحمد البغدادي، أبو محمد، المعروف بسبط الخياط: شيخ الإقراء ببغداد في عصره، كان عالما بالقراءات واللغة والنحو، مولده ببغداد عام (٤٦٤هـ) ،من كتبه " المبهج" و " الاختيار في اختلاف العشرة أئمة " في دمشق و " الروضة " و " الإيجاز " و " التبصرة " كلها في القراءات ، توفي ببغداد سنة (٥٤١هـ) . انظر غاية النهاية ١/٤٣٤، والأعلام٤/١٠٥.

٤٤- **السخاوي** : علي بن محمد بن عبدالصمد الهمذاني المصري السخاوي المصري الشافعي ، أبو الحسن ، علم الدين : علام بالقراءات والأصول

واللغة والتفسير ، وله نظم . أصله من صخا (بمصر) سكن دمشق ، وتوفي فيها عام (٦٤٣هـ) ، ودفن بقاسيون . من كتبه " جمال القراء وكمال الإقراء " في التجويد ، و" هداية المرتاب " منظومة في متشابه كلمات القران ، ومرتبة على حروف المعجم ، و " المفضل ، شرح المفصل للزمخشري " و " شرح الشاطبية " وهو أول شرحها ، وكان سبب شهرتها . انظر الأعلام ٤/ ٣٣٢.

٤٥- **سفيان الثوري:** سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى.ولد بالكوفة عام (٩٧هـ) ونشأ فييها ، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة.ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا سنة (١٦١هـ)، له من الكتب (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، وكتاب في (الفرائض) وكان آية في الحفظ، من كلامه: ما حفظت شيئا فنسيته. انظر الأعلام ٣/١٠٤.

٤٦- **السمنودي:** منصور بن عيسى بن غازى الأنصاري ، المصرى، زكى الدين، الشهير بالسمنودى: قارئ. له (تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين) توفي (بعد ١٠٨٤ هـ). انظر الأعلام ٧/٣٠١.

٤٧- **سيبويه** : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، المعروف بسيبَوَيه : إمام العربية وشيخ النحاة" الذي إليه ينتهون، وله كتاب في النحو يسمى

"الكتاب" وهو أول كتاب منهجي ينسق ويدون قواعد اللغة العربية، «لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله».ولد في مدينة البيضاء قرب شيراز في بلاد فارس،وقدم إلى البصرة غلاماً، ونشأ فيها وأخذ عن علمائها، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي. له وصف لمخارج حروف اللغة العربية هو الأدق حتى الآن. توفي في شيراز سنة (ت١٨٠ هـ). انظر الأعلام ٨١/٥.

٤٨- **الصفاقسي** : علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي: ولد عام (١٠٥٣هـ)مقرئ من فقهاء المالكية. من أهل صفاقس ، رحل إلى تونس ومنها إلى المشرق، فأخذ عن علماء كثيرين دون أسماءهم في " فهرسة " حافلة ، وعاد إلى صفاقس، فصنف كتابا، منها " غيث النفع في القراءات السبع " و " تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين " وغيرها ، توفي سنة (١١١٨هـ) . انظر الأعلام ١٤/٥.

٤٩- **الضباع** : علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الملقب بالضباع ، مصري، علامة كبير وإمام مقدم في علم التجويد والقراءات والرسم ، ولي مشيخة عموم المقارئ والإقراء بالديار المصرية ، وألّف كل ما له صلة بالقران فأحسن وأجاد ، ومن أشهر مؤلفاته : " إرشاد المريد إلى مقصود القصيد " ، شرح على الشاطبية ، "البهجة المرضية شرح الدرة المضية "، " قطف الزهر من ناظمة الزهر " ، " إرشاد الإخوان إلى شرح مورد الظمآن " . انظر هداية القارئ ٦٨٠/٢.

٥٠- **طاشكبري زاده**: أحمد بن مصطفى بن خليل: أبو الخير، عصام الدين طاشكبري زاده (٩٦٨ هـ)، مؤرخ، تركي الأصل، ولد في بروسة، ونشأ في أنقرة، وتأدب وتفقه، وتنقل في البلاد التركية مدرسا للفقه والحديث وعلوم العربية.وولي القضاء بالقسطنطينية ، له كتاب (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية) و (مفتاح السعادة) و (نوادر الأخبار في مناقب الأخيار) معجم تراجم، و (وشرح للجزرية)، وغير ذلك. انظر الأعلام ١/٢٥٧.

٥١- **الطبلاوي** : محمد بن سالم ، ناصر الدين: من علماء الشافعية بمصر.عاش نحو مئة سنة، وانفرد في كبره بإقراء العلوم الشرعية وآلاتها كلها حفظا، ولم يكن في مصر أحفظ لهذه العلوم منه، له (شرحان) على (البهجة الوردية) وهي خمسة آلاف بيت، و (بداية القاري في ختم البخاري) نسبته إلى (طبلية) من قرى المنوفية توفي سنة (٩٦٦ هـ)٠ انظر الأعلام٦/١٣٤.

٥٢- **عبد الغني النابلسي** عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي: شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، متصوف.ولد ونشأ في دمشق وتوفي بها سنة (١١٤٣ هـ) ، له مصنفات كثيرة جدا، منها " ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الاحاديث " فهرس لكتب الحديث الستة، و " نفحات الازهار على نسمات الاسحار " و " إيضاح الدلالات في سماع الآلات " . انظر الأعلام٤/٣٢.

٥٣- **عبد الله بن المبارك** بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات ، أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا ،وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. ،كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم. سنة (١٨١هـ) له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه، و " الرقائق " في مجلد . انظر الأعلام ٤/١١٥.

٥٤- **الفراء** : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب.، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ولد بالكوفة عام (١٤٤هـ) وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم.وتوفي في طريق مكة سنة (٢٠٧ هـ)، وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها. انظر الأعلام٨/١٤٥.

٥٥- **الفيومي**: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس لغوي، اشتهر بكتابه (المصباح المنير) ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة (بسورية) فقطنها. ولما بنى الملك المؤيد إسماعيل جامع الدهشة قرره في خطابته. وله أيضا (نثر الجمان في تراجم الاعيان) و (ديوان خطب) توفي سنة (ت ٧٧٠هـ). انظر الأعلام ١/٢٣٤.

٥٦- **القسطلاني**: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث، مولده عام (٨٥١هـ) ووفاته في القاهرة (٩٢٣هـ). له (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) عشرة أجزاء، و (المواهب اللدنية في المنح المحمدية) في السيرة النبوية، و(لطائف الإشارات في علم القراءات) و(الكتر) في التجويد.انظر الأعلام ١/٢٣٢.

٥٧- **قطرب** : محمد بن المستنير بن أحمد، أبو على، الشهير بقطرب: نحوى، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة.وهو اول من وضع (المثلث) في اللغة.وقطرب لقب دعاه به أستاذه (سيبويه) فلزمه.من كتبه (معاني القرآن) و (النوادر) لغة، و (الازمنة) و (الاضداد) و (غريب الحديث) وغيرها توفي سنة (٢٠٠هـ) . انظر الأعلام٧ /٩٥.

٥٨- **الكسائي** : علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي ، وكنيته أبو الحسن ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة ، قيل له : لم سميت الكسائي؟ قال : لأنني أحرمت في كساء . (ت١٨٩هـ) ، بعد أن عاش ٧٠ سنة. انظر الوافي ص٦٦.

٥٩- **محمد مكي نصر الجريسي** : عالم في التجويد والقراءات وغيرها ، مصري ، توفي بعد (١٣٠٥ هـ) ، ومن أشهر مؤلفاته : (نهاية القول المفيد في علم التجويد). انظر هداية القارئ للشيخ المرصفي ٢/ ٧٢٥.

٦٠- **المرادي** : الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المصري، أبو محمد، بدر الدين، المعروف بابن أم قاسم: مفسر أديب.مولده بمصر وشهرته

وإقامته بالمغرب .من كتبه (تفسير القرآن) عشر مجلدات، و (إعراب القرآن) و (شرح الشاطبية) في القراءات و (شرح ألفية ابن مالك) خزانة الشاويش ببيروت توفي بسرياقوس (بمصر) سنة (٧٤٩ هـــ). انظر الأعلام ٢/٢١١.

٦١- **المرعشي** : محمد بن أبي بكر المرعشي، المعروف بساجقلي زاده (ت١١٤٥هـــ): فقيه حنفي مشارك في معارف عصره.من أهل مرعش. فكانت له حلقة لتدريس الطلاب.وصنف نحو ٣٠ كتابا ورسالة، منها (جهد المقل) في التجويد وشرحه (بيان جهد المقل) ورسالة في (الضاد) و (تسهيل خلاصة الأثر وديوان الإسلام). انظر الأعلام ٦/٦٠.

٦٢- **المزاحي** : سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل المزاحي ، المصري ، الشافعي : فاضل ، كان شيخ الإقراء بالقاهرة . نسبته إلى منية مزاح (من الدقهلية بمصر) . تعلم وتوفي بالقاهرة سنة ١٠٥٧ هـــ ، من كتبه: (حاشية على شرح المنهج للقاضي زكريا) فقه ، و(شرح الشمائل) ومؤلف في (القراءات الأربع الزائدة على العشر) ، و (الجوهر المصون) و (مسائل وأجوبتها) في التجويد . لعله أجوبة عن أسئلة وردت إليه في القراءات ، و (رسالة في أجوبة المسائل العشرين التي رفعها بعض المقرئين). انظر الأعلام ٣ / ١٠٨ .

٦٣- **مكى بن أبى طالب** حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية.من أهل القيروان، ولد فيها عام (٣٥٥هـــ) وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها، ثم

سكن قرطبة وخطب وأقرأ بجامعها وتوفى فيها سنة (٤٣٧هـ) ،له كتب كثيرة، منها (مشكل إعراب القرآن) ، و (الكشف عن وجوه القراءات وعللها) و (الهداية إلى بلوغ النهاية) في معاني القرآن وتفسيره، و (التبصرة في القراءات السبع) و (الرعاية) لتجويد التلاوة، و (الإبانة) في القراءات. انظر الأعلام٧/٢٨٦،غاية النهاية ٢/٩٠٣.

٦٤- **الملا علي القاري** : علي بن (سلطان) محمد، نور الدين، الملا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره ، ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنة (١٠١٤هـ) ، قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبعيه فيكفيه قوته من العام إلى العام.وصنف كتبا كثيرة، منها " تفسير القرآن " ثلاثة مجلدات، و " والمنح الفكرية في شرح الجزرية " و" شرح مشكاة المصابيح " و " شرح الشاطبية " في القراءات وغيرها . انظر الأعلام ٥/١٢.

٦٥- **المنصوري**: علي بن سليمان بن عبد الله المنصوري: شيخ القراء بالآستانة ، مصري الأصل، مات في أسكدار سنة (١١٣٤هـ) . له كتب، منها : " تحرير الطرق والروايات " في القراءات، و " رد الإلحاد في النطق بالضاد " ، و " ألفية " في النحو، و " إرشاد الطلبة إلى شواهد الطيبة " . انظر الأعلام ٤/٢٩٢.

٦٦- **الموصلي** : جعفر بن مكي بن جعفر، أبو موسى محب الدين الموصلي (ت ٧١٣هـ) :عالم بالقراءات، من أهل الموصل، توفي بشيراز ، له (الكامل الفريد في التجويد والتفريد) . انظر الأعلام ٢/١٣٠.وغاية النهاية ١/٩٨.

٦٧- **النقرة كار** : عبد الله بن محمد بن أحمد الحسيني النيسابوري، جمال الدين وينعت بالشريف (ت٧٧٦ هـ): عالم بالعربية وأصول الفقه حنفي. ولي التدريس بحلب، وأقام بدمشق مدة، وبالقاهرة مثلها. له " شرح المنار " في الاصول، و " شرح التسهيل " في النحو، و " شرح الشافية " في التصريف، و " شرح لب اللباب" في النحو، و " شرح التلخيص " في البلاغة و" شرح التنقيح " لصدر الشريعة، في أصول الفقه، قال طاش كبري زاده: معنى النقرة كار: صائغ الفضة . انظر الأعلام٤/١٢٦.

٦٨- **الهذلي** : يوسف بن علي بن جبارة، أبو القاسم الهذلي البسكري: متكلم، عالم بالقراءات المشهورة والشاذة. ، كان ضريرا،من أهل بسكرة ،رحل إلى أصبهان وبغداد،وقرره نظام الملك مقرئا في مدرسته بنيسابور (سنة ٤٥٨هـ) فاستمر إلى أن توفي سنة (٤٦٥ هـ). من كتبه " الكامل " في القراءات، ذكر فيه أنه لقي من الشيوخ ٣٦٥ شيخا من آخر ديار الغرب إلى باب فرغانة . انظر الأعلام ٨/٢٤٢ وغاية النهاية٢/٣٩٧.

مصادر ومراجع البحث

المخطوطات

١- **أجوبة المزاحي على الأسئلة التي وجهت إليه في التجويد والقراءات**

الإمام سلطان المزاحي

نسخة مصورة عن المكتبة الأزهرية ١٨٨ قراءات.

٢- **الإيضاح شرح المفصل**

أبو عمرو بن الحاجب

دار الكتب المصرية (نحو/تيمور) تحت رقم ٢٨٦

(رقم الميكروفيلم ١٤٢٣١).

٣- **الاختيار**

الإمام سبط الخياط

المكتبة الأحمدية – حلب.

٤- **التحرير السديد بشرح القول المفيد في علم التجويد**

بدر الدين بن عمر خوج بن عطاء الله الملتجي

مصورة عن المكتبة الأزهرية رقم ١٣٨٨ قراءات.

٥- **الثغر الباسم في قراءة عاصم**

أبو مصلح علي الغمريني الشافعي

نسخة في مركز إحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى بمكة المكرمة

تحت رقم ٥٢٦ مصورة عن المكتبة الأزهرية رقم ٢٣٨/٢٢٢٤٥.

٦- **الدرر المنظمة البهية في حلّ ألفاظ الجزرية**

زكي الدين منصور بن عيسى بن غازي الأنصاري الشافعي

نسخة مصورة عن المكتبة الأزهرية رقم عام ٣٧٦١٥/رقم خاص ١٢٠٤ قراءات.

٧- **الرد على بغية الفساد لتصحيح النطق بالضاد**

علي المنصوري

نسخة مصورة عن المكتبة الظاهرية برقم ٥٩٨٧.

٨- **شرح رسالة الدر اليتيم**

أحمد بن فائز الرومي

مكتبة الشيخ أيمن رشدي سويد

٩- **شرح كتاب سيبويه**

علي بن عيسى الرماني

نسخة في جامعة الملك سعود بالرياض رقم الميكوفيلم (٥/٣٥٣٢)

مصورة عن المكتبة الوطنية بفيينا – لوبنشتاين تحت رقم ٢٤٤٢

١٠- **فتح الوصيد شرح القصيد**

علم الدين عليّ بن عبدالصمد السخاوي

دار الكتب المصرية تفسير قراءات/تيمور رقم ٢٥٥

١١- **الفوائد السرية في شرح المقدمة الجزرية**

محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي التاذفي.

المكتبة الأزهرية ، الرقم ٤٨١٣٩(قراءات)

١٢- **القول المفيد في علم التجويد**

الإمام الطيبي

مكتبة الشيخ أيمن رشدي سويد

١٣- **الكامل الفريد في التجويد والتفريد**

أبو موسى جعفر بن مكي الموصلي

يوجد نسخة منه في جامعة الملك سعود (رقم الميكروفيلم ١/٣٤١-د)
مصورة عن المكتبة الوطنية بفيينا-لوبنشتاين ٢٠٤١ ضمن مجموع .

١٤- **الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة**

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني

نسخة مصورة عن المكتبة الأزهرية قراءات (١٠٣) ٧٦٦١.

المطبوعات

١٥- **أزمة العصر** محمد محمد حسين

الناشر دار عكاظ

١٦- **أسباب حدوث الحروف** الشيخ الرئيس ابن سينا

نسخه وصححه محب الدين الخطيب

الناشر المطبعة السلفية – القاهرة ط٢- ١٣٥٢م

١٧- **الأصوات اللغوية** إبراهيم أنيس

مكتبة الأنجلو المصرية – ط٦ القاهرة ١٩٨١م

١٨- **الأصوات** لـــ كمال بشر

ط٧ دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٨٠م

١٩- **الأعلام** لخير الدين الزركلي

ط٨ – دار العلم للملايين – بيروت لبنان – ١٩٨٩م

٢٠- **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**

للإمام عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي

تحقيق إبراهيم عطوة عوض

الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي

٢١- **الإعراب سمة العربية الفصحى** لـــ د. محمد إبراهيم البنا

دار الإصلاح

٢٢- **إعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء** للدكتور أشرف

فؤاد طلعت

مكتبة السنة ط١ - ١٤٠٨هـــ-١٩٨٨م

٢٣- **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر** لـــ أحمد

مختار عمر

ط٣ - ١٩٨٧هـ - عالم الكتب – القاهرة

٢٤- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة**

تأليف الشيخ عبدالفتاح القاضي ويليه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب

ط١ - ١٤٠١هـ دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان

٢٥- **تاج العروس من جواهر القاموس** للإمام محمد مرتضى الزيدي

الناشر دار مكتبة الحياة – بيروت لبنان

ط١ / بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر ١٣٠٦هـ

٢٦- **التحديد في الإتقان والتجويد** للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني

دراسة وتحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد

ط١- ١٤٠٧هـ-١٩٨٨م مكتبة دار الأنبار

٢٧- **التذكرة في القراءات الثمان** للإمام طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون

تحقيق أيمن رشدي سويد

الناشر جمعية القرآن الكريم بجدة ط١- ١٤١٢هـ

٢٨- **ترتيب العلوم** للشيخ محمد بن أبي بكر المرعشي تحقيق : محمد بن إسماعيل السيد أحمد

ط١ - ١٤٠٨هـ دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان

٢٩- **التشكيل الصوتي في اللغة العربية** لـ سلمان العاني

ترجمة الدكتور ياسر الملاح مراجعة الدكتور محمد محمد غالي

ط١ - النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

٣٠- **التطور اللغوي** لـ عبدالصبور شاهين

ط٢ / ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م مؤسسة الرسالة – بيروت

٣١- **التطور النحوي للغة العربية** لـــ برجستراسر
مكتبة الخانجي القاهرة دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢هـــ-١٩٨٢م
٣٢- **التعريفات** للشريف علي بن محمد الجرجاني- المكتبة الفيصلية
٣٣- **التمهيد في علم التجويد** للإمام محمد بن الجزري
تحقيق د. علي حسين البواب ط١ / ١٤٠٥هـــ-١٩٨٥م مكتبة المعارف الرياض
٣٤- **تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين** لأبي الحسن الصفاقسي
نشر مكتبة الثقافة الدينية
٣٥- **تهذيب اللغة** الأزهري
تحقيق عبدالسلام هارون مراجعة محمد علي النجار
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
٣٦- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** لأبي جعفر الطبري
دار الفكر ١٤٠٨هـــ-١٩٨٨م
٣٧- **جمال القراء وكمال الإقراء** علم الدين السخاوي
تحقيق : علي حسين البواب ط١ / ١٤٠٨هـــ-١٩٨٧م مطبعة المدني – القاهرة
٣٨- **الجمهرة** لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري
الناشر مكتبة التراث – مكة دار صادر - بيروت
٣٩- **جهد المقل وشرحه**
نسخة مصورة عن مكتبة الحرمين بمكة المكرمة الرقم العام ٢٨٤ الرقم الخاص ٤٣٦٧

٤٠- **الحواشي المفهمة في شرح المقدمة** لابن الناظم أبوبكر أحمد بن محمد بن الجزري ، تحقيق: عمر عبدالرزاق معصراتي، الجفان والجابي ، دمشق ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٤١- **الخصائص** لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان

٤٢- **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** د. غانم قدوري الحمد مطبعة الخلود – بغداد – ط١/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

٤٣- **دراسات في علم أصوات العربية** لـ داوود عبده مؤسسة الصباح - الكويت

٤٤- **دراسات في علم اللغة** لـ كمال بشر ط٩ /١٩٨٦م – دار المعارف – مصر

٤٥- **دراسات في فقه اللغة** لصبحي الصالح ط١١ – دار العلم للملايين – بيروت لبنان/١٩٨٦م

٤٦- **دراسات السمع والكلام** لـ سعد مصلوح عالم الكتب – القاهرة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م

٤٧- **دراسة الصوت اللغوي** لـ أحمد مختار عمر ١٤١١هـ-١٩٩١م عالم الكتب – القاهرة

٤٨- **دروس في علم أصوات العربية** لجان كانتينو نقله إلى العربية صالح القرمادي نشريات مركز الدراسات النحوية الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦٦م

٤٩- **الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد** تأليف شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري

تحقيق د. نسيب نشاوي ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م مطابع ألف باء الأديب – دمشق

٥٠- **رسالة في الضاد رداً على ساجقلي زاده الأزميري**

٥١- **رسالتان في حرف الضاد** لـ محمد رضا الدمشقي

٥٢- **الرعاية** لمكي بن أبي طالب

تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ط٢/ ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

دار عمار (عمان-الأردن)

٥٣- **زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء** لـ أبي البركات بن الأنباري

تحقيق رمضان عبدالتواب ١٣٩١هـ-١٩٧١م

الناشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان

٥٤- **سر صناعة الإعراب** لأبي الفتح عثمان بن جني

دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي ط١/ ١٤٠٥هـ دار القلم – دمشق

٥٥- **سراج القاري المبتدي وتذكار القاري المنتهي شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني**

أبو القاسم علي بن عثمان القاصح وبذيل صحائفه مختصر بلوغ الأمنية للشيخ علي الضباع على نظم تحرير مسائل الشاطبية للشيخ حسن خلف الحسيني

المقرئ وبالهامش غيث النفع في القراءات السبع لعلي النوري الصفاقسي.

الناشر دار الفكر ١٤٠١هـ-١٩٨١م

٥٦- **سنن الترمذي** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة

تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – كمال يوسف الحوت المكتبة التجارية – مكة المكرمة.

٥٧- **شرح المفصل** موفق الدين بن يعيش النحوي

عالم الكتب – بيروت

٥٨- **شرح الواضحة في تجويد الفاتحة** لابن أم قاسم المرادي النحوي
حققه وعلق عليه د. عبدالهادي الفضيلي
دار القلم – بيروت – لبنان

٥٩- **شرح شافية ابن الحاجب** للشيخ رضي الدين الاستراباذي
دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م
تحقيق الأساتذة محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبدالحميد.

٦٠- **الصحاح** لإسماعيل بن حماد الجوهري
تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ط٢/ بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م دار العلم للملايين.

٦١- **صحيح البخاري** للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل
تحقيق د. مصطفى ديب البغا
نشر وتوزيع دار ابن كثير – اليمامة دمشق – بيروت ط٤/١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٦٢- **صريح النص في الكلمات المختلف فيها عن حفص** للشيخ علي الضباع
الناشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٦هـ

٦٣- **الطراز في ضبط الخراز** تأليف أبي عبدالله محمد بن عبدالجليل التنسي
تحقيق أحمد شرشال رسالة دكتوراه مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة ١٤٠٨هـ

٦٤- **الطرازات المعلمة في شرح المقدمة** عبدالدائم الأزهري ، تحقيق: د.نزار خورشيد عقراوي، دار عمار ، عمان ، ٢٠٠٣م.

٦٥- **العربية ولهجاتها** لـــ عبدالرحمن أيوب
الناشر مكتبة الشباب
٦٦- **علم الأصوات العام** لـــ بسام بركة
مركز الإنماء القومي
٦٧- **علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)** د. عصام نور الدين
دار الفكر اللبناني ط١/ ١٩٩٢م بيروت – لبنان
٦٨- **علم الأصوت** لبرتيل مالبرج تعريب الدكتور عبدالصبور شاهين
مكتبة الشباب
٦٩- **علم الصوتيات** عبدالله ربيع وعبدالعزيز علام
مكتبة الطالب الجامعي ط٢/ ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٨م مكة المكرمة
٧٠- **علم اللغة العام** لـــ عبدالعزيز علام
ط١- دار الطباعة المحمدية القاهرة ١٩٨٨م-١٤١٠هـــ
٧١- **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** الدكتور محمود السعران
دار النهضة العربية (بيروت – لبنان)

٧٢- **العين** الخليل بن أحمد الفراهيدي
تحقيق د. مهدي المخزومي د. إبراهيم السامرائي
ط١ – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ١٤٠٨هـــ-
١٩٨٨م
٧٣- **غاية النهاية في طبقات القراء** للإمام محمد بن الجزري
نشره ج برجستراسر ط٣ – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان –
١٤٠٢هـــ

٧٤- **الفرق بين الحروف الخمسة** للإمام أبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي
تحقيق عبدالله الناصر
دار المأمون للتراث ط١/ ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م
٧٥- **القاموس المحيط** للفيروزابادي
مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط٢/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م - بيروت لبنان
٧٦- **قرة العين في شرح ورقات إمام الحرمين** الإمام محمد بن محمد الرعيني المعروف بالحطاب
دار ابن خزيمة - المملكة العربية السعودية ط١/ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م
٧٧- **قصيدتان في تجويد القرآن** لأبي مزاحم الخاقاني المتوفى سنة ٣٢٥هـ ولعلم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣هـ
حققهما وشرحهما الدكتور عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ
الناشر دار مصر للطباعة ط١/ ١٤٠٢هـ
٧٨- **كتاب سيبويه** أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر
المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ١٣١٧هـ
وبهامشه تقريرات وزبد من شرح أبي سعيد السيرافي
ويليه تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب للشنتمري
٧٩- **كتاب سيبويه** أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر
تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ط٣ - عالم الكتب ١٤٠٣هـ
٨٠- **الكلام إنتاجه وتحليله** لـ عبدالرحمن أيوب
ط١/ ١٩٨٤هـ

مطبوعات جامعة الكويت

٨١- **كلام العرب** حسن ظاظا

دار القلم الناشران – دمشق – الدار الشامية – بيروت

ط٢ /١٤١٠هـ-١٩٩٠م

٨٢- **لسان العرب** لأبي الفضل جمال الدين بن منظور

دار صادر – بيروت – لبنان

٨٣- **لطائف الإشارات لفنون القراءات** شهاب الدين القسطلاني

تحقيق وتعليق الشيخ عامر عثمان والدكتور عبدالصبور شاهين

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة

١٣٩٢هـ-١٩٧٢م

٨٤- **اللغة العربية معناها ومبناها** تمام حسان

ط٣ / ١٩٨٥م الهيئة المصرية العامة للكتاب

٨٥- **المبهج في القراءات الثمان** الإمام سبط الخياط

رسالة دكتوراه مقدمة من الباحثة وفاء قزمار ١٤٠٤هـ جامعة أم القرى

٨٦- **مجلة الإسلام** صحيفة إسلامية أسبوعية جامعة قررها وزارة المعارف

٨٧- **مجلة كنوز الفرقان** إصدار الاتحاد العام لجماعة القراء

مدير ورئيس التحرير علي محمد الضباع

٨٨- **مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط** شرح الجاربردي وحاشية ابن جماعة

عالم الكتب – بيروت – لبنان

٨٩- **المحكم في نقط المصاحف** لأبي عمرو الداني

تحقيق د.عزة حسن – دار الفكر ط٢ / ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م دمشق

٩٠- **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة** لعلي بن إسماعيل بن سيده
تحقيق إبراهيم الأبياري
ط١ / ١٣٩١هـ-١٩٧١م مجمع اللغة العربية
٩١- **مخارج الحروف وصفاتها** لابن الطحان تحقيق د. محمد يعقوب تركستاني
ط٢/ ١٩٩١م-١٤١٢هـ.
٩٢- **المخصص** لأبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده دار الكتاب الإسلامي
– القاهرة.
٩٣- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** لـ رمضان عبدالتواب
ط٢ / ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٩٤- **مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين** لـ ناصر الدين
محمد بن سالم الطبلاوي، تحقيق د. محيي هلال السرحان ، دار الشؤون
الثقافية – بغداد ٢٠٠٢.
٩٥- **المستشرقون ومناهجهم اللغوية** لـ إسماعيل عمايرة
دار الملاحي للنشر والتوزيع – إربد – الأردن ط١ / ١٤٠٨هـ-
١٩٨٨م
٩٦- **المصباح المنير** لـ أحمد الفيومي المكتبة العلمية – بيروت – لبنان
٩٧- **المصحف المرتل بواعثه ومخططاته** بقلم لبيب السعيد
ط١ / دار الكاتب العربي – القاهرة ١٩٦٧م
٩٨- **معجم الأدباء** لياقوت الحموي ط٣ – دار الفكر ١٤٠٠هـ
٩٩- **معجم علم اللغة النظري** وضع الدكتور محمد علي الخولي
مكتبة لبنان – بيروت ط١ / ١٩٨٢م
١٠٠- **معجم مصطلحات علم اللغة الحديث** وضع نخبة من اللغويين العرب
مكتبة لبنان ط١ / ١٩٨٣م

١٠١- **معجم مفردات ألفاظ القرآن** للعلامة الراغب الأصفهاني
تحقيق نديم مرعشلي دار الفكر بيروت – لبنان
١٠٢- **معرفة القراء الكبار** للإمام شمس الدين الذهبي
تحقيق وتعليق بشار معروف – شعيب الأرناؤوط – وصالح عباس
ط١ – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٤هـ
١٠٣- **المغني الأكبر معجم مصطلحات اللغة الإنجليزية الكلاسيكية والمعاصرة والحديثة**
وضع حسن سعيد الكرمي مكتبة لبنان ١٩٨٧م
١٠٤- **مفتاح العلوم** للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه عدنان زرزور
دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ط٢ / ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م
١٠٥- **المفصل في علم اللغة** تأليف الإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ
قدم له وراجعه وعلق عليد الدكتور محمد عز الدين السعيدي
دار إحياء العلوم – بيروت – لبنان ط١/ ١٤١٠-١٩٩٠م
١٠٦- **مقاييس اللغة** لأحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبدالسلام هارون ط١/ ١٩٩١م دار الجيل بيروت .
١٠٧- **مقدمة ابن خلدون** للعلامة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون المغربي
دار إحياء التراث العربي – بيروت
١٠٨- **المقنع في رسم المصاحف الأمصار مع كتاب النقط**
تأليف أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، الناشر مكتبة العليان الأزهرية – القاهرة

١٠٩- **مناهج البحث في اللغة** لـــ تمام حسان
دار الثقافة ١٤٠٠هـــ-١٩٧٩م الدار البيضاء – المغرب
١١٠- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** للإمام محمد بن الجزري
دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م
١١١- **المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية** لملا علي بن سلطان القاري
١٣٦٧هـــ-١٩٤٨م
الناشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر
١١٢- **المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**
شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي ط١ / ١٩٥٤م إدارة الثقافة العامة
١١٣- **الموضح في التجويد** لـــ عبدالوهاب بن محمد القرطبي ، تحقيق: د.غانم قدروي الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـــ-٢٠٠٠م.
١١٤- **الموضح في وجوه القراءات وعللها** للإمام نصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم ط١ / ١٣٧٣هـــ-١٩٥٤م تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين
الناشر البابي الحلبي تحقيق ودراسة د. عمر حمدان الكبيسي
ط١ / ١٩٩٣م
الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم – جدة
١١٥- **النشر في القراءات العشر** لابن الجزري
أشرف على مراجعته علي محمد الضباع دار الكتاب العربي
١١٦- **النكت في تفسير كتاب سيبويه**
منشورات معهد المخطوطات العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان ط١ الكويت ١٤٠٧هـــ

١١٧- **نهاية القول المفيد في علم التجويد** لـــ محمد مكي نصر
مطبعة البابي الحلبي ١٣٤٩هـــ
١١٨- **النهاية في غريب الحديث والأثر** للإمام ابن الأثير
تحقيق طاهر الزاوي - محمود الطناحي
دار الفكر للطباعة والنشر لبنان – بيروت .

المراجع الأجنبية

١١٩- كتاب Speech Analysis
تأليف Ronald w.Schafer & John D.Markel
١٢٠- كتاب Acourse in phonetics
تأليف Peter Ladefoged
الناشر Harcourt Brace Jovanovich ط٢ – ١٩٨٢م

فهرس المحتويات

شكر وتقدير	ج
خلاصة البحث	هـ
ترجمة مستخلص البحث باللغة الإنجليزية	ح
المقدمة	ي
تمهيد ، ويشتمل على :	ف
١-التواتر والتلقي	ص
٢-علم التجويد (أهميته ومنهجه)	ذ
الفصل الأول : مدخل إلى الحروف العربية ، وينقسم إلى مبحثين :	١-٣٩
المبحث الأول : ويشتمل على أعضاء النطق عند القدامى والمحدثين ، وهي المطالب التالية:	٢-٢٤
المطلب الأول: منطقة الجَوْف	٥
أ- الجوف عند أهل المعاجم	٥
ب- الجوف عند الخليل في العين	٧
ج- الجوف عند أهل التجويد	٨
المطلب الثاني: منطقة الحَلْق	١٠
أ- الحلق عند القدماء	١٠

ب- غضاريف الحنجرة	١٢
ج- صمامات الحنجرة	١٤
د- الحلق عند المحدثين	١٥
المطلب الثالث: منطقة الفم وتشتمل على : الحنك واللسان والأسنان والشفتان	١٨
أ- الحنك :	١٨
- الحنك عند القدماء	١٨
- الحنك عند المحدثين	١٩
ب- اللسان :	٢٠
- اللسان عند القدماء	٢٠
- اللسان عند المحدثين	٢٠
ج- الأسنان.	٢١
المطلب الرابع: منطقة الشفتين	٢٢
المطلب الخامس: منطقة الخيشوم (التجويف الأنفي)	٢٢
جدول مصطلحات أعضاء النطق عند القدماء والمحدثين	٢٣
المبحث الثاني : مدخل إلى المخارج والصفات ، ويشتمل على المطالب التالية :	٢٥-٣٩
المطلب الأول: النَّفَس	٢٥

المطلب الثاني: الصوت	٢٦
المطلب الثالث: الحرف والمقطع والمخرج	٢٧
المطلب الرابع:كيفية نطق القدماء للأصوات لمعرفة مخارجها	٣٢
المطلب الخامس:كيفية نطق المحدثين للأصوات لمعرفة مخارجها	٣٤
المطلب السادس: ترتيب الحروف	٣٥
المطلب السابع: عدد المخارج	٣٦
أ- عدد المخارج عند القدماء	٣٦
ب_ عدد المخارج عند المحدثين	٣٨
ج- الخلاف بين القدماء والمحدثين في عدد المخارج	٣٩
الفصل الثاني : الحروف العربية من حيث المخارج والصفات ويشتمل على مبحثين :	٤٠- ٢٥٨
المبحث الأول : مخارج الحروف ، ويشتمل على :	٤١-٨٠
المطلب الأول: مخارج الحلق	٤٤
أ- أقصى الحلق : الهمزة والهاء	٤٥
ب- وسط الحلق : العين والحاء	٤٨
ج- أدنى الحلق : الغين والخاء	٤٨
المطلب الثاني: مخارج اللسان	٥١

أ- أقصى اللسان (القاف والكاف)	٥١
ب- وسط اللسان (الجيم والشين والياء)	٥٥
ج- حافة اللسان (الضاد واللام)	٥٧
د- طرف اللسان (النون والراء)	٦٢
هـ- طرف اللسان (الطاء ، والدال ، والتاء)	٦٦
و- طرف اللسان (الصاد ، والسين ، والزاي)	٦٨
ز- طرف اللسان (الظاء ، والذال ، والثاء)	٧٢
المطلب الثالث: مخارج الشفتين	٧٤
أ- الفاء	٧٤
ب - الباء والميم والواو	٧٥
المطلب الرابع: مخرج الخيشوم	٧٦
النون الخفية	٧٦
جدول نسبة غنة النون الساكنة عند حروف الإخفاء	٨٠
المبحث الثاني : صفات الحروف ، ويشتمل على :	٨١-٢٥٨
- أهمية الصفات	٨١
المطلب الأول: الجهر والهمس	٨٦
أ- **الجهر والهمس عند القدماء:**	٨٧
- كيفية نطق القدماء للحروف العربية	٨٧

- الجهر والهمس في اللغة	٩٠
- تعريف الهمس عند الخليل بن أحمد	٩٢
- الجهر والهمس عند سيبويه	٩٤
- تعريف سيبويه للمجهور والمهموس	٩٥
- إشباع الاعتماد وضعف الاعتماد عند سيبويه	٩٥
- معنى الموضع في كلام سيبويه	٩٩
- معنى قول سيبويه : (حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت)	١٠٠
- كيفية اختبار المجهور من المهموس عند سيبويه	١٠١
- كيفية ترديد الحرف عند سيبويه	١٠٢
- سبب اختيار سيبويه للحركة	١٠٣
- سبب تكرير الحرف مع الحركة عند سيبويه	١٠٤
- تحقيق الجهر والهمس في السياق اللغوي عند سيبويه	١٠٥
- كيفية تحقق الجهر والهمس حال إسكان الصوت عند سيبويه	١٠٦
- الجهر والهمس عند القدماء بعد سيبويه	١١٢
ب- الجهر والهمس عند المحدثين:	١١٦
- تعريف المحدثين للمجهور والمهموس	١١٦

- أوضاع الطيات الصوتية عند المحدثين	١١٨
- هل تصلح بعض هذه الأوضاع معياراً منضبطاً للهمس؟	١٢٠
- ماذا يعني عدم اهتزاز الأوتار الصوتية؟	١٢١
- دلالة مصطلح الهمس عند المحدثين مغايرة لدلالتها عند القدماء	١٢٢
- منهج المحدثين في تناولهم للجهر والهمس	١٢٣
- طريقة اختبار المجهور من المهموس عند المحدثين	١٢٦
- الحروف المجهورة والمهموسة عند القدماء والمحدثين	١٢٦
ج- نقاط الاتفاق والاختلاف في الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين	١٢٩
نتائج البحث في قضية الجهر والهمس	١٣٠
المطلب الثاني: الشدة والرخاوة والبينيَّة عند القدماء والمحدثين	١٣١
أولاً: الشدة:	١٣١
أ- الشدة عند القدماء	١٣١
- حال الإسكان هو المعتبر في الشدة والرخاوة عند القدماء	١٣١
- تعريف الشدة عند القدماء	١٣٣
- سبب تلقيب هذه الحروف بالشديدة عند القدماء	١٣٤
- الحروف الشديدة عند القدماء	١٣٥

ب- الشدة عند المحدثين	١٣٥
- تعريف الشدة عند المحدثين	١٣٥
- الحروف الشديدة عند المحدثين	١٣٧
ج- نقاط الاتفاق والاختلاف في الشدة بين القدماء والمحدثين	١٣٨
• **قضية الجيم:**	١٣٩
- أقوال المحدثين عن الجيم (عرض القضية)	١٣٩
- طبيعة الصوت المركَّب في الجيم	١٤٣
- أقوال القدماء عن الجيم	١٤٦
ثانياً: الرخاوة :	١٤٩
أ- الرخاوة عند القدماء	١٤٩
- تعريف الرخاوة عند القدماء	١٤٩
- سبب تلقيب هذه الحروف بالرخوة عند القدماء	١٥٠
- الحروف الرخوة	١٥١
ب- الرخاوة عند المحدثين	١٥١
- تعريف الرخاوة عند المحدثين	١٥١
- الحروف الرخوة عند المحدثين	١٥٢
ج- نقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين	١٥٣
• **قضية الضاد:**	١٥٤

- قضية الضاد عند اللغويين	١٥٤
- الضاد عند علماء التجويد	١٥٧
- الدعوات التي نادت بتغير الضاد	١٦١
- قضية الضاد عند المحدثين	١٦٥
- مناقشة الضاد وسبب صعوبته	١٧٠
ثالثاً: البينية:	١٧٦
أ- البينيَّة عند القدماء	١٧٦
- تعريف البينية عند القدماء	١٧٦
- الخلاف في حروفها عند القدماء	١٧٧
- طبيعة الحروف البينية	١٧٩
ب- البينية عند المحدثين	١٨٥
- قبول أو رفض المحدثين لتقسيم القدماء	١٨٥
- طبيعة الحروف البينية عند المحدثين	١٨٨
- مميزات هذه الحروف عند المحدثين	١٨٩
ج- نقاط الاتفاق والاختلاف في البينية يبين القدماء والمحدثين	١٩٠
كيفية تحقق الجهر والهمس في الحروف الشديدة والرخوة	١٩١
- كيفية تحقق الجهر والهمس في الحروف الشديدة والرخوة عند القدماء	١٩١

- كيفية تحقق الجهر والهمس في الحروف الشديدة والرخوة عند المحدثين	١٩٦
نقاط الاتفاق والاختلاف بين القدماء والمحدثين	١٩٩
• **قضية الهمزة:**	٢٠١
- الهمزة عند القدماء	٢٠١
- الهمزة عند المحدثين	٢٠٢
- مناقشة الهمزة حسب نطق القرَّاء	٢٠٤
• **قضية القاف:**	٢٠٦
- القاف عند المحدثين	٢٠٦
- القاف عند القدماء	٢١٠
- مناقشة القاف حسب نطق القرَّاء	٢١١
• **قضية الطاء:**	٢١٣
- الطاء عند المحدثين	٢١٣
- الطاء عند القدماء	٢١٨
- الطاء التي كالتاء	٢١٨
- شواهد على الطاء الفصيحة	٢١٩
- مناقشة الطاء حسب نطق القرَّاء	٢٢١
المطلب الثالث: الاستعلاء والاستفال والانفتاح والإطباق عند القدماء والمحدثين	٢٢٦

- تعريف الاستعلاء والاستفال والانفتاح والإطباق عند القدماء	٢٢٦
- أقوال القدماء في الاستعلاء والإطباق	٢٢٧
- تعريف الاستعلاء والإطباق عند المحدثين	٢٣١
- اختلاف المحدثين في تحديد المصطلح	٢٣٢
- الإطباق صفة حاسمة بين الحروف عند المحدثين	٢٣٤
- التفخيم والترقيق عند القدماء والمحدثين:	٢٣٦
- تعريف التفخيم والترقيق عند القدماء	٢٣٦
- حروف التفخيم عند القدماء	٢٣٧
- درجات التفخيم عند القدماء	٢٣٨
- مراتب التفخيم عند القدماء	٢٤٠
- تعريف التفخيم والترقيق عند المحدثين	٢٤١
- درجات التفخيم عند المحدثين	٢٤١
- نقاط الاتفاق والاختلاف في التفخيم والترقيق بين القدماء والمحدثين	٢٤٣
المطلب الرابع: الإذلاق والإصمات	٢٤٥
المطلب الخامس: الصفات المحسنة	٢٤٦
١-الصفير	٢٤٦
٢-القلقلة	٢٤٧
٣-اللين	٢٥١

٤-التفشي	٢٥٣
٥-الانحراف	٢٥٤
٦-التكرير	٢٥٦
خاتمة البحث وأهم نتائجه	٢٥٩
صورة إجازة الباحث في القراءات العشر المتواترة (الصغرى)	٢٦٢
صورة إجازة الباحث في القراءات العشر المتواترة (الكبرى)	٢٦٣
الأجهزة المستخدمة في البحث	٢٦٤-٢٧٦
جهاز عارض الذبذبة (vp6087)	٢٦٥
جهاز مقياس الهواء (Aerophone II)	٢٦٧
جهاز مقياس الغنة (Nasometr 6200-2)	٢٧٠
راسم الحنك الكهربي Electro – Palatograph Dp-20	٢٧٢
معمل الأصوات المبرمج csl 4300	٢٧٤
التحليل الطيفي للصوت	٢٧٦
ملحق المصطلحات الواردة في البحث	٢٧٧-٢٨٩
فهارس الأعلام	٢٩٠-٣١٢
مصادر ومراجع البحث	٣١٣-٣٢٨
فهرس المحتويات	٣٢٩-٣٤١